تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

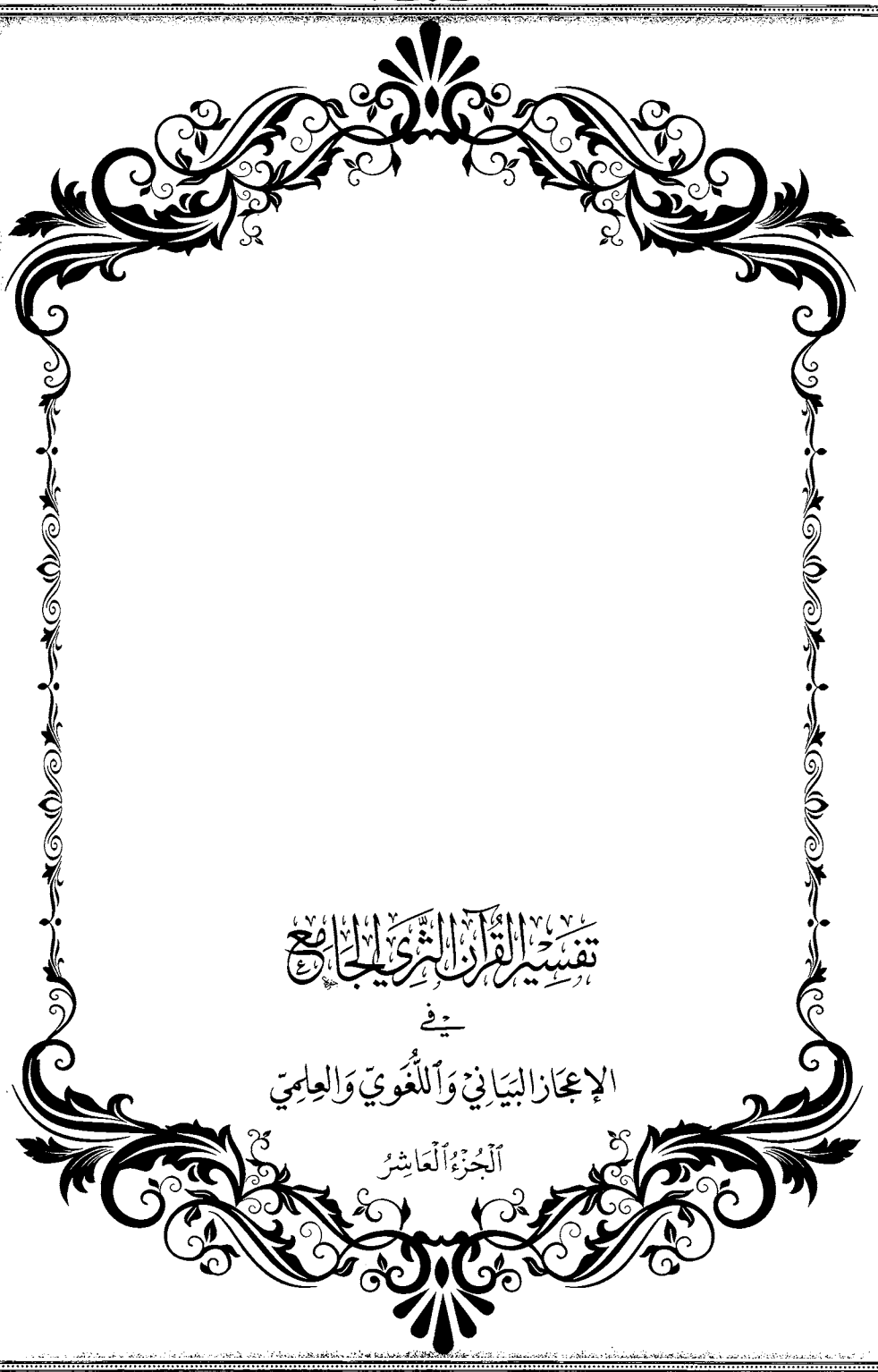

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء العاشر

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج
تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

للطباعة والنشر والتوزيع
دار جوامع الكلم
جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء العاشر

دار المعراج

دار جوامع الكلم

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا۠ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

سورة الزّمر [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن الكريم رقم (٣٩) أمّا ترتيب نزولها فكان (٥٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾: التّنزيل يدل على النّزول على دفعات، تنزيلُ: والإنزال: يدل على النّزول جملة واحدة (دفعة واحدة). ونزل أو أنزل تدل من أعلى إلى أسفل.

وتدل على شرف المنزّل، وهو الله وعلو مكانته، وعلى شرف ما أُنزل (وهو الكتاب) وعلى شرف المُنزل عليه أو إليه (وهو رسول الله ﷺ).

ونزل عليك حين يكون المخاطب رسول الله ﷺ في شأن خاص به ﷺ، ونزل إليك (إلى تفيد عموم الغايات) وتفيد النهاية، أيْ: أن ينتهي إلى النّاس كافة. أيْ: بداية عليك ونهاية إلى النّاس.

وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤].

﴿الْكِتَابِ﴾: أي: القرآن الكريم سُمِّي الكتاب؛ لأنّه مكتوب في السّطور، وسُمِّي القرآن؛ لأنّه مقروء ومحفوظ في الصّدور، وجاء بأل التّعريف للدلالة على أنّه الكتاب الكامل التّام. ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: الله: اسم علم يدل على واجب الوجود ارجع إلى سورة النّمل آية (٢٦) للبيان.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: مشتقة من العزة عزة القوة والمنعة والقهر والغلبة فهو القوي الممتنع الغني عن خلقه لا يضره أحد ولا ينفعه أحد، القوي الّذي يَقهر ولا يُقهر ويَغلب ولا يُغلب.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: مشتقة من الحكم فهو أحكم الحاكمين، ومن الحكمة فهو أحكم الحكماء، الحكيم في تدبير خلقه وكونه وشرعه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: أنزلنا، أيْ: جملة واحدة دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، إليك: تفيد الانتهاء، إليه تستعمل لعموم الغايات، وتستعمل عادة في الأمور التي لا تختص بالدعوة، وعليك: تفيد المشقة والعلو، وتستعمل في سياق الدعوة والتبليغ. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (١) وارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان والآية (٤١) من نفس السّورة.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، أيْ: أنزلناه بالحق، الحق هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتبدل ولا يتغير وليس هناك غيره، أيْ: أنزلناه بالحق بداية وظل على الحق لم يتغيَّر ولم يتبدَّل وسيظل إلى يوم يُرفع من الأرض، والباء تدل على الإلصاق والملازمة كقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت:٤٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: فاعبد: العبادة طاعة العابد للمعبود (أي: الله سبحانه) فيما أمر به وفيما نهىٰ عنه والعبادة لها منهج ولها جزاء ولا تكون إلا للخالق وحده، وحسب ما أراده وتعني: الخضوع مع المعرفة بالمعبود. ارجع إلىٰ سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا﴾: الفاء لبيان العلة (أي: اعبد الله وحده، أو اعبده موحِّداً إياه لا تشرك به شيئاً).

﴿لَّهُ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، له: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿ٱلدِّينَ﴾: له وحده العبادة والطّاعة والدّين ما يطاع به المعبود، ويشمل جملة الشرائع، أو الشرعة (ما ورد في القرآن) ويشمل المنهاج (ما ورد في السنة). ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنىٰ الدِّين.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه.

﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾: لله الجار والمجرور يفيد الحصر له وحده الدِّين الخالص من أيِّ شائبة مثل الشّرك والولد والنّد والمثيل والرّياء، لله الدّين الخالص: لأنّه هو وحدهُ الّذي شرعه وهو الّذي يجزي عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾: والّذين عبدوا من دونه: من غيره (من غير الله أولياء: كالأوثان والأصنام والملائكة وعيسىٰ وعزير).

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾: أيْ: يقولون: ما نعبدهم (ما نعبدهم ما النّافية)، أو قائلين ما نعبدهم.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾: إلا أداة حصر، ليقربونا: اللام للتوكيد يقربونا عند الله زلفىٰ: قربىٰ أيْ: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله بالشّفاعة لنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: إن للتوكيد، يحكم بينهم: بين الّذين اتخذوا من دونه أولياء والأولياء، أيْ: بين المشركين وأوليائهم مثل الأصنام والآلهة وعيسىٰ والملائكة وبين الموحدين والمشركين وبين الأمم والخلائق. والحكم أو القضاء يتم بين أفراد الأمة الواحدة، أو الملة الواحدة، بينما الفصل يتم بين الأمم المختلفة أو الملل.

﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدّين والتّوحيد وعيسىٰ عليه السّلام، ولم يقل: فيما كانوا فيه يختلفون؛ لأنّه سياق الآية في الدّنيا وليس في الآخرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾: إن الله: للتوكيد، لا يهدي: لا النّافية، يهدي، من: ابتدائية استغراقية، من هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد، كاذب: أيْ: مفتر علىٰ الله الكذب يقول لله ولد أو يتخذ أصناماً آلهة لتشفع له أو تقربه عند الله زلفىٰ.

كاذب: أي: الكذب صفة ثابتة فيه دائم الكذب.

كَفار: كثير الكفر صيغة مبالغة، وكفار: تدل علىٰ الاسم والكثرة، ولو قال: لا يهدي الكافرين؛ الكافرين، أو الكافرون: تدل علىٰ الحدث؛ أي: الفعل.

أيْ: لا يوفق ولا يُعين هؤلاء الّذين أرادوا الضّلالة لأنفسهم وأصروا عليها، علىٰ الرّجوع عنها، والعودة إلىٰ الهداية والصّراط المستقيم.

[٤] ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾:

﴿لَّوْ﴾: حرف امتناع لامتناع، امتناع وقوع الجواب لامتناع وقوع الشّرط.

﴿أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: فالله سبحانه لم يرد أن يتخذ ولداً أصلاً ولا حتّى على سبيل الافتراض، ولو أراد ذلك لقال: كن فيكون (أيْ: وقع ما أراد).

﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد، اصطفى: اختار، مما: من +ما، يخلق ما يشاء. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٤٤) لمزيد من البيان في معنى الاصطفاء، والفرق بين الاصطفاء والاختيار والاجتباء.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: أيْ: أنزهه من كلّ شريك وندٍّ ومثيل وولد، ومن كلّ ما لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١)، وسورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان في التسبيح.

﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾: هو ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد، الله: واجب الوجود.

﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾: لا ثاني له ولا شريك له ولا ولد ولا ولي، وكذلك هو أحد، أيْ: لا مثيل له، ليس كمثله شيء لا مثيل ولا ندَّ. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) لمزيد من البيان، ومعرفة الفرق بين أحد وواحد.

﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: صيغة مبالغة من قهر؛ أيْ: ذلّت له جميع المخلوقات والكائنات؛ لأنّه هو القوي العزيز الجبار؛ فلا يحدث أي شيء في العالمين إلا بإذنه، وجميع الخلائق فقراء إليه. ارجع إلى سورة ص آية (٦٥) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: الحق الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيّر

فالسّموات والأرض ثابتة لا تتغير في تركيبها وبعدها ومدارها ودورانها. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (١٨) للبيان، وارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (٩-١٢)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لبيان كيفية كان الخلق.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾: وهذه الآية تشير أنّ الأرض كروية الشّكل وتدور حول نفسها وحول الشّمس فالنصف المقابل للشّمس يضيء بسبب الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض والّتي تضيء بحزمة من أشعة الشّمس فتسبب النّهار، وتكون طبقة الضّياء مكورة لطبقة الظّلام بينما النّصف غير مقابل للشّمس تكون فيه طبقة الظّلام مكورة طبقة النّهار غير المضيئة بأشعة الشّمس (فيكون الليل سائد في ذلك النّصف من الكرة الأرضية).

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: ارجع إلى سورة فاطر آية (١٣) للبيان وسورة الأعراف آية (٥٤) وسورة يونس آية (٥).

﴿أَلَا هُوَ﴾: أداة تنبيه وافتتاح.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من سورة (ص) للبيان.

﴿ٱلْغَفَّارُ﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من سورة (ص) للبيان.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إشارة إلى حتمية فناء الكون ونهاية الشّمس والقمر، وكل مخلوق له أجل مسمّىً، ومنها الجمادات والنّباتات فكل مخلوق له بداية ونهاية.

❖ ❖ ❖

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ
لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
ثلاثة أرباع الحزب ٤٦
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ
ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

سورة الزّمر [الآيات ٦ - ١٠]

[٦] ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: أيْ: خلقَ آدم وخلقَ حواء وخلق كلّ باقي الإنس من نفس واحدة، أيْ: من ذات واحدة من أصل واحد. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١) والأعراف آية (١٨٩) للبيان.

﴿ثُمَّ﴾ ليست للترتيب والتّراخي، وإنما للتباين في الصّفات، أيْ: رغم أن النّفوس متشابهة في الأصل تبقىٰ مختلفة في الطباع والفطرة، مثل تغليب العاطفة علىٰ العقل في الأنثىٰ بشكل عام، ومن ناحية الحب والكراهية وغيرها.

﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: الجعل هو مرحلة بعد الخلق؛ أي: خلقه ثم جعله، والجعل من جعل؛ أي: صيَّر.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: وأنزل لكم: أي: خلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج، والإنزال يجب أن لا ينظر إليه كجهة فقط فالإنزال قد يأتي بمعنىٰ إنزال الماء (المطر) الّذي يسبب النّبات والعشب الّذي تعيش وتتغذّىٰ به الأنعام فهو سبب عيشها، أو بمعنىٰ أنزل الشّفرة أو الصّفات الوراثية لهذه الأنعام بأن جعل لكلّ زوج صفاته الخاصة به، وقد تعني: أنزلها من جنة أخرىٰ، ولا تعني: جنة الخلد التي في السماء إنما جنة مثل جنة آدم. (جنة علىٰ الأرض)، والله أعلم.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: من الضّأن اثنين ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين. ارجع إلىٰ سور الأنعام آية (١٤٣).

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: يخلقكم في بطون أمهاتكم من نطفة، ثم من علقة، ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم مرحلة العظام، ثم يكسو العظام لحماً.

﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: قيل ظلمة البطن (جدار البطن)، وظلمة الرّحم (جدار الرّحم)، وظلمة الأغشية المحيطة بالجنين الغشاء غشاء المشيمة، والغشاء الأميونسي، وقيل: الظّلمات الثّلاثة: ظلمة جدار الرّحم وظلمة الغشاء الأميونسي والغشاء الكريوني، وسُمِّيت ظلمة لعدم وجود النّور مثل ظلمة الليل، والظّلمة قد تعني: السّكون والهدوء (في الرّحم).

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: ذلكم: ذا اسم إشارة واللام للبعد والتّعظيم والكاف للمخاطب، أي: الّذي خلقكم في ظلمات ثلاث وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج هو الله ربكم، فهذا الخلق والقدرة تدل علىٰ عظمته ووحدانيَّته، ولذلك بدأ بقوله: (الله) أي: المعبود والإله الحقيقي الّذي يستحق العبادة وحدَه؛ لأنه خلقكم وأنزل لكم من الأنعام.

﴿رَبُّكُمْ﴾: الّذي خلقكم ورزقكم ومربيكم ومدبِّر أموركم، فجمع الألوهية والرّبوبية معاً في هذه الآية. وذلكم: تفيد التعظيم، وأوسع معنىٰ للجمع من ذلك وآكد.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: له تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، له: اللام لام الاختصاص، له الملك: له الحكم والملك (فهو الحاكم والمالك).

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: أنى: تعني كيف ومن أين وتعني الاستفهام الإنكاري والتّعجب من انصرافهم عن عبادة الله الإله الحق إلى عبادة غيره أو انصرافهم عن الحق إلى الباطل، ومن التّوحيد إلى الشّرك، رغم هذه الأدلة والبراهين القاطعة.

[٧] ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿تَكْفُرُوا۟﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط إن الله: للتوكيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لبيان معنى الكفر.

﴿غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾: أيْ: غني عن إيمانكم وعبادتكم وغني تعني: لا حاجة به إليكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾: ورغم كونه غنياً عنكم وعن إيمانكم فهو لا يحب أن تكونوا كافرين رحمةً بكم؛ لأنّكم من خلقه ولا يريد أن يعذبكم.

لعباده: اللام لام الاختصاص.

الكفر هو السّتر ويعني: الجحود بوجوده والإيمان به أو عبادته أو بنعمه عليكم.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: إن شرطية تفيد القلّة والنّدرة.

وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه وتستجيبوا له يرضه لكم، الرّضا القبول أن يقبل

منكم، ولم يقل: وإن تؤمنوا بربكم قال: وإن تشكروا؛ لأنّ الإيمان والطّاعة من مظاهر الشّكر له، وإن تشكروا الله على نعمه الّتي لا تعد ولا تحصى وعلى نعمة الإيمان والإسلام يرضه لكم.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لا: النافية، ولا تزر: ولا تحمل أو تتحمَّل، الوزر: الحمل ويعني: الذّنب والإثم، ولا النّافية.

وازرة؛ أي: نفس وازرة آثمة، وزر أخرى: ذنب أو إثم أو جرم نفس أخرى فكل إنسان مجزيٌّ بعمله، أيْ: لا تحمل نفس آثمة ذنب نفس أخرى، ويبدأ ذلك من زمن التّكليف، وعلى شرط أن لا تكون سبباً في إضلال النّفس الأخرى فعندها يتعدَّى ظلم النّفس إلى ظلم نفس الأخرى عندها تتحمَّل إثمها وإثم النّفس الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: وإن لم تؤمنوا بربكم فاعلموا أنكم سترجعون إليه وستجزون على كفركم، ثم: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

إلى ربكم مرجعكم: إلى ربكم تقديمها يفيد الحصر والقصر إليه وحده مرجعكم، وإلى تفيد عموم الغايات، أيْ: بعد البعث ترجعون إليه للحساب والجزاء.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، ينبئكم: يخبركم ويطلعكم على سجل أعمالكم في الدّنيا. وينبئكم مشتقة من النّبأ وهو الخبر العظيم الّذي يعني أعمالكم.

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: في الدّنيا وتعملون تشمل الأقوال والأفعال.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: إنه: إن: تفيد التّوكيد، عليم: صيغة مبالغة كثير العلم أن يعلم ما تسرون وما تعلنون وما تبدون وما تكتمون ويعلم السّر وأخفىٰ، ويعلم خفايا صدوركم، وما يجول في خواطركم وقلوبكم علىٰ الدّوام وما يسكن فيها من الأسرار.

[٨] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو استئنافية، إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرة الحدوث.

﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: المس يأتي للضر وغير الضر، يأتي مع الرحمة ويأتي مع العذاب.

ضُر: بضم الضّاد، الضُّر بالضّم يعني: الهزال وسوء الصّحة، أي: المرض وسوء الحال.

أمّا الضَّر بفتح الضّاد فضد النّفع، أيْ: ما تضر به غيرك وتنفع به نفسك مع عدم علمه بأنّك تضره. ولنقارن معنىٰ الضُّر مع السّوء والكرب.

السّوء: ما يسيء إلىٰ النّفس مع العلم به.

والكرب: هو المكروه أو العذاب أو الضّر الّذي لا تملك أو تستطيع دفعه عن نفسك ولا أحد آخر إلا الله وحده. ارجع إلىٰ الصّافات آية (٧٦) للبيان.

﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: دعا: من الدّعاء، دعا ربه خالقه ورازقه ومدبر أمره

ليكشف عنه الضّر، وأقبل على ربه وتضرع إليه بذل وانكسار وتاب إليه، ووعد ربه بالاستقامة والرّجوع عن ذنبه والإيمان.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: ثم: تفيد التّباين بين موقف دعا ربه منيباً إليه وكونه نسي ما كان يدعو إليه من قبل، أو ثم تفيد التّراخي في الزّمن والتّرتيب، أيْ: بعد مدة طويلة.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿خَوَّلَهُۥ﴾: أعطاه وملّكه نعمه من دون عوض.

﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: النّعمة هي ما يهبه الله لعبده من خير يجلب له المسرة ويدفع عنه المضرة، نعمة منه: نعمة جاءت بصيغة النّكرة لتشمل كلّ أنواع النّعم من الصّحة والمال والغنى والأهل والأمن والطّعام والشّراب وغيرها.

نعمة بالتّاء المربوطة، ولم يقل: نعمت بالتّاء المفتوحة؛ فتدل على نعمة ظاهرة للعيان، وليست خفية أو عامة للبشر. ولو جاءت بالتّاء المفتوحة نعمت لدلّت على أنّها نعمة خاصة أو لا يمكن إحصاؤها، وخاصة بالمؤمنين. نعمة منه: أي: نعمة عامة تخص المؤمن أو الكافر، أو الصالح والطالح، ولم يقل نعمة من عندنا، أو من لدنا التي تخص فقط المؤمنين والأولياء الصالحين، أو الأنبياء والرسل.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾: نسي: تعني: نسي من كشف عنه الضّر وأنقذه وهو ما زال يذكر ضره وبليته ولا ينساها، أو نسي ما أصابه من ضر وبلية ونسي من كشف عنه الضّر وأنقذه، أيْ: نسي كلّ شيء.

﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: ما للعاقل وغير العاقل، أيْ: عامة وتعني: الّذي أو مصدرية.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أيْ: حين أصابه الضّر.

فهذا الإنسان ابتلاه ربه فأصابه الضّر، فدعا ربه فكشف عنه ضره، ثم خوّله ربه نعمة بعد ضره فنسي ما أصابه من ضر، وفرح بها وراح يشرك بالله بدلاً من أن يشكر ربه ويتوب إليه ويستقيم إيمانه.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: بدلاً من شكر النّعم والاستقامة اتخذ لله أنداداً، النّد: هو المثيل والنّظير، أيْ: جعل لله تعالىٰ شركاء، أيْ: أشرك بالله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: اللام للتعليل، عن سبيله: عن دين الله وشرعه، يُضل: أيْ: يضل نفسه ويُضل غيره عن دين الله وهو الإسلام والتّوحيد.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾: قل يا رسول الله له: تمتع بكفرك: التّمتع: الانتفاع والتّلذُّذ العاجل، بكفرك: الباء للإلصاق واللزوم.

الكفر قد تعني جحود نعمة الله وسترها وعدم شكر المنعم، أو كفر العقيدة والإيمان، أيْ: تمتع بالشّرك وعبادة الأصنام وغيرها.

﴿قَلِيلًا﴾: أيْ: زمناً قليلاً بقية أجلك (متاع موقوت بالدّنيا أو مدة حياته) ومهما طال فهو قليل بالنّسبة للآخرة.

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: إن للتوكيد، من: ابتدائية.

﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: أصحاب جمع صاحب، وصاحب مشتقة من الصّحبة

وتعني: الملازمة فهم لا يفارقونها وهي لا تفارقهم. وفي الآية تهديد ووعيد لهؤلاء الّذين يفعلون مثل ذلك.

[٩] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿أَمَّنْ﴾: أصلها أم + من أدغمت أم في من (اسم موصول) أمن الهمزة للاستفهام والتّقرير والتّخيير بين أمرين، وأم قد تكون للإضراب الانتقالي والاستفهام جوابه محذوف ليشمل كلّ الاحتمالات.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿قَٰنِتٌ﴾: من القنوت، أي: الطّاعة والدّعاء، قانت مطيع لله.

وقد تعني دائم الخضوع والعبادة، وتشمل في معناها الخشوع والدّعاء والخشوع غير القنوت. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢) للبيان.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: آناء جمع إنُو، أيْ: جزء من الليل، أو آناء الليل ساعات الليل ومن حيث التّصرف أأناء قلبت الهمزة إلى مد والواو إلى همزة فصارت أناء.

﴿سَاجِدًا﴾: في صلاته أو مصلياً، السّجود جزء من الصّلاة عبَّر عن الكل بالجزء.

﴿وَقَآئِمًا﴾: في صلاته يتلو آيات ربه ويدعوه.

﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: يحذر: يخاف عذاب الآخرة والحذر هو الحيطة.

﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾: مغفرته وجنته، يرجو يأمل ويطلب منه النّجاة من النّار.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام وتفيد النّفي.

﴿يَسْتَوِي﴾: من الاستواء في الجزاء والثّواب والعلم والجهل.

﴿ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: أيْ: علماء الدّين والفقه والشّرع والأحكام.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: الغافلون الجاهلون عن الآخرة، وإن كانوا يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا علوم الدّنيا.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يَتَذَكَّرُ﴾: من التّذكر، وتعني: هذا الشّيء معلوم في السّابق ويتذكره أولو الألباب.

﴿أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحاب العقول النّيرة المؤمنة الموحدة. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٧٩، ١٩٧).

[١٠] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

بعد نفي المساواة بين الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون، يعظ الله رسولَه بأن يذكر الّذين آمنوا بالتّقوىٰ والهجرة والصّبر.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ هذا، أو قل لهم: يناديكم ربكم بهذا النّداء.

﴿يَٰعِبَادِ﴾: يا أداة نداء للبعد، عبادِ: أي: الّذين آمنوا واختاروا طريق الإيمان، وهناك فرق ين عباد وعبادي وعبيد؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٨٦) لمعرفة الاختلاف بينها، والآية (١٧) من نفس السورة.

﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: بطاعة وامتثال أوامر ربكم وتجنب نواهيه اتقوا غضب

وسخط ربكم واتقوا القهار الجبار واتقوا ناره واتقوا ربكم: استقيموا على طاعة وامتثال أوامر وتجنب نواهيه.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: اللام لام الاختصاص، الّذين أحسنوا: الّذين تجاوزوا درجة التّقوى وساروا في طريق الإحسان وأحسنوا العمل بالطّاعة والعبادة إحسان الكم وإحسان الكيف وإحسانهم لم يعد مقتصراً عليهم، بل تعداهم إلى غيرهم والّذين عبدوا الله كأنّهم يرونه، وتعريف الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة للبيان.

﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: في ظرفية، هذه: الهاء للتنبيه، وذا اسم إشارة يشير إلى دار الدّنيا.

حسنة: جاءت بصيغة التّنكير للتعظيم وللدلالة على الكمال ولتشمل أيَّ حسنة، ومنها الصّحة والعافية والغنى والأمن والأهل والنّصر والعزة والعلم وغيرها، وحسنة قد تعني: الجنة أو الدار الأخرة، وقد تعني: في الدنيا والأخرة معاً.

ولمعرفة معنى الحسنة ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠١).

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾: وما علاقة أرض الله واسعة بالتّقوى، تعني: إذا لم تتمكّنوا من إقامة شعائر الدّين والتّقوى في بلدكم فهاجروا إلى أرض أخرى فالأرض جميعها هي أرض الله، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النّساء: ٩٧].

وقيل: أرض الله الواسعة: قد تعني أرض الجنة.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾: يوفىٰ: أي يعطوا أجرهم بغير حساب، الصّابرون لها معانٍ عدة منها: الصابرون الصبر الجميل الذي لا شكوىٰ فيه إلا إلىٰ الخالق، والصّابرون علىٰ مفارقة أوطانهم والهجرة في سبيل الله، أو الصّابرون في بلادهم علىٰ أذىٰ الكفار والمشركين وعدم تمكُّنهم من الهجرة؛ لأنه سبق هذا ذكر وأرض الله واسعة التي تدل علىٰ الهجرة، والصّابرون علىٰ طاعة الله وتجنُّب معاصيه مثل الصّلاة والصّيام والدّعوة إلىٰ الله، والصّابرون علىٰ البلاء ومنها فتنة الدّين وإعلاء كلمة الله. والصابرون: جملة اسمية تدل علىٰ الثبات؛ أي: صبرهم دائم ومستمر، وتختلف عن الذين صبروا التي تدل علىٰ التجدد والتكرار.

فهؤلاء وغيرهم يوفَّون أجرهم بغير حساب فلا ينصب لهم ميزان ولا يُنشر لهم ديوان، فلم تعد الحسنة بعشر أمثالها ولا بـ(٧٠) ضعفاً أو (٧٠٠) ضعف، بل أكثر من ذلك بكثير ولا يعلم مقدار أجرهم إلا الله الّذي أعطاهم إياه، وقد يكونوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

❖ ❖ ❖

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

سورة الزّمر [الآيات ١١ - ٢١]

[١١] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ لهم، لقومك:

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد.

﴿أُمِرْتُ﴾: بواسطة الوحي.

﴿أَنْ﴾: تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: أي: اعبده عبادة خالصة لله وحده من غير شرك أو رياء، أو اعبد الله وحدَه لا شـــريك له؛ أي: عقيدةً، والآية (١٢) ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: في الفرائض والتكاليف.

مخلصاً: أيْ: موحِّداً، توحيد الألوهية والرّبوبية والصّفات والأســماء له: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر له وحده.

الدّين: يشــمل الشّــرعة والمنهج (الأحكام والكتاب والسّنة). ارجع إلىٰ ســورة البقرة آية (١٣٢) للبيان، ومخلصاً له الديــن مقارنة بقوله تعالىٰ في الآية (١٤) في نفس الســورة مخلصاً له ديني؛ لأن عبادة الله بإخلاص مأمور بها كل عبد، أي: وليست خاصة برسول الله ﷺ وحده.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَأُمِرْتُ﴾: تكرار أمرت للتوكيد ولفصل الأمر الأوّل عن الثّاني، فالأمر الأول بالإخلاص والأمر الثّاني بالسّبق ليكون أول المسلمين منزلة في الفرائض والتكاليف كالصلاة، والزكاة، والصيام، وغيرها من العبادات (الجوارح).

﴿لِأَنْ﴾: اللام للتوكيد والاختصاص، أن: للتعليل.

﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: قد تعني:

١ - أول المسلمين من هذ الأمة.

٢ - أو أول المسلمين من لدن آدم إلى قيام السّاعة، أولوية تفوُّق، أيْ: أشدهم إسلاماً، وليست أولوية بالزّمن؛ لأنّ هناك الكثير من الرّسل الّذين أعلنوا إسلامهم قبل مجيء رسول الله ﷺ مثل نوح وإبراهيم وإسماعيل وكل الرّسل الآخرين.

ولا توجد آية في القرآن تقول: وأنا أول المؤمنين إلا آية واحدة جاءت في سياق موسى عليه السّلام حين طلب الرّؤيا فصعق موسى، ولا تعني هذه الآية الإيمان العقدي، وإنما أنا أول المؤمنين بأني غير قادر على رؤيتك يا رب في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ارجع إليها للبيان.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿قُلْ إِنِّي﴾: ارجع إلى الآية (١١).

﴿أَخَافُ إِنْ﴾: إن: تعليلية، أخاف: من الخوف وهو توقع الضّرر المشكوك في وقوعه.

﴿عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بعدم الإخلاص له في العبادة والتّوحيد أو عصيته في أي أمور.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أيْ: يوم القيامة، عظيم: أشد أنواع العذاب الأليم والمهين والكبير، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن:٢٢]؛ أي: كوني نبياً لن يشفع لي عصيت ربي شيئاً.

[١٤] ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾:

ما الفرق بين هذه الآية والآية (١١): ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾:

في الآية (١٤) قدَّم المفعول علىٰ الفعل أو المعبود علىٰ العبادة، قدَّم كلمة الله علىٰ العبادة.

وفي الآية (١١) قدَّم العبادة وأخَّر المعبود (الله) قدَّم الفعل علىٰ الفاعل، فهذه الآية جاءت موافقة للترتيب الطّبيعي للجملة الفعل، ثم الفاعل، ثم المفعول.

وتدل علىٰ أنّه مأمور من جهة الله بفعل العبادة والإخلاص.

أما الآية (١٤) فقدَّم المفعول علىٰ الفعل ليفيد القصر أو الحصر في العبادة علىٰ الله وحده دون غيره، فهو يُبيِّن في هذه الآية أنّ العبادة والإخلاص تخصُّ الله وحدَه دون غيره، وتؤكد كذلك أن العبادة لله تعالىٰ وحده مرة أخرىٰ.

أيْ: كأنه يقول: أنا لا أعبد إلا الله، وأنتم اعبدوا ما شئتم من دونه، كما جاء في الآية (١٥) التّالية، وقوله تعالىٰ: مخلصاً له ديني وليس مخلصاً له الدين؛ لأن

الإخلاص خاص أو أمر يختلف من إنسان إلى أخر. ارجع إلى الآية (١١) في نفس السورة للمقارنة.

[١٥] ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾:

﴿فَٱعۡبُدُواْ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب.

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾: ظاهر هذه الآية التّخيير والحقيقة هي تهديد ووعيد وتوبيخ إن فعلوا ذلك ولا تعني الإذن لهم بعبادة غير الله، كقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦].

﴿مَا شِئۡتُم﴾: ما اسم موصول لغير العاقل مثل الأصنام والقمر والنّجوم والكواكب والآلهة، وللعاقل مثل عيسى وعزير والأولياء.

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: من غيره أو سواه ثم بين سبحانه عاقبة الشرك والكفر بالله تعالى.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: أيْ: إذا عبدوا ما شاؤوا من دون الله يصبحون ظالمين لأنفسهم بالكفر والشّرك، فعندها سوف يخسرون أنفسهم يوم القيامة ويصبحون من أصحاب النّار.

والسّؤال: كيف يخسروا أهليهم أيضاً، أهليهم، ولم يقل أهلهم أهليهم تعني أولادهم وذريتهم وأزواجهم وأقاربهم، فالذّرية والأهل تعني: فقط الزوجة والأولاد أمام أمرين: إما أن يؤمنوا فلن يكونوا عندها مع الآباء في النّار بل في الجنة، وإما أن يتبعوا آباءَهم في الكفر والشّرك فيكونوا خاسرين كآبائهم، فالآباء

خاسرون لذريتهم وأهليهم في كلا الحالتين إنّ ذريتهم دخلوا الجنة أو اتبعوهم؛ أي: يخسروا أهليهم (الذرية والأقارب) بعدم كونهم معاً؛ أي: لن يرونهم؛ لأنه سيكون فريق في الجنة وفريق في السعير، أو خاسرين لهم بأن أدخلوهم النار معهم.

﴿أَلَا﴾: أداة افتتاح وتنبيه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذّم ويشير إلىٰ الخسران.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾: علىٰ وزن فعلان للمبالغة في الخسارة، ولم يكتف بقوله: الخسران، وإنما أضاف إليه المبين. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١٩)، وسورة هود آية (٢٢) لبيان معنىٰ خسر، خسران، خسارة، الأخسرون.

﴿ٱلْمُبِينُ﴾: أي: الظّاهر الجلي لكلّ فرد وإنسان وهو خسران واضح لا يحتاج إلىٰ أدلة أو برهان.

[١٦] ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾:

﴿لَهُم﴾: اللام للاختصاص والاستحقاق تعود علىٰ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم.

﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: كلمة من فوقهم ولم يقل: فوقهم تعني الظّلل ملاصقة لهم من فوقهم مباشرة من دون فاصل مكاني، وكذلك ومن تحتهم ولو قال فوقهم يحتمل أن يكون هناك مسافة مكانية بينهم بين الظّلل، وقوله: ظلل:

أيْ: أطباق من النّار أو طبقات كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١].

ظلل: من الظّل والظّل مكان للراحة عادة لا تصله الشمس؛ فاستعمل ظلل جمع ظله، والظلال مفردها ظل، وهو: المكان المظلل الذي يحجب أشعة الشمس كأسلوب للتهكم على الكافرين وتهديد ووعيد وزجر لعلهم يتوبون ويرجعون عن كفرهم. ارجع إلى سورة يس لمزيد من البيان في معنى الظل والظلال.

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾: ذلك اسم إشارة للبعد يشير إلى العذاب الشّديد الذي يخوف الله به عباده: لكي ينزجروا عن المعاصي والمحارم ولا يقربوا منها.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾: يا أداة نداء فيها استمالة وحنان، فاتقون: الفاء للتوكيد، اتقون: سخطي وغضبي وناري بامتثال أوامري واتقون ولم يقل: واتقوني، أي: اتقون بأيِّ وسيلة ولو بأقل وقاية أو درجة.

[١٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والتّعظيم.

﴿ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾: الاجتناب: الابتعاد، الطّاغوت: الأصنام والأوثان أو الشّياطين، وكل معبود من دون الله وهو راض بهذه العبادة. ارجع إلى الآية (٢٥٦) من سورة البقرة لبيان معنى الطاغوت.

أن: مصدرية تعليلية توكيدية.

يعبدوها: ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (٧٣) لبيان معنىٰ العبادة.

﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بالإيمان وبه وعبادته وتوحيده، الإنابة سرعة التّوبة والرّجوع إلىٰ الله. أيْ: سألهم أمرين الاجتناب والإنابة.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: لهم اللام للاختصاص والاستحقاق، البشرىٰ: في الحياة الدّنيا والآخرة.

البشرىٰ الخبر السّار لأوّل مرة لهم البشرىٰ في القرآن والتّوراة والإنجيل وعلىٰ ألسنة الرّسل وقيل: إنّ هذه البشرىٰ تكون عند الوفاة وفي القبر وعند البعث.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾: الفاء للتوكيد، بشر عباد: الخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ، بشر عباد: عباد الّذين وصفهم الله تعالىٰ بقوله: اجتنبوا الطّاغوت وأنابوا إلىٰ الله والّذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وهناك فرق بين عبيد، وعبادي، وعباد.

١ - عبيد: الكل عبيد الله تعالىٰ المؤمن والكافر والمتقي والعاصي كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:١٨٢].

٢ - عبادي: أفضل من عبيد هم الّذين آمنوا بالله واختاروا أن يكونوا عباد الله تعالىٰ فوصفهم بالقول عبادي، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر:٥٣].

٣ - وعباد: هم الصّفوة المؤمنة الّذين جاء وصفهم في هذه الآية، والآية (١٨) القادمة، وأعلىٰ درجة من عبادي، وفي الآخرة الكل يصبح عباد؛ لأنه ليس في الآخرة عبادة، ولا تكليف. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٨٦) لمزيد من البيان.

[١٨] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والعلو.

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾: القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ. أيْ: كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون آية (٦٨) لمزيد في معنىٰ القول والفرق بين القول والقرآن.

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾: كلمة أحسنه مشتقة من أحسن، وفيها مبالغة، فأحسن علىٰ وزن أفعل التّفضيل، وأحسن قائل هو الله ورسوله وأحسن ما قيل في الدّين، أمثلة علىٰ ذلك:

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشّورىٰ: ٤٠] هذا أحسن أو حسن، وأحسن من ذلك ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]، وأحسن من ذلك: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾: وأحسن من ذلك: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النّحل: ١٢٦].

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ (هذا أمر حسن وأحسن منه ذلك): ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: أولئك: اسم إشارة يفيد البعد بعد المنزلة ويشير إلىٰ الّذين اجتنبوا الطّاغوت وأنابوا إلىٰ الله ويستمعون القول فيتبعون أحسنه.

﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: هداية: خاصة، أيْ: زادهم هدىٰ وتوفيق.

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: تكرار أولئك يفيد التّوكيد، هم تعني: هم أولو الألباب حقاً وبلغوا أعلىٰ درجاتهم، أولو أصحاب، واللب جزء من الدّماغ تسمّىٰ منطقة الإدراك والفهم كلّ صاحب لب له عقل، وليس كلّ صاحب عقل له لب.

أولو الألباب أصحاب العقول النّيرة الصّفوة من المؤمنين الّذين يعقلون، يتفكرون، يتدبرون، يتذكرون.

وما هو الفرق بين أولئك الّذين هداهم الله وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

الّذين هداهم الله: هم المؤمنون الموحدون الّذين وصفهم الله بكونهم اجتنبوا الطّاغوت وأنابوا إلىٰ الله ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، أيْ: هم فئة معينة لهم شريعة واحدة.

الذين هدىٰ الله: تعني: جملة من الرّسل عدد من الرّسل لهم شرائع مختلفة، والرّسل من الّذين هداهم الله.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: استفهام إنكاري.

﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾: وجب وثبت حكم الله عليه في سابق علمه علىٰ الدّخول في النّار، أأنت قادر علىٰ أن تنقذه من النّار، والخطاب موجّه إلىٰ الرّسول وإلىٰ غيره من المؤمنين.

أفأنت تقدر على هدايته بأن تلح عليه فتنقذه من النّار، جواب الاستفهام محذوف وتقديره طبعاً لا.

وقيل: كلمة العذاب هي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: تعود على العذاب ولم يقل: حقت، في اللغة يجوز التّذكير والتّأنيث ولكن ذكرها هنا بصيغة المذكر رغم أنّ (كلمة ربك) مؤنثة؛ لأنّ السّياق في الآخرة، ولأنّ كلمة العذاب هي العذاب ذاته أو نفسه.

﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: للاستفهام والتقرير، والفاء تفيد التّوكيد أفأنت: أشد توكيداً من قوله: أأنت تنقذ من في النّار؛ لأن الفاء أقوى من الهمزة؛ الخطاب موجّه إلى الرّسول وغيره، تنقذ: أيْ: بالشّفاعة أو أيِّ وسيلة.

[٢٠] ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الّذين حق عليهم كلمة العذاب يذكر بالمقابل المتقين الّذين لهم غرف من فوقها غرف مبنية.

﴿لَكِنِ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: الّذين اسم موصول يفيد المدح والتّعظيم.

اتقوا ربهم: امتثلوا أوامره وتجنبوا نواهيه.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: جمع غرفة والغرفة اسم جنس والغرف

منـــازل رفيعة عالية في الجنة أو درجات عالية، والغرفة تعني كلّ بناء عال مرتفع. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٧٥) لمزيد من البيان.

﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾: منازل ارفع من منازل، فالجنة درجات قيل: مئة درجة.

﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾: أيْ: بنيت ومهيأة ومعدَّة الآن.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أيْ: تنبـــع الأنّهار من تحتها، وهذا يدل علىٰ عظمة الخالق.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: وعد مصدر لفعل وعد يعد، والوعد: إذا أطلق اختص بالخير، وقد يســتعمل في الشّر علىٰ ســبيل التّهكم ويعني: الإخبار بشيء سار قبل أوانه والوعد يقتضي الإنجاز والوعيد يكون دائماً في الشّر.

﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾: لا النّافية، يخلف الميعاد: الميعاد مشتقة من الوعد وتطلق علىٰ الزّمان والمكان. ارجع إلىٰ الآية (٨٥) من ســورة القصص للبيان، ومقارنة ميعاد مع معاد.

[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنىٰ التّقرير والتّعجب، لم حرف نفي.

تر: الرّؤية بصرية عينية حقيقة وما يخبرنا به الله تعالىٰ دائماً أصدق مما تراه أعيننا.

ألـــم تر أقوىٰ وآكد من قوله: ألم تعلم: لأنّ عين اليقين أعلىٰ درجة من علم اليقين، ولكن ألم تعلم: أوســع وأشــمل من ألم تر؛ لأنَّ العلم أوسع من الرّؤيا وأعلىٰ من عين اليقين حق اليقين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من السّحاب والسّماء تعريفها كلّ ما علاك والسّحاب يعلو الإنسان فالسّماء هنا تعني السّحب الرّكامية ومن ابتدائية.

﴿مَآءً﴾: هو ماء المطر.

﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الفــاء للمباشــرة والتّرتيب، ســلكه: ادخله بســهولة في الأرض وجعل له مجاري خاصة به أو مســالك في الأرض كشبكة تحت الأرض، فصار يجري من مكان إلــىٰ مكان أو مكان مرتفع إلىٰ منخفض، ويتحول إلىٰ شــكل ينابيع أيْ: عيون (جمع عين) وهي الأمكنــة الّتي ينبع منها الماء.

ارجع إلىٰ سورة المؤمنون آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾: ثم للترتيب والتّراخي في الزّمن، يخرج به الماء، زرعاً: ما ينبت علىٰ غير ساق.

والشّجر: ما له ساق وأغصان، والنّبات يشمل الجميع.

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أخضر وأبيض وأصفر، قمح، شــعير، رز، ذرة، وغيره من أنواع الحبوب.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾: ثم للترتيب والتّراخي في الزّمن، يهيج: من هاج يهيج تحرك، أيْ: ثار بمعنىٰ يصبح كثيفاً بسبب نموه وكثرته.

فتراه: الفاء تدل علىٰ التّعقيب والمباشرة.

مصفراً: ييبس ويصفر بعد الخضرة، فلا بُدَّ له أن يصفر ويجف.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: ثم للترتيب والتّراخي، حطاماً: متفتتاً متكسراً، حطم الشّيء: كسر الشّيء يشبه مرحلة العظام والرّفات.

فهذه التّغييرات الّتي تحدث في الزّرع أو النّبات تحدث في الإنسان فهو يمر بأطوار تشبه الأطوار الّتي يمر بالنّبات، فالنّبات كائن حي يشبه الإنسان فالإنسان يكون وليداً، ثم طفلاً، ثم شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً، ثم يموت ويصبح عظاماً ورفاتاً.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إن للتوكيد، في ظرفية، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلىٰ ما يحدث للزرع والنّبات يحدث للإنسان.

﴿لَذِكْرَىٰ﴾: تذكيراً وتنبيهاً واللام للتوكيد، أيْ: حال ما يحدث للزرع والنّبات يحدث لحال الإنسان ولحال الدّنيا.

﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: اللام لام الاختصاص، أولي الألباب: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (١٨).

❖ ❖ ❖

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

سورة الزّمر [الآيات ٢٢ - ٣١]

[٢٢] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير والإثبات وجواب الاستفهام محذوف تقديره لا يستوي مع من لم يشرح الله صدره.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: أيْ: يُقبل على طاعة الله تعالى وعبادته بعشق وحب وجد بنفس مطمئنة ويؤدّي الفرائض والتّكاليف بخشوع وكمال ويكثر من النّوافل والذّكر وتلاوة القرآن والاستقامة على ذلك.

للإسلام: اللام لام الاختصاص.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: على تفيد الاستعلاء كأنّه يسير على نور من ربه، هدىً من ربه والنّور هو نور القرآن نور معنوي، وليس حسيّاً فهو يعيش حياته على نور من ربه على نور هدي القرآن وتعاليمه وأوامره وأحكامه.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾: الفاء للتوكيد، والويل الهلاك أو العذاب.

للقاسية قلوبهم: اللام لام الاختصاص، أي: الهلاك والعذاب لمن تأبى قلوبهم الإيمان بالقرآن والعمل به، أو ويل لمن يعرضون عن القرآن ولا يتبعونه أو يكذبونه والقساوة: تعني الإعراض أو التّكذيب والنّفور عن القرآن والدّين.

﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أي: القرآن ولم يقل: عن ذكر الله، عن تفيد الابتعاد والمجاوزة.

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله تعني: القسوة حصلت من سماع الذّكر

أيْ: بسبب السّماع، أمّا فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله فتعني: القسوة حصلت بالإعراض، بعدم السّماع لآيات الله أو ذكر الله على الإطلاق.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد الذّم.

﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾: في ابتعاد عن الحق ظاهر وبين للكل في ابتعاد عن دين الله والهداية وبشكل متعذّر معه رجوعهم عن ضلالهم وضلالهم، بيّن لكلّ فرد له اتصال بأولئك وهو ضلال بيّن لا يحتاج إلى دليل أو برهان.

[٢٣] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ﴾: تقديم الفاعل (الله) على الفعل (نزل) للحصر والقصر والاهتمام، نزل: بشكل تدريجي وعلى دفعات، أيْ: منجماً.

﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾: وهو القرآن الكريم وأحسن على وزن أفعل التّفضيل، أيْ: أبلغ الحديث وأصدقه، وسُمِّي أحسن الحديث وفيه أحسن القصص ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]. لأنّه كلام الله تعالى وقصص الله تعالى، الحديث يعني: الإخبار بما حدث وسيحدث وما هو كائن بالنّسبة للكون وللخلق، وأمّا الفرق بين الحديث والقول والقيل، فإنّ الحديث يستدعي أنّ هناك محدثاً ومشاركاً، أيْ: متكلماً وسامعاً، أمّا القول والقيل فلا يُشترط ذلك.

﴿كِتَٰبٗا﴾: سُمِّي كتاباً لكونه مكتوباً في الأسطر للحفظ من التغير والتبديل.

﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾: يشبه بعضه بعضاً في المعاني والألفاظ والبلاغة والإعجاز وحسن النّظم. ولا اختلاف فيه ولا تناقض.

﴿مَّثَانِيَ﴾: لأنّ الرّوايات تُتلى وتكرّر على الدّوام، وكذلك الأنباء والقصص

تُتلىٰ وتكرَّر، مثاني من التّثنية، أي: الإعادة والتّكرار، فهو يُتلىٰ ويكرَّر علىٰ مدىٰ (٢٤) ساعة.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: ولإيضاح ما يحدث هو أن تلاوة القرآن أو سماع تلاوة القرآن بخشوع وخوف ينبِّه منطقة بالدّماغ تسمَّىٰ المنطقة تحت السّرير البصري الّتي تسيطر علىٰ الأعصاب المسمَّاة الودِّية.

وهذا يؤدِّي إلىٰ تقبض العضلات المسؤولة عن انتصاب الشّعر وحدوث القشعريرة والخوف والخشوع.

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: الخشية تعني: الخوف المصحوب بالعلم ممن تخاف والشّعور بمهابة وعظمة الخالق، يخشون ربهم، ولم يقل: بالغيب؛ إذ يخشون ربهم خشية مطلقة غير مقيَّدة بالغيب أو العلن، أيْ: في كلّ زمن في الخفاء أو العلن؛ أي: أمام الناس، وهناك فرق بين الخشية والخوف؛ فالخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، وأما الوجل: فهو الفزع مع اضطراب القلب.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أيْ: بعد أن تقشعر جلودهم وتضطرب قلوبهم بالتّسرع في الضّربات من سماع آيات الإنذار والوعيد.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي (وليس التّرتيب والتّراخي في الزّمن) ثم إذا سمعوا آيات الوعد والبشارة يعودون فيتذكرون رحمة الله وعفوه ومغفرته مما يؤدِّي إلىٰ اطمئنان قلوبهم فتهدأ أعصابهم من إثارتها فتعود فتتوقف عن الإثارة؛ مما يؤدِّي إلىٰ أن تليّن جلودهم وقلوبهم بين سماع آيات القرآن وما أعده الله لعباده الصّالحين.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾: ذلك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلىٰ القرآن هدىٰ الله.

يهدي به من يشاء: أيْ: من اختاروا لأنفسهم طريق الهداية وامتثال أوامر الله تعالىٰ وتجنب نواهيه.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: ومن شرطية تفيد العاقل، يضلل: ينحرف عن طريق الحق والصّراط المستقيم والدّين ويصر على فجوره. ويبتعد بعيداً عن سبيل الله.

فما له من هاد: أيْ: هادٍ يهديه مرة أخرى للرجوع إلى الطّريق المستقيم.

فما لـه: الفاء للتوكيد، ما: النّافية، له: اللام لام الاختصاص له حصراً أو خاصة، من: استغراقية تستغرق كلّ فرد، هاد: يهديه مرة أخرى إلى الطّريق المستقيم. فما له من هاد بعد أن تخلّى الله عنه وتركه في غيِّه وضلاله.

[٢٤] ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾:

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير، وجواب الاستفهام محذوف.

﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لأنّ يديه مغلولتان إلى عنقه يوم القيامة، فلا يجد ما يتّقي به سوء العذاب (النّار وغيرها) سوى وجهه، وليس هناك أيُّ وسيلة أخرى إلا الوجه وهو أعز وأشرف الأعضاء. الّذي يتلّقى به العذاب.

وحذف الجواب وتقديره: كمن هو آمن يوم القيامة لا يحتاج إلى الاتقاء بأيِّ شيء لا بيده ولا بوجهه.

﴿يَتَّقِى﴾: يصون أو يدفع عنه العذاب.

﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾: القائل مجهول قد يكونون خزنة جهنم، والمهم هنا المقولة، للظالمين: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، الظّالمين: المشركين أو الظّالمين لأنفسهم وغيرهم من البشر.

﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: ذوقوا وبال أو جزاء ما كنتم تكسبون.

﴿ذُوقُوا۟﴾: أصل الذّوق: هو إدراك الطّعم بالفم ويستعمل مجازاً في إدراك غيره من الأشياء المعنوية كالرّحمة والنّعمة. واستعمل حاسة الذّوق الّتي هي

مخصصة للطعام والشّراب في الدّنيا لتذوق العذاب الشّديد والمؤلم يوم القيامة، وكما أنّ الطّعام والشّراب يؤثّر في كافة أعضاء الجسم، وكذلك العذاب سيكون أثره ووباله على كلّ الجسم فلا ينجو عضوٌ منه.

﴿مَا﴾: بمعنى الّذي أو مصدرية ذوقوا ما كسبتم.

﴿كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: أنتم في الدّنيا تكسبون فلم يقل تكتسبون؛ لأنّ الكسب يكون في الخير والاكتساب يكون للشر، واستعمل تكسبون لأنّهم اعتادوا على اقتراف المعاصي واستمروا عليها، وأصبحوا ذوي خبرة حتّى أصبحت ممارستهم للذنوب والآثام سهلة جداً، كأنّهم حين يقومون بها تشبه قيامهم بصالح الأعمال.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لمزيد من البيان.

[٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من، تعني: ليس من زمن بعيد، تفيد القريب، أي: الأمم الماضية الّذين كذبوا رسلهم.

﴿قَبْلِهِمْ﴾: أيْ: كفار مكة.

كذب الّذين من قبلهم: كذبوا رسلهم وكذبوا بآيات ربهم.

﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: العذاب مثل الخسف والقتل والأسر والخزي والجلاء والزّلازل والكوارث الطّبيعية.

﴿مِنْ حَيْثُ﴾: حيث ظرفية مكانية.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يحتسبون ولا يعلمون، ولم يخطر لهم ببالهم أنّ العذاب يأتيهم من هذا المكان أو الجهة أو بهذا الشّكل أو بغيره.

[٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَأَذَاقَهُمُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أذاقهم ارجع إلى الآية (٢٤).

﴿ٱلْخِزْيَ﴾: هو الذّل مع الفضيحة في الحياة الدّنيا بالهزيمة والأسر والفقر والتّشريد ويكون عذاب الخزي أحياناً أشد من القتل.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ﴾: اللام للتوكيد عذاب الآخرة أكبر، أيْ: أكبر من الخزي والشّدة من عذاب الحياة الدّنيا؛ لكونه عذاباً مقيماً لا يخفف ولا ينقطع. أيْ: دائم.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: لو: شرطية، كانوا يعلمون: ما كذبوا رسلهم، أو لو كانوا يعلمون شدة العذاب وكبره لانتهوا وآمنوا وما كفروا، لكنهم لا يعلمون لكونهم جهالاً وحمقىٰ.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾: الضّرب هو إيقاع شيء فوق شيء بقوة ليحدث أثراً.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص خاصة للناس، أي: الثّقلين الإنس والجن.

﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: في ظرفية، هذا، الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة القرآن: الكريم وسُمِّي قرآناً؛ لأنّه مقروء من السّطور ومقروء في صدور الحفظة.

﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: ضرب المثل غايته توضيح أو تقريب مسألة ما إلىٰ الأفهام والعقول بضرب شيء معنوي بشيء حسي مثلاً.

من: ابتدائية، كل: للتوكيد من كلّ مثل يحتاجون إليه في أمر دينهم.

﴿لَّعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: لا ينسون ما ذُكر لهم سابقاً ويستقيمون علىٰ الصّراط المستقيم، وهذه هي غاية من غايات ضرب المثل وليست الغاية للتسلية والعبث.

[٢٨] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾:

﴿قُرْءَانًا﴾: سُمِّي قرآناً؛ لأنّه مقروء يقرأ من الأسطر أو بالتّلقي.

﴿عَرَبِيًّا﴾: أنزل بلسان عربي مبين، فلا عذر لهم من عدم فهمه وتدبره، ومعرفة معناه وغايته.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾: غير: تفيد المغايرة؛ أيْ: بريئاً من الاختلاف والتّناقض والتّضاد واللبس والشّك، أيْ: بريئاً من العوج: العِوج بكسر العين مختص بما ليس مرئياً، ويشمل الرّأي والقول، والعَوج بفتح العين: مختص بما هو مرئي.

﴿لَّعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَتَّقُونَ﴾: الشّرك والكفر والمعاصي ويطيعون أوامر الله ويتجنبون نواهيه أو يتقون النّار، يجعلون بينهم وبينها حاجزاً.

يتقون بصيغة المضارع لتدل على التّجدُّد والتّكرار.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من هذه السورة، وإلى الآية (٧٤) من سورة النّحل.

﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾: التّشاكس الاختلاف يتنازعون فيه، وقيل: رجل شكس: صعب الخلق شرس الطّباع، أيْ: عبد لعدة أسياد لا يعرف كيف يرضي كلاً منهم؛ لأنّهم متشاكسون.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾: سلماً، أيْ: قد سَلِمَ من غير منازع، أيْ: يأخذ كلّ الأوامر من سيد ومالك واحد مرتاح يعرف ما يرضي سيده. والسَّلم: الذل والاستسلام الكامل الشامل لله وحده.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾: أيْ: هل يستوي عبد مملوك لجماعة متشاكسين:

مختلفين. أخلاقهم سيئة فهو في حيرة من أمره أيهم يُرضي، وعلىٰ أيهم يعتمد، وهذا مثل المشرك الّذي يعبد عدة آلهة فهو مرهق وظالم لنفسه باتخاذ كلّ أولئك الآلهة والأولياء، وعبد موحِّد مملوك خالص لإله واحد ليس له غيره يعرف كيف يرضي سيده.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام والتّقرير، وهل آكد من الهمزة في الاستفهام، كما لو قال: أيستويان.

﴿يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: مثلاً: ولم يقل: مثلين؛ لأنّ كلّ منهما يكفي عن الآخر، وفي هذا المثل الحث علىٰ التّوحيد أو ترك الشّرك، والأمر الثّاني توكيد للمثل الأول فهما مثل واحد.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الّذي لم يجعل له شريكاً ولا ولداً، أو الحمد لله علىٰ ضرب المثل، وتبيُّن الحق من الباطل وإقامته الحُجَّة عليهم أو الكلِّ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحق فيشركون به، ويجعلون له ولداً أو ندّاً أو شريكاً.

ولا يظن أحدٌ خطأ أنّ الحمد لله هنا يعود علىٰ أنّ أكثرهم لا يعلمون وقد تكون عائدة إلىٰ الآية القادمة (٣١) بل أكثرهم لا يعلمون أنك ميت وأنّهم ميتون.

[٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾:

هذه الآية قد تكون تتمة للآية: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وقد يعلمون، ولكنّهم يتجاهلون الموت.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد الخطاب لرسول الله ﷺ ويجب أن نفرق بين:

﴿مَيِّتٌ﴾: بفتح الميم وتشديد الياء، تعني أن الموت لم يحدث بعد، سيحدث في المستقبل، وأما سكون الياء (لو سُكنت الياء) كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]؛ فذلك يدل علىٰ أن الموت حدث وانقضىٰ.

أي: لا بُدَّ من المسارعة إلىٰ الإيمان، فليس هناك زمن طويل ولا ينتهي الأمر بالموت، بل هناك الاختصام والفصل والحكم عند الرّب الحكيم، ولو قارنا هذه الآية مع الآية (١٥) من سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ فقد أكد في سورة المؤمنون بزيادة اللام لام التوكيد؛ ارجع إلىٰ سورة المؤمنون للبيان.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿إِنَّكُمْ﴾: أيْ: إنك وإياهم غلب ضمير المخاطب علىٰ ضمير الغائب.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: هذا دليل علىٰ أنّ محمّداً ﷺ سوف يخاصم قومه، أيْ: يحاججهم بأنّه بلغهم الرّسالة وأدّىٰ الأمانة، الاختصام: هو التّنازع في الأمر يحدث أمام رب العالمين يستدعي القضاء والفصل.

يوم القيامة: يوم الفصل يوم تصفية المنازعات والقضاء فيه يتخاصم الكافر والمؤمن والظّالم والمظلوم حتّىٰ أن النّفس تجادل عن نفسها كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

❖ ❖ ❖

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ۚ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

سورة الزّمر [الآيات ٣٢ - ٤٠]

[٣٢] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: استفهام يحمل معنىٰ الإنكار والتّعجب.

﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: الجواب: لا أحد أظلم من هذا الّذي يكذب علىٰ الله أظلم علىٰ وزن أفعل وأفظع وأعظم الكذب علىٰ الله بأن يزعم أنّ لله ولداً أو شريكاً أو صاحبة، أو يقول: أوحي إليَّ ولم يُوحَ إليه شيء وغيرها من أنواع الافتراء والاختلاق.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بالقرآن والإسلام والنّبي والتّوحيد والبعث والحساب والجزاء والباء للإلصاق واللزوم، وسُمِّي الصّدقَ؛ لأنّه كلام الله سبحانه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النّساء: ٨٧].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النّساء: ١٢٢].

كذَبَ وكَذَّب: الأولىٰ كَذَبَ بالتّخفيف والثّانية كذَّب بالتّشديد فيها مبالغة في الكذب والكثرة، أيْ: تكذيبه للقرآن كان أشد وأكثر تنوعاً.

كقوله: سحر وشعر وإفك وأساطير الأولين وافتراء.

﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾: إذ ظرف للزمان الماضي ويفيد الفجأة، أيْ: مجرد أن سمع

آياته كذبها أو فاجأه بالتّكذيب مقارنة بمن تريث ونظر وتمعَّن قبل أن يكذب فما مصير ذلك الظّالم الّذي لا يوجد أظلم منه.

﴿أَلَيْسَ﴾: استفهام تقرير وإثبات وإنكار للتكذيب.

﴿فِي جَهَنَّمَ﴾: في ظرفية، جهنم: كلمة مشتقة من الجِهام: القعر البعيد، وسميت بجهنم لبعد قعرها. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿مَثْوًى﴾: كلمة لا تستعمل في القرآن إلا مع جهنم فقط، ويعني مكان الإقامة الجبرية المؤبدة (كالحبس) ويعني: مكاناً ضيقاً غير متسع ومطبقاً عليهم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٥١) لمزيد من البيان، ومعرفة الفرق بين مثوىٰ ومأوىٰ.

﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾: اللام للاختصاص والاستحقاق، الكافرين: جمع كافر تدل علىٰ العمل، أيْ: كفرهم ولم يقل: الكفار، الكفار تدل علىٰ المبالغة وكثرة العدد والصنف مقارنة بالكافرين. الكافرين: التي تدل علىٰ الحدث أو الفعل.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾:

﴿وَالَّذِي﴾: اسم موصول يفيد المدح، أيْ: رسول الله ﷺ وقد تعني: جبريل عليه السّلام، والّذي صدق به محمّد صلىٰ لله عليه وسلم.

﴿جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾: بالقرآن والإسلام دين الحق الباء للإلصاق، أيْ: هو الصّدق بذاته.

﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾: أمثال صحابة رسول الله ﷺ، أمثال أبي بكر وخديجة

رضي الله عنهما وعمر وعثمان وعلي وسائر المؤمنين، وقد تعني: من صدق به أيضاً من النّاس.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد وتفيد المدح وعلو المنزلة.

﴿هُمُ﴾: تفيد التّوكيد، أيْ: هم المتقون حقاً، أو إذا كان هناك متقون فهم المتقون لا غيرهم.

﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: جملة اسمية تفيد الثّبوت ثبوت التّقوىٰ كصفة لهم، أي: المطيعون لأوامر الله تعالىٰ والمجتنبون لنواهيه.

[٣٤] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿لَهُم﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿مَّا يَشَآءُونَ﴾ ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية ما يشتهونه ويتمنونه أو يحبون، ما: عامة وتعني: منتهىٰ الغاية والطّلب.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: عند: ظرف مكان أو زمان هذه العندية في الآخرة هي أفضل وأشرف العنديات علىٰ الإطلاق، عندية السّلام والأمن والقرار.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة في الآخرة واللام للبعد، ويشير إلىٰ النِّعم وما يشتهون.

﴿جَزَآءُ﴾: الجزاء يكون من جنس العمل، وفيه معنىٰ المقابلة مقابلة الشّيء بالشّيء مقابلة الحسنة بعشر أمثالها، أو (٧٠ ضعف)، أو (٧٠٠ ضعف)، أو أكثر من ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ولم يقل: جزاء المتقين، بل رفعهم إلىٰ منزلة المحسنين وجزاهم الله كما يجزي المحسنين بفضله وكرمه.

المحسنين: جمع محسن صفة الإحسان أصبحت ثابتة لهم، ولمعرفة معنىٰ الإحسان ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة للبيان.

[٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ﴾: اللام لام التّعليل، يكفر: الكفر هو السّتر ويعني يمحو الله عنهم أسوأ الّذي عملوا.

﴿عَنْهُمْ﴾: تعود علىٰ المتقين.

﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾: أي: الكبائر (السّيئات هي الصّغائر) وهذه بشرىٰ من الله تعالىٰ، أيْ: يغفر الذنوب جميعاً، وهذا من فضل الله تعالىٰ وسعة رحمته.

وهناك أعظم درجة من ذلك، وهي أن يبدل الله سبحانه سيئاتهم حسنات، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: ويجزيهم أجرهم: الأجر مقابل العمل، بأحسن: الباء للإلصاق علىٰ وزن أفعل التّفضيل.

الّذي: اسم موصول معرفة ويعني: الإيمان والتّصديق ويعني: ذلك الجزاء جزاء خاص بهم وحدهم.

كانوا يعملون: في الحياة الدّنيا من الأعمال الصّالحة.

يعملون تضم الأقوال والأفعال.

فآية الزّمر هذه وآية العنكبوت (٧) جاءتا بقوله: ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أيْ: جزاء خاص بهم وحدهم.

أما آية النّحل آية (٩٧) فجاءت بقوله تعالىٰ: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ما: عامة ونكرة فالجزاء في آية النّحل جزاء عام لكلّ مؤمن ومؤمنة كقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾. ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (٩٧) للبيان، ومعرفة الفرق بين الآيتين.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾:

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير وتثبيت والجواب بلىٰ.

﴿ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾: الباء في بكاف للتوكيد، عبده: محمّد ﷺ أو أي عبد من عباده، بكاف عبده شر من عاداه من الكافرين والّذين حاولوا قتله أو إخراجه أو تثبيته.

وكاف عبده بالرّزق والإنعام عليه بالعافية وما يحتاجه في دنياه.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: إضافة النّون في يخوفونك بدلاً من يخوفوك تدل علىٰ التّوكيد ويخوفونك جهلاً وضلالاً.

بالّذين من دونه: أيْ: بالآلهة والأوثان والأصنام، من دونه: من غير الله

فلا تخف فإنّ الله ناصرك وعاصمك من النّاس وتخويفهم هو عبثاً وباطلاً والتّخويف بإصابتك بالضّر أو المكروه.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: من شرطية.

يضلل الله: الله سبحانه لا يُضل أحداً أبداً أيْ: من يُضلل ويختار لنفسه طريق الضّلال والفساد ويصر على ذلك بسبب فسقه وظلمه، ويبتعد بعيداً عن دينه، فما له من هاد يهديه.

فما له من هاد: الفاء للتوكيد، ما النّافية، له: اللام للاختصاص، من: استغراقية، هاد: يهديه أو يعيده إلى الطّريق الحق والهداية والرّشاد، إلا الله وحده.

[٣٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: يوفقه للإيمان والإسلام والتّقوى والعمل الصّالح، أيْ: هذا المهتد هو الّذي اختار لنفسه طريق الهداية وسار فيها وطلب المساعدة والعون من الله سبحانه فالله سبحانه وعده بالزّيادة في الهدى والتّقوى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمّد: ١٧].

﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾: الفاء جواب شرط، ما: النّافية، له: اللام لام الاختصاص، من استغراقية تستغرق أيَّ إنسان أو جنٍّ. مضل: اسم فاعل يدل على الثبوت.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة همزة استفهام تقريري.

﴿بِعَزِيزٍ﴾: البـاء للتوكيد، عزيز، أيْ: قوي لا يُغلـب ولا يُقهر وممتنع لا يضره ولا ينفعه أحد.

﴿ذِي ٱنتِقَامٍ﴾: قادر على أن ينتقم ممن عاداه أو عادىٰ رسوله ﷺ وعباده المؤمنين أيْ: أليس الله بغالب وقاهر لكلّ شيء الجواب بلىٰ.

[٣٨] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾:

﴿وَلَئِن﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو النّدرة.

﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: الخطـاب موجَّه إلىٰ رسـول الله ﷺ وغيره من المؤمنيـن، اللام للتوكيد والنّون فـي ليقولن لزيادة التّوكيد، من: اسـتفهامية، خلق السّموات والأرض: ارجع إلىٰ سورة فصلت آية (٩ - ١٢) وسـورة الأنبياء آية (٣٠) فهم يعترفـون ويقرون بأنّ الخالق هو الله، ومـع ذلك لا يعتبرون ذلك دليـلاً علىٰ وحدانيته وقدرتـه، فيلجؤون إلىٰ عبادة الأصنام والآلهة ظانين أنّها تشـفع لهم أو تقرِّبهم عند الله زلفىٰ، وما لهم بذلك من علم إلا اتباع الظّن.

ثم يطلب من رسول الله ﷺ أن يسألهم سؤالاً آخر.

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أفرأيتم: الهمزة للاسـتفهام التّقريري والإنكار، أرأيتم: أيْ: أخبروني بعلم، ما: لغير العاقل وتشمل العاقل.

﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ما تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة وعيسى وعزير والملائكة.

﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الفرض وتدل على النّدرة والقلة في الحدوث، بضُر: بضم الضّاد الباء للإلصاق، بضر بصيغة النّكرة لتشمل كلّ أنواع الضّر من مرض وفقر وشدة وخوف. وأما الضَّر: بفتح الضّاد: فضد النّفع.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام تفيد النّفي.

﴿هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: هل الأصنام والأوثان قادرة على أن تزيل ضُره أو ترفعه عنهم.

﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾: من صحة أو غنى أو خير أو أمن أو أي رحمة مهما كانت.

﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾: أيْ: مانعات رحمته أن تصل إلى العبد الجواب لا واستعمل صيغة التّأنيث؛ لأنّهم كانوا يسمون الآلهة باللات والعزة ومناة الأخرى تسمية الأنثى، وتكرار (هل هن مرتين) يفيد التّوكيد ونفي كلٍّ منهما على حِدَةٍ كشف الضّر أو الإصابة برحمته أو كلاهما.

﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: الخطاب موجَّه إلى رسول الله ﷺ إن أجابوك بقولهم بلا فهم قد أقروا بالحق، وإن لم يجيبوك أو امتنعوا عن الإجابة، فقل عندها: حسبي الله، أيْ: يكفيني الله في دفع الضّر عني

أو جلب الخير لي أو الرّحمة؛ لأنّ هذا الجواب يقيم عليهم الحُجَّة وما أنت بحاجة إلىٰ أحد سواه أبداً.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: تقديم الجار والمجرور للدلالة علىٰ القصر أيْ: عليه وحده يتوكل المتوكلون، جمع متوكل، المتوكلون أعلىٰ درجة من المؤمنين، فكل متوكِّل مؤمن، وليس كلّ مؤمن متوكِّلاً.

ويتوكل المتوكلون: بصيغة المضارع؛ لأنّ عملية التّوكل مستمرة ودائمة لا تتوقف والتّوكل يعني: تقديم كلّ الأسباب أولاً، ثم تفويض الأمر لله حتّىٰ يساعدك علىٰ تحقيق الغاية المرجوة. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان المزيد في معنىٰ التوكل.

[٣٩] ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿يَٰقَوْمِ﴾: يا أداة نداء ينادي الأعلىٰ الأدنىٰ يا قوم نداء فيه عطف ومحبة.

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: أي: ادعوهم إلىٰ الإيمان أولاً والتّصديق بما أنزل الله تعالىٰ، فإن لم يستجيبوا لك ولم تفلح أيُّ الحجج معهم والبراهين الّتي تثبت بطلان عبادتهم لتلك الآلهة، عندها قل لهم: اعملوا علىٰ مكانتكم.

﴿مَكَانَتِكُمْ﴾: ولها معانٍ مختلفةٍ، قد تعني: المكان مكان الإقامة أو المكانة الدّرجة والمنزلة الاجتماعية أو الطّريقة العادة والسُّنة، أو التّمكين في الأرض: القدرة والطّاقة، وتعني هذه الآية: أي: استمروا وابقوا علىٰ حالتكم من

العناد والإعراض وعدم الإيمان والاستكبار والتّكذيب، أو اعملوا ما في وسعكم (طاقتكم) من الكفر والعناد أو جهدكم.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: وأنا عامل على مكانتي في تبليغ الرّسالة والدّعوة إلى الله والحرص على هدايتكم، أو عامل أقصى استطاعتي أو جهدي في تبليغ رسالتي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتأكيد، سوف للاستقبال البعيد والتّراخي في الزّمن، أيْ: سوف تعلمون بعد موتكم أو بعثكم.

وفي الآية تهديد ووعيد لكلّ كافر أو مشرك، ولم يقل: فسوف تنظرون؛ لأنّ سوف تعلمون أوسع في المعنى؛ لأنّ العلم أوسع وأعم من النّظر أو البصر؛ لأنّ العلم يأتي من كلّ جهة ومصدر وكل زمن تنظرون الجهة محددة ومقصورة على الرّؤيا والحادثة المعينة.

لنقارن هذه الآية (٣٩) من سورة الزّمر وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مع الآية (٩٣) من سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

نلاحظ أنّه في آية الزمر استعمل قل يا قوم واستعمل معها في نهاية الآية فسوف تعلمون القائل هو رسول الله ﷺ، والتهديد والوعيد فيها أشد؛ فقد جاءت في سياق الدعوة والتبليغ، ونلاحظ في آية هود استعمل يا قوم (من دون قل) استعمل معها سوف من دون الفاء والسبب قد يعود أنه حين استعمل قل يا قوم ناسب التّوكيد بفاء التّعقيب والمباشرة فقال فسوف، وعندما لا يستعمل قل لا يؤكد فيأتي بـ(سوف)، والقائل هنا هو شعيب عليه السلام، وليست في سياق الدعوة

والتبليغ؛ فالتهديد والوعيد فيها أقل، وعلىٰ حافظ القرآن أن يتذكر ذلك؛ أي: (قل يقابلها فسوف، بدون قل يقابلها سوف).

[٤٠] ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿مَن﴾: ابتدائية وهي هنا اسم موصول بمعنىٰ الّذي وتشمل المفرد والمثنىٰ والجمع وللعاقل، بينما الذي تشمل المفرد فقط؛ فسوف تعلمون الّذي يأتيه أو هي اسم استفهام فهي تعني من الّذي يأتيه عذاب يُخزيه.

﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: أيْ: يفضحه ويُذله الله في الدّنيا.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: أيْ: دائم مستمر لا ينقطع ولا يخفف وهو عذاب الآخرة.

ولماذا اختار كلمة يحل عليه بدلاً من يأتيه عذاب مقيم؟

لأنّ يأتيه تحمل معنىٰ احتمال أن يأتيه ثم يذهب عنه ويزول ولا يستمر أيْ: غير دائم مثل عذاب الدّنيا حتّىٰ ولو استمر ينتهي بموته بينما يحل عليه عذاب مقيم يعني: ثابت لا يتغير ولا ينقطع وهو عذاب الآخرة.

❖ ❖ ❖

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي
لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ
قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

سورة الزّمر [الآيات ٤١ - ٤٧]

[٤١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: للتعظيم.

﴿أَنزَلْنَا﴾: ولم يقل: نزلنا، أنزلنا تعني: جملة واحدة أو دفعة واحدة، الكتاب من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا ليلة القدر.

ونزلنا تعني: منجماً علىٰ دفعات بشكل تدريجي خلال (٢٣) سنة وفقاً للحوادث.

﴿عَلَيْكَ﴾: ولم يقل: إليك، عليك تعني الجهة، أيْ: من السّماء، تفيد العلوية وتفيد الاستعلاء والمشقة، عليك تأتي في سياق الدّعوة إلىٰ الله والتّبليغ مثلاً.

أمّا إليك من إلىٰ التي تفيد كلّ الغايات (البداية والنّهاية أو ما بينهما)، وإليك تفيد أو تعني الانتهاء. أيْ: أنزلنا إليك: أنزلنا الكتاب لينتهي أو يصل إلىٰ أمتك. ارجع إلىٰ الآية (٢) من نفس السورة، والآية (٤) من سورة البقرة لمزيد من البيان في أنزلنا عليك وإليك.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن وجاء بأل التّعريف للدلالة علىٰ الكمال، أي: الكتاب الكامل التّام وسُمِّي الكتاب؛ لأنّه مكتوب في اللوح المحفوظ ومكتوب في السّطور ولمزيد من البيان في كلمة الكتاب. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢).

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص أيْ: للناس كافة والنّاس مشتقة من النّوس أي: الحركة وتشمل الثّقلين الإنس والجن.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والملازمة أيْ: هو الحق، والحق هو الكتاب. والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، أو يتبدل، وليس هناك غيره.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: الفاء للتوكيد، من قد تكون اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو استفهامية تعني: من الّذي يهتدي.

﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: الفاء للتوكيد واللام لام الاستحقاق أو الملكية أيْ: لصالح نفسه أو يفيد نفسه أي: الهداية تعود عليه بالنّفع.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾: مثل من اهتدىٰ.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما للحصر والتّوكيد.

﴿يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: علىٰ تفيد الاستعلاء، أيْ: وبال أو عاقبة ضلالة واقع عليه.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: ما النّافية، أيْ: ما أنت مكلف بالدّفاع عنهم أو مسؤول عنهم وعن هدايتهم، كما في قوله: وما أنت عليهم بجبار، أيْ: لا تستطيع أن تجبرهم علىٰ الإيمان، إنّ عليك إلا البلاغ والبيان.

﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء للتوكيد.

[٤٢] ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: قدَّم الفاعل علىٰ الفعل ليدل علىٰ الحصر والقصر، أيْ: هو وحده القادر علىٰ ذلك.

﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾: يتوفى لها معانٍ عدة الاستيفاء والتّمام أيْ: يسترد الأمر أو الشّيء تاماً ولها معنى الموت.

﴿ٱلْأَنفُسَ﴾: جمع نفس والنّفس ليست هي الرّوح كما دلت البراهين والأدلة العلمية، وهذا قاله ابن عباس: إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشّمس فالنّفس الّتي بها العقل والتّمييز، والرّوح هي الّتي تبعث الحياة في كلّ الجسم وكلّ عضو؛ العين والبصر والعقل والقلب والرّئتين وغيرها.

أمّا النّفس: تعني شيء محسوس لها علاقة بالحركة بشكل عام؛ فهي قد تتمثل بمنطقة الوعي والإدراك والذاكرة والتّمييز والأحاسيس والإرادة والنّطق (الكلام) والضّحك والبكاء والنّوم. والّتي سماها ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] وتشير البحوث العلمية أنّها تقع في الفص الجبهي للدماغ، والّتي يمكن تعطيلها بالنوم (بما تفرزه الغدد من هرمونات تؤدي إلى النوم)، وعدم الحركة، وكما نراه يحدث حين حقن المادة المخدرة، كما يحدث في عمليات الجراحة فينام المريض ولا يشعر بالألم، وتبقى الروح سارية في الجسم بدون أن تتأثر.

فالله سبحانه في هذه الآية يدلنا على عظمته وقدرته. فهو يتوفى الأنفس في حالتين حين موتها: عند خروج الرّوح من البدن (بالموت أو القتل) وخروج الرّوح يؤدّي إلى وفاة النّفس، فحين تخرج الرّوح تموت النّفس أو تتعطل وحين تبقى الرّوح وتتعطل النفس (يتوفى الأنفس) كما يحدث في النّوم، وغيره من الحالات، وهناك فرق بين الأنفس والنفوس؛ الأنفس: عادة تدل على جمع قلة، والنفوس: تدل على جمع كثرة، وتشمل كل النفوس، ونحن نعلم أن جمع القلة إذا دخلت عليه أل التعريف، أو الاستغراق يتحول إلى جمع كثرة بمعنى لكل الأنفس، ولماذا لم يستعمل كلمة نفوس التي هي للكثرة ما دامت الأنفس جمع

كثرة، والنفوس جمع كثرة من البداية؟ لأن العرب تختار عادة وتفضل اللفظ الخفيف (الأنفس)، ولا تختار أو تفضل اللفظ الثقيل (النفس).

﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾: أي: الله سبحانه يتوفى النّفس عند النّوم والرّوح ما زالت تعمل في البدن، أيْ: يعطل عمل النّفس عند اللزوم ويتم ذلك بإفراز هرمونات خاصة تسري في الدّم وتعطل عمل النّفس ينام الإنسان في تلك الفترة، وإذا أراد الله سبحانه أن يبعث النّفس مرة أخرى في البدن عندها يستيقظ النّائم، ويتكرر ذلك كل ليلة إلى أن ينقضي أجله، وإذا أراد أن يمسكها يبقيها إلى فترة طويلة يصاب الإنسان بسبات، أيْ: فقد الوعي يستمر إلى مرحلة حتّى يستيقظ من سباته أو تقبض روحه (تخرج) وتموت معها أو تتعطل معها النّفس حتّى تبعث في القبر.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: إن: تفيد التّوكيد.

﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: في ظرفية، ذلك تَوَفِّي الأنفس عند الموت وعند النوم.

﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾: اللام لام التّوكيد.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، أيْ: ينتفع بها القوم الّذين يتفكرون، التّفكر: هو النّظر في الدّلائل (الآيات) للوصول إلى الحقيقة وهي أنّ الله هو الإله الحق الّذي يجب أن يعبد وحده ولا يشرك به، وأنّه الخالق المصور والبديع والفاطر لقوم يتفكرون بقدرته وعظمته في الخلق والتدبير والسيطرة، يتفكرون بخلق الإنسان وما أودع الله سبحانه فيه من أسرار الخلق التي يكتشف بعضها علماء الطب في كل يوم.

[٤٣] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾:

بعد أن بيَّن الله سبحانه القدرة العجيبة على تَوَفِّي الأنفس ما كان يصح أو يُعقل أن يتخذوا شفعاء من دونه.

﴿أَمِ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾: جعلوا أو صيَّروا، اتخذوا من اتخذ على وزن افتعل فيها معنى التّكلف والمشقة.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿شُفَعَآءَ﴾: جمع شفيع، كي يشفعوا لهم عند الله، ولتعريف الشّفاعة ارجع إلى سورة النّساء آية (٨٥).

أي: بدلاً من أن يسألوا الله المغفرة والعفو سألوا الآلهة والأصنام أن تكون واسطة لهم، وليس هناك داعٍ لذلك إلا قصر عقولهم، وللشفاعة شروط على كل حال:

الأول: هو أن يأذن الله تعالى للشافع أن يشفع ويأذن للمشفوع له.

الثّاني: أن يكون المشفوع له من أهل التّوحيد ويستحق الشّفاعة.

فهذه الشّفاعة الّتي يرجونها باطلة وغير مقبولة عند الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: قل لهم يا رسول الله

أَوَلَوْ: الهمزة للاستفهام للتوبيخ والتّقريع.

كانوا لا يملكون: لا يملكون مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك.

﴿شَيْـًٔا﴾: والشيء: هو كل ما يُعلم ويُخبر عنه سواء أكان حسياً، أم معنوياً، والشـــيء: أقل القليل، وشيئاً: نكرة تشمل أي شيء من مقومات الشفاعة، ومهما كان نوعه.

ولا يعقلـــون تكرار لا النّافية تفيد التّوكيد وفصل لا يملكون عن لا يعقلون فهم لا يملكون شـــيئاً ولا يعقلـــون ولا كلاهما معاً ولا يعقلـــون؛ لأنّهم أصنام وحجارة ليس لها عقول، أو هم ليس لهم عقول حقة يعقلون بها.

[٤٤] ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا رسول الله.

﴿لِّلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص، وتقديم لله يفيد القصر.

﴿ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾: لتعريـــف الشّـــفاعة ارجع إلى الآية (٨٥) من ســـورة النّساء.

جميعاً: للتوكيد، أيْ: هو بيده الشّفاعة جميعاً فلا يشفع أحد إلا بإذنه ولمن يشاء الله ويرضى، أيْ: هو مالك الشّفاعة جميعاً.

﴿لَّهُۥ﴾: تقديم الجار والمجرور له يدل على الحصر والقصر له وحده ملك السّموات الأرض ولا شريك له.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فهـــو الحاكم والمالك للســـموات والأرض والشفاعة لا تتم إلا بإذن من الحاكم والمالك للشّفاعة جميعاً.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي الزّمني.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم إليه يفيد الحصر، أيْ: إليه وحده.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: يوم القيامة للحساب والجزاء على شرككم وكفركم ترجعون قسراً من دون اختيار أو إرادة.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾: من دون ذكر آلهتهم، أيْ: ذكر الله بالتّوحيد، أيْ: قيل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

﴿ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾: الشّمْز: وهو نفور النّفس مما تكره أو ضيق في النّفس وغم ويظهر أثره على الوجه، اشمأز: انقبض واقشعر أو ذعر والمشمئز: النّافر والكاره المذعور.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾: أي: لا يصدقون بالبعث والحساب والجزاء.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية تفيد حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: أي: الآلهة أو الأصنام والشّركاء من دونه من سواه إذا هم يستبشرون.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يشعرون بالسّرور والفرح والاستبشار هو امتلاء القلوب سروراً يظهر ذلك على بشرة الوجه، يستبشرون: لفرط ارتباطهم بالأصنام وميلهم إلى الشّركاء ولأنّهم يظنون أنّهم يشفعون لهم أو يقربوهم عند الله زلفى.

[٤٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اللهم عبارة عن لفظ الجلالة (الله) ألحقت به الميم المشددة بدلاً من حرف النّداء الياء (يا الله) الّتي تفيد البعد؛ لأنّه سبحانه قريب وأقرب إلينا من حبل الوريد، وتحولت إلىٰ (اللهم).

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فاطر: الّذي أخرج وأظهر للوجود السّموات والأرض.

فاطر: اسم فاعل من فعل فطر، شق فظهر وقيل: تفطر الشّجرة إذا تشقق بالورق، وفطر السّموات والأرض أوجدهما وأظهرهما ولا يقال: فاطر إلا لله وحده.

﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٣) من سورة الأنعام للبيان.

﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أنت: للتوكيد، تحكم: تفصل، ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٦٢) لبيان معنىٰ تحكم.

فيما: في ظرفية، ما: تعني الّذي أو مصدرية.

كانوا فيه يختلفون: أيْ: في الدّنيا. في أمور الدّين والعبادات والعقائد ومن كلّ علىٰ الحق أو الصواب أو من كان علىٰ الباطل أو الخطأ.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾:

﴿وَلَوْ أَنَّ﴾: لو: شرطية، أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: اللام للاختصاص، ظلموا: أشركوا أو ظلموا أنفسهم بالشّرك والمعاصي أو خرجوا عن منهج الله تعالىٰ؛ مما أدّىٰ ظلم أنفسهم وإيقاعها في التّهلكة.

﴿مَافِي ٱلْأَرْضِ﴾: من أمـــوال وملك وذخائر وخزائن وأشـــياء ثمينة وعلىٰ فرض أنّهم يملكون ذلك.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾: وعلىٰ فرض أنّه مضاعف؛ أي: ضعفين.

﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾: اللام لام التّعليل.

افتدوا به: أيْ: علىٰ فرض قدَّموه ومثله معه فداءً لهم للنجاة.

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أشد العذاب كماً ونوعاً وأفظعه ما تُقبل منهم.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾: بـــدا لهم: أظهر وبان لهم كثير من الحقائق لم تكن تختطر علىٰ بالهم.

١ - كثيراً من السّيئات دون أن يشعروا بها أنّها سيئات.

٢ - كثيراً ما عملوا من السّيئات نسوها وأحصاها الله.

٣ - كثيراً مما زين لهم الشّيطان من السّوء فرأوه حسناً.

٤ - أن الآلهة والأولياء وعيسىٰ والملائكة وغيرهم لن يشفعوا لهم.

٥ - أن سادتهم وكبرائهم يتبرؤون منهم.

٦ - أن أعمالهم قد حبطت وأصبحت هباءً منثوراً بسبب شركهم ورياءهم.

٧ - ظهر لهم من غضب الله وعذابه ما لم يكن قط في حســـابهم ولم يحدثوا أو يفكروا به.

❖ ❖ ❖

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن
رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

ربع الحزب ٤٧

سورة الزّمر الآيات [٤٨ - ٥٦]

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾: ظهر وبان لهم.

﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: سيئات جمع سيئة والسّيئة هي كلّ ما يسوء النّفس، أيْ: تظهر لهم كلّ أعمالهم السّيئة القبيحة حين يقرؤون كتبهم، كما قال تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

ويظهر لهم بعدها جزاؤها وعقوبتها والجزاء من جنس العمل.

﴿مَا﴾: الّذي أو مصدرية.

﴿كَسَبُوا﴾: من الكفر والشّرك والفسق والعصيان.

استعمل كسبوا بدلاً من اكتسبوا لتدل علىٰ أنّهم كانوا يعملون السّيئات مثل المعاصي والشّرك والكفر من دون مشقة أو افتعال أو حذر أو خوف أن يطلع عليها النّاس وأنّهم مارسوها دون تكلف فأصبحت سهلة وأمر عادي وأما كسبوا فعادة تستعمل لأفعال الخير والحسنات.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاط بهم أو نزل بهم العذاب الّذي كانوا به يستهزؤون حيث كانوا لا يظنون أنّه واقع بهم أو كانوا يستعجلونه كقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿مَا﴾: عامة تشمل كلّ ما كانوا به يستهزؤون سواء بالله أو آياته أو رسله أو الدّار الآخرة أو الجنة أو النّار.

والاستهزاء يعني: التّصغير والحط من شأن الآخر أو الشّيء والعيب والاستخفاف به من دون أن يقوم المستهزئ به أي بعمل سابق يستحق الاستهزاء به، كما هو الحال في السّخرية الّتي يسبقها فعل من المسخور منه، وفيها معنى التّذليل.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: جاء الله سبحانه بهذه الآية لتبين عمى بصيرة بعض الجاحدين لنعم الله، أو غير الشاكرين لله تعالى.

﴿فَإِذَا﴾: إذا ظرفية زمانية شرطية، تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾: ارجع إلى الآية (٨) من نفس السّورة (الزّمر).

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾: ثم: للترتيب الذّكري، إذا: ظرفية شرطية تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿خَوَّلْنَٰهُ﴾: أعطيناه أو آتيناه، ولا تعني: التّمليك.

﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾: النّعمة تعريفها: هي ما يهبه الله لعبده من خير أو يمنحه نعمة أو منفعة أو يدفع عنه مضرة.

نعمة نكرة للتعظيم، ولتشمل كلّ أنواع النّعم الظاهرة والباطنة مثل الصّحة

والعافية والغنى والأمن والرّخاء، منا: نعمة عامة ولم يقل من لدنا أو عندنا الّتي تدل على أنّها نعمة خاصة.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: زعم الجاحد والمشرك أنّ هذه النّعمة بسبب علمه أيْ: قدرته ومعرفته وخبرته كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨]، أو زعم باطلاً أنّ الله علم أنّه يستحق ذلك، وهو أهل لذلك فأعطاه ما دعاه إليه، وهذا ليس بصحيح.

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾: بل للإضراب الإبطالي.

هي: للتوكيد.

فتنة: ابتلاء؛ أي: ما يجريه رب العزة على عباده لاختبارهم والفتنة أشد من الاختبار وأبلغ، وتكون في الخير والشّر، ولا يقصد بالفتنة هنا تغير حاله من الضّراء إلى السّراء فقط، وإنما المراد بها معرفة شدة كفره وجحده لنعم الله أو شكره للمنعم (ليشكر أو يطغى) وكذلك فتنة إذا لم يعطها له ولم يستجب دعائه.

ونتيجة الفتنة لتكون حُجَّة عليه أو حُجَّة له، والله سبحانه غني عن أن يفتن العبد لمجرد الفتنة.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أكثر النّاس لا يعلمون أنّها فتنة لتكون حُجة عليهم أو حُجة لهم، والقليل يعلمون أنَّ ما يصيبهم من ضراء أو سراء أو خير أو شر، فتنةٌ.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتّوكيد.

﴿قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أيْ: مثل قولهم: إنما أوتيته على علم عندي، قد قالها قارون من قبلهم، أو غيره من النّاس.

﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: من تفيد الزّمن القريب، قبلهم: تعود على كفار قريش، قد قالها: الهاء هنا تعود على الكلمة إنما أوتيته على علم عندي.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾: الفاء عاطفة، ما النّافية، أغنى عنهم، ما دفع عنهم العذاب أو خففه أو نفعهم.

﴿مَّا كَانُوا۟﴾: تعني: الّذي أو مصدرية أيْ: كسبهم في الدّنيا. وما: أوسع شمولاً من الذي.

كانوا: في الدّنيا.

﴿يَكْسِبُونَ﴾: من متاع ومال وعرض أو عبادة الأصنام أو كفر النّعمة والشّرك حين يكسبون بصيغة المضارع للدلالة تكرار كسبهم، أو عدم توبتهم، أو على حكاية الحال للدلالة على شنيع كسبهم، وكأنّهم يكسبون السّيئات الآن.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾:

﴿فَأَصَابَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أصابهم سيئات ما كسبوا: الضّمير هنا يعود على الّذين قالوا الكلمة (إنما أوتيته على علم)، أصابهم: حل بهم ونزل.

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾: أيْ: جزاء سيئاتهم (أي: العذاب) جزاء الّذي كسبوا في الدّنيا من الكفر والشّرك والظّلم والفسق والمعاصي، ومنه ما كان في الدّنيا من هزيمة ومرض وشدة وقتل، ومنه ما هو قادم يوم القيامة.

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: والّذين أشركوا الظّلم قد يعني الشّرك، أو ظلموا أنفسهم بالخروج عن منهج الله تعالىٰ أو عدم الإيمان.

﴿مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: من ابتدائية استغراقية، هؤلاء تعود علىٰ كفار مكة أو مشركيها أو غيرهم.

﴿سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾: السّين للاستقبال القريب، يصيبهم سيئات ما كسبوا: سيصيبهم العذاب جزاء ما كسبوا من الشّرك والكفر والمعاصي والفسق. ارجع إلىٰ مطلع الآية.

وتكرار ما كسبوا للتوكيد، وقد يكون اكتساب هؤلاء ليس هو نفس هؤلاء؛ لذلك فصل الأول عن الثّاني أو كلاهما.

﴿وَمَا هُم﴾: ما النّافية، هم للتوكيد.

﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾: الباء للإلصاق، معجزين: غالبين أو فائتين من العذاب أو ناجين بالهرب والإفلات من العقوبة.

ثم بيَّن لهم الحق سبحانه وصحَّح لهم اعتقادهم فقال: إنّ الرّزق بيد الله وحده، وليس كما قالوا: إنما أوتيته علىٰ علم عندي.

[٥٢] ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

أو لم يعلموا: هذا أسلوب من أساليب البيان بدلاً من أن يخبرك الله بالخبر

مباشـــرة يأتي لك بالخبر بصورة استفهام ليكون الجواب من المستمع، ولم يقل: أولم يروا، وإنما قال: أولم يعلموا؛ العلم أوسع من الرّؤية.

أي: فليعلموا. ارجع إلى سورة سبأ آية (٣٦) و (٣٩) للبيان.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يوسـع الرّزق لمن يشاء سواء كان صالحاً أو طالحاً أو مؤمنـاً أو كافراً والرّزق لا يعني المال فقط، بـل يعني العلم والصّحة والعافية والأهل والمتاع.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق على من يشـاء، والبسـط والقبض لحكمة يعلمها الله تتعلّق بحال العبد وليس عبثاً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إن للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: التّوسيع والقبض.

﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام للتوكيد.

﴿لِّقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أيْ: آيات ودلائل ينتفع بهـا الّذين يؤمنون فتزيدهم إيماناً مع إيمانهم. ارجع إلى الآية (٣٦-٣٩) من سـورة سـبأ للبيان، ولمعرفة الفرق بين ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعـد:٢٦]، وقولـه تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ [العنكبوت:٦٢].

[٥٣] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

سبب النّزول: كما أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أناساً من الّذين أشركوا وقتلوا وزنوا كبُرَ عليهم ذلك، وقالوا: نبعث إلى

محمّد نسأله أو هم أتوا محمّداً ﷺ فسألوه: هل من توبة؟ فنزلت هذه الآية، وقد ذُكرت أسباب أخرىٰ لنزول هذه الآية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله يناديكم ربكم ويقول:

﴿يَٰعِبَادِيَ﴾: يا النّداء للبعد، عبادي: ولم يقل: عبيدي، عبادي تعني: الّذين اختاروا الإيمان علىٰ الكفر والطّاعة علىٰ العصيان فشرفهم بإضافتهم إليه فقال: يا عبادي. ارجع إلىٰ الآية (١٧) من نفس السورة، والآية (١٨٦) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين عبيد، وعبادي، وعباد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد العموم.

﴿أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أفرطوا في ارتكاب المعاصي والذّنوب والآثام والسّيئات والإسراف هو تجاوز الحد في كلّ فعل يفعله الإنسان مما لا يحله الله تعالىٰ.

﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾: ولم يقل: المسرفين (أي: صفة الإسراف عندهم ثابتة).

أسرفوا: أيْ: يمكنهم الكف عن الإسراف والعودة إلىٰ الاعتدال.

والانتقال من صيغة المخاطب إلىٰ صيغة الغائب للفت الانتباه.

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: علىٰ تفيد الاستعلاء والمشقة؛ لأنّ وبال الإسراف يعود علىٰ المسرف بالضّر والعذاب.

﴿لَا﴾: النّاهية للجنس ولكافة الأزمنة.

﴿تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: القنوط هو أشد اليأس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: تعليل للنهي عن القنوط من رحمة الله تعالىٰ.

يغفر الذّنوب إلا الشّرك والكفر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١١٦].

أي: إذا مات المشرك أو الكافر، ولم يتب، أمّا إذا تاب فإن الله يتوب عليه إن شاء؛ أي: يقبل توبته.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: إنه للتوكيد هو للحصر والتّوكيد.

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة أيْ: كثير الغفـــر أو الغفران ويعني: يمحو الذّنب ويعفو عنه ومهما عظم أو كثر إذا تاب الإنسان وأناب إلىٰ ربه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: كثيـــر الرّحمة صيغة مبالغة علىٰ وزن فعيل رحيم؛ لأنّه لا يعجل بالعقوبة.

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المغفرة قيدها بشروط ثلاثة هي:

١ - الإنابة.

٢ - الإسلام له.

٣ - اتباع القرآن أو السّنة.

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: الإنابة: السّـــرعة في التّوبة والرّجوع إليه بالكف عن

المعاصي والنّدم وعدم العودة إليها وكثرة النّوافل والإحسان ورد الحقوق إلىٰ أهلها.

فلا مغفرة من دون إنابة وتوبة إلىٰ الله وحده.

﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾: أخلصوا له من الشّرك ظاهراً وباطناً بالتّوحيد توحيد الألوهية لا تعبدوا إلا إياه وتوحيد الرّبوبية والصّفات والأسماء، أسلموا له: اعبدوا الله وحده، ولم يقل: له أسلموا.

ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٣٤) معرفة الفرق.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: أن يحل عليكم أو ينزل بكم العذاب في الحياة الدّنيا أو في الآخرة (عذاب القبر أو عذاب جهنم). وهناك فرق بين يأتيكم العذاب، ويحل عليكم العذاب، يأتيكم العذاب؛ أي: يمكن أن يأتيكم ثم يزول وينكشف، أما يحل عليكم: تدل علىٰ الثبوت والدوام وعدم الزوال.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: ثم للترتيب والتّراخي في الزّمن، ثم يوم القيامة، لا: النّافية، تنصرون: في الآخرة، فتجدون أيَّ نصير أو معين يمنع أو يدفع عنكم عذاب الله.

[٥٥] ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ﴾: أحسن علىٰ وزن أفعل، أفعل التّفضيل، اتبعوا: امتثلوا أوامره وتجنبوا نواهيه، أيْ: أحلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه.

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: أي: من الآيات والذكر الحكيم، وأحسن

ما أنزل إلينا من ربنا تعني الصّلاة لوقتها والفرائض الأخرىٰ والإحسان والعبادات القلبية الخشوع والإنابة والتّوكل والخوف والرّجاء والنّصح وغيرها.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأة فلا يستطيع التّوبة أو قد لا تقبل منه.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: غافلون فلا تشعرون بقدومه فبادروا إلىٰ التّوبة والإنابة أو الإسراع في القيام بالأعمال الصالحة، وفي الآية تهديد ووعيد.

وحين يُطلب منكم الإنابة والتّسليم، واتباع أحسن ما أنزل لكي لا تتحسر أنفسكم أو تندم حين لا ينفع النّدم وتقول:

[٥٦] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾:

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿تَقُولَ نَفْسٌ﴾: نفس جاءت بصيغة النّكرة للتهويل أو التّكثير لتشمل كلّ نفس، ومنها نفس الظّالم لنفسه والمقتصد حتّىٰ السّابق بالخيرات.

﴿يَا حَسْرَتَىٰ﴾: يا النّداء، حسرتاه: أصلها يا حسرتي أبدلت ياء المتكلم بالألف، والعرب تحول الياء إلىٰ الألف في كلّ كلام معناه الاستغاثة ليخرج الكلام كالدّعاء، أيْ: يا حسرتي فهذا زمنك.

والحسرة تعريفها ندم أو غم يصيب النّفس بسبب فوت فائدة.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: علىٰ تفيد الاستعلاء والمشقة فرَّطت التّفريط التّقصير أو الغلو.

﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: في طاعة الله تعالىٰ وعبادته وفي حق الله تعالىٰ (واجباته وفرائضه) أو في القرب من اللـــه؛ أي: المكانة أو المنزلة أو الدرجات العلىٰ في الجنة.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: إن للتوكيـــد، أيْ: لم يكتف بالتّقصير بأن ضيع عبادة الله، بل ذهب أبعد من ذلك أن سخر من أهلها، أيْ: ممن يعبدون الله، ومن آيات الله وســـخر من الفرائض والسّنن، وما جاء به الرّسول وذهب إلىٰ أبعد من ذلك بأن فرط في سخريته فأصبحت السّخرية صفة ثابتة عنده.

﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: جمع ساخر والسّخرية: التّحقير ولا تكون إلا في الأشخاص والأفراد أو أعمالهم، ولا بُدَّ من أن يسبقها فعل قام به المسخور منه.

ولِمَ قالت النّفس: وإن كنت من السّاخرين، ولم تقل: من السّاخرات. لأنّ النّفس مؤنثة، وقيل: إنّ النّفس تشـــير إلىٰ صاحبها أو تعبر عن صاحبها (الإنسان) أو النّفس جزء من الإنسان (أي: عبَّر عن الجزء وأريد به الكل).

❖ ❖ ❖

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ
وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

سورة الزّمر [الآيات ٥٧ - ٦٧]

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿أَوْ﴾: ليست للتخيير في هذه الآية، وإنما تقول أيضاً: يا حسرتاه علىٰ ما فرطت في جنب الله، وتقول: لو أن الله هداني وتقول: لو أن لي كرة أخرىٰ فهي نفسها تقول كلّ هذه الأقوال تتمنىٰ ثلاث أماني.

﴿لَوْ﴾: للتمني وليست شرطية، فلو كانت شرطية لكان يعني أنّ قضاء الله سبحانه هو سبب ضلالتهم، وهذا ليس صحيحاً.

﴿أَنَّ﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾: إلىٰ الإسلام أو إلىٰ دينه وطاعته.

﴿لَكُنتُ﴾: اللام لام التّوكيد أو التّعليل.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: جمع متقٍّ، التّقوىٰ: هي طاعة وامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، لكنت من المتقين فأنجو من العذاب ومن سخط الله، أيْ: ما هداني الله وما كنت من المتقين؛ لأنّ الله سبحانه لم يشأ، وهذا الادعاء هو كذب وافتراء، فالله سبحانه أرسل أفضل رسله وأحسن كتبه، وبيَّن له الحق من الباطل والحلال من الحرام، ولم يترك له حُجَّة يحتج بها، وانتبه إلىٰ طمع النّفس والارتقاء، فهي لم تكتف بالقول: لكنت من المؤمنين، بل من المتقين الّذين هم أعلىٰ درجة من المؤمنين، وفي الآية التّالية: لكنت من المحسنين.

انتبه إلىٰ التّدرج في الطّمع في دار الآخرة تدرجت من كونها من السّاخرين

إلىٰ المتقين إلىٰ المحسنين، والسّؤال هنا: لِمَ لَمْ تفعل ذلك وهي في الدّنيا (دار التّكليف).

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿أَوْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٧) للبيان.

﴿تَقُولَ حِينَ﴾: ظرفية زمانية.

﴿تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾: يوم القيامة رؤية عينية حقيقية حين تعاين العذاب. كقوله تعالىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩١].

﴿لَوْ﴾: للتمني وشرطية.

﴿أَنَّ﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿لِي كَرَّةً﴾: لي خاصة، اللام لام الاختصاص، كرة: رجعة أو عودة إلىٰ الدّنيا وكرة اسم مرَّة واحدة.

﴿فَأَكُونَ﴾: الفاء جواب الشّرط، ولم تقل: أكن أو أكُ، بل قالت: أكون صيغة مبالغة من أكن للتأكيد.

﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ولم يقل: من المؤمنين أو المتقين، بل ذهب إلىٰ أعلىٰ درجات الإيمان فقال: من المحسنين، ولمعرفة معنىٰ الإحسان ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة، وقد أخبرنا الله سبحانه في سورة الأنعام آية (٢٨) أنّه لو استجاب له لعاد لما كان عليه سابقاً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

[٥٩] ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب لا يأتي إلا بعد نفي، ولو نظرنا في الآيات لا نرىٰ النّفي الصّريح، ولكن جاء النّفي في قوله: لو أن الله هداني، أي: النّفس تنفي

الهداية عن نفسها؛ لذلك جاء الجواب: بلىٰ هديناك حين جاءتك آياتي، ولكنك اخترت الضّلالة.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى﴾: القرآنيـة والكونية والمعجـزات والدّلائل والبراهين والبينات.

﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾: الفاء للترتيب والمباشـرة، أيْ: كذبت بها مباشرة فوراً بلا تأخير وتريُّث ولم تدرسها أو تتمعن فيها.

﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾: الألف والسّـين والتّاء تعني: الطّلـب، أيْ: طلبت الكبر وأنت لا تملك مؤهلاته أو مقوماته اسـتكبرت عنها شعرت بعظم نفسك فوق ما تستحقه. ارجع إلىٰ سـورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان، والفرق بين استكر، وتكبر، ومتكبر.

﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: ولم يقل: وكنتِ أو استكبرتِ وكذبتِ؛ لأنّ الله سبحانه يخاطب الإنسان ولا يخاطب النّفس.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: الجاحدين سواءً كان كفر عقيدة أو كفر نعمة، لم تشكر الله علىٰ آياته القرآنية أو الكونية، انظر إلىٰ تدرجه في الإسراع في التّكذيب بالآيات، ثم الاستكبار، ثم الكفر، والثبات عليه (الكافرين جملة اسمية تدل علىٰ الثبات).

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾: كذبوا علىٰ الله بالقول بأن الله لم يهدهم ولم يرسل لهم رسـله وكتبه، أو كذبوا علىٰ الله بأن زعموا أن له ولداً

أو شـــريكاً أو صاحبةً أو وليّاً، أو كذبوا بأن قالـــوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمـــران:١٨١]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائـــدة:١٨]، أو قال أحدهم: ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام:٩٣]، وغيرها من المفتريات، أو كذبوا بآياته.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم والتّحقير والكذب على رسول الله ﷺ هو كذب على الله سبحانه.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾: بأن قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:١١٦]، أو نسبوا إليه الشريك، أو قالوا أحل الله، ولم يحل الله، أو حرم الله ولم يحرم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى﴾: رؤية بصرية وليست رؤية قلبية.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾: كقوله تعالى في سورة آل عمران آية (١٠٦): ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

مســـودة: من السّواد والسّـــواد من الظّلمة، وهو كناية عن الكآبة والحزن والغيظ الّذي يصيب الكافر الّـــذي يكذب على الله تعالى، أو كمـــا قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[عبس: ٤٠-٤١]، أيْ: تغشـــاها قترة من الغبار وهو الهواء الممتلئ بالدخان الأسود النّاجم عن الاحتراق في نار جهنم.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير.

﴿فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مثوى، ارجع إلى الآية (٣٢) من نفس السّـــورة لبيان معنى مثوى، وســـورة آل عمران آية (١٥١) لمزيـــد من البيان، والفرق بين مثوى ومأوى، وسورة الرعد آية (١٨) لمعرفة دركات النار.

﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، المتكبرين: جمع متكبر وهو الّذي يرى الكل أدنى منه ويرى في نفســـه الكمال والعظمة وهي رؤية

كاذبة ونظرة باطلة، للمتكبرين: عن الإيمان وطاعة الله تعالىٰ وصفة الكبر عندهم ثابتة مستمرة. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان في المتكبرين.

[٦١] ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

في الآية السّابقة بين حال المتكبرين علىٰ الله يوم القيامة، وفي هذه الآية بين حال المتقين.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾: من النّجاة: من نار جهنم. النّجاة: الخلاص.

ولمقارنة النّجاة بالفوز: الفوز يعني: النّجاة والوصول إلىٰ الغاية أو المطلوب، والنّجاة تعني: النّجاة من المكروه أو الأذىٰ من دون الوصول إلىٰ الغاية.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: الّذين اسم موصول يفيد المدح.

اتقوا: أيْ: أطاعوا أوامر ربهم وتجنَّبوا نواهيه أو اتقوا النّار بإطاعة أوامر ربهم وتجنُّب نواهيه.

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: الباء للإلصاق أو السّببية.

المفازة: علىٰ وزن مَفْعَلة من الفوز مثل السّعادة والمفازة فسرها قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وسبب مفازتهم الإيمان بالله والعمل الصّالح.

بمفازتهم: بسبب فلاحهم. من المفازة. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٨٨) لمزيد من البيان.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾: لا النّافية للجنس، يمسهم السّوء: المس هو أخف اللمس، أيْ: مجرَّد التقاء الماس بالممسوس، ولو كان بأقل الزمن.

السّوء: هو ما يسيء إلىٰ النّفس أو تكرهه مهما كان، مثل الخوف والحزن والعذاب والغم.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: تكرار (لا) لتوكيد النّفي وفصل كلاً من السّوء عن الحزن، فلا يصابون بأيٍّ منهما أو كلاهما.،

هم: تفيد التّوكيد.

يحزنون: من الحزن أشد الهم والغم أو غلظ الهم. ارجع إلى الآية (٣٤) من سورة فاطر للبيان.

ولمعرفة الفرق بين الحَزن والحُزن ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٣).

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾:

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة: الاسم الأعظم الّذي تفرد به سبحانه واختصه لنفسه وهو الاسم الجامع لجميع الصفات الإلهية.

﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: كل: تفيد العموم وتدل على كلّ فرد: (ملائكة وجن وإنس) وجنس نبات وحيوان وجماد، وتدل على كلّ شيء على انفراد بعكس جميع تدل على كلٍّ مجتمعين. وشيء: سواء أكان حسياً أم معنوياً.

الله: مبتدأ، خالقُ: خبر، كلِّ: مضاف إليه.

﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ مخلوق؛ أي: الله خالقه، فما الّذي صرفهم ألّا يؤمنوا بخالقهم وحده.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: وهو تفيد التّوكيد، وهو القائم بأمور العباد، والقائم بأمور كونه بحفظ وتدبر وتصريف كلّ ما خلق أو الموكول إليه تدبير وتصريف كلّ شيء.

وهو على كلّ شيء وكيل يدل على إحاطة علمه بكل شيء وبكمال قدرته وبكمال حكمته.

[٦٣] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿لَهُۥ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، أيْ: له وحده مقاليد السّموات والأرض.

﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: المقاليد: جمع أقليد من قلد، وقيل: (جمع مقلاد أو مقْليد)؛ أي: مالك أمرها وموكل إليه أمر السموات والأرض؛ أي: السيطرة التامة؛ فهو أهل العقد؛ أي: الإلزام، وأهل الحل؛ أي: تدبيرها وتسييرها وحفظها ورعايتها، وقيل: المقاليد المفاتيح والخزائن، والمفتاح يستعمل للإغلاق، والفتح بأن واحد والإغلاق فيه معنىٰ العقد؛ فهو يعقد الأمور ويحلها؛ أي: الربط والحل بيده؛ أي: إليه يرجع الأمر كله للنظر فيه واتخاذ القرار وموكل إليه مقاليد السّموات والأرض وهذا توكيد لقوله: وهو علىٰ كلّ شيء وكيل، ذكر الخاص بعد العام للأهمية.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: جحدوا بآيات الله الدّالة علىٰ وجوده وقدرته وعظمته ووحدانيته، وأنّه الإله الّذي يجب أن يعبد ويطاع ولم يؤمنوا بها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد الذّم والتّحقير.

﴿هُمُ﴾: يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: مقابل قوله تعالىٰ: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأنفسهم ولأهليهم في الآخرة. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١٩)، وسورة هود آية (٢٢) لمعرفة الفرق بين خاسرون والأخسرون والخسران والخسارة.

[٦٤] ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ﴾:

سبب النّزول: كما ورد عن ابن عباس أنّ المشركين دعوا رسول الله ﷺ إلىٰ عبادة آلهتهم وهم يعبدون معه إلهَه، فنزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ:

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ ﴾: النّون لزيادة التّوكيد أعبد أصلها أن أعبد أيّها الجاهلون.

﴿أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ﴾: جمع جاهل، وصفهم بالجاهلين؛ لأنّ ما دعوا إليه رسولَ الله أن يعبد آلهتهم يدلُّ علىٰ جهل.

والجهل: يعني عدم العلم، وهذا هو أصل الجهل، أو بخلاف الحق، وقد يأتي الجهل بمعنىٰ اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه أو الكذب، أو فعل الشيء بخلاف ما كان يجب أن يفعل مثل أن ينكر الصلاة عمداً، أو قد يأتي الهزو بمعنىٰ الجهل كقوله: أتتخذنا هزوا؟ قال: عوذ بالله أن أكون من الجاهلين، والجهل: قد يعني السفه كقوله: وإذا خاطبهم الجاهلون؛ أي: السفهاء بالأذىٰ، وقد يأتي في سياق الشذوذ عن الفطرة كما خاطب قوم لوط بالقول: ﴿أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل:٥٥]، أو يأتي في سياق استعجال العذاب، أو عقاب الله تعالىٰ كقوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٢-٢٣]، أو في سياق طلب عبادة الأوثان كقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٨]، أو رداً علىٰ طلبهم بإنزال الآيات والمعجزات لكي يؤمنوا؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام:١١١].

أو: كيف تأمروني أعبد غير الله بعد كلّ هذه الآيات والدّلائل، وهو خالق كلّ شيء، وعلىٰ كلّ شيء وكيل، وله مقاليد السّموات والأرض. أيّها الجاهلون: بعظمة الله وقدرته.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: والواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد وقد للتحقيق.

﴿أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: الوحي لغة إعلام بخفاء، وشرعاً ما يُلقي الله علىٰ رسله وأنبيائه من التّكاليف والتّعاليم والآيات عن طريق جبريل الخطاب لرسول الله ﷺ والمقصود به أمته.

ولمعرفة معنىٰ الوحي ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣).

﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: من الرّسل أنّه لا إله إلا الله فاتقون.

﴿لَئِنْ﴾: اللام لام التّوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿أَشْرَكْتَ﴾: بالله منْ شيء بالقول أن لله ولداً أو صاحبةً أو وليّاً أو ندّاً، أو أشركت بعبادته شيئاً، والخطاب موجَّه إلىٰ أمته.

﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾: اللام والنّون كلاهما للتوكيد، ليحبطن عملك الصّالح والإحباط الإبطال وضياع الأجر أو الثّواب، وليحبطن مشتقة من حبط الماشية. ارجع إلىٰ الآية (١٧) من سورة التّوبة، وسورة البقرة آية (٢١٧) للمزيد من البيان في معنىٰ حبطت أعمالهم.

﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾: اللام والنّون للتوكيد.

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: من ابتدائية، الخاسرين لأنفسهم ولأهليهم.

[٦٦] ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾:

﴿ بَلِ ﴾: للإضراب الإبطالي، أيْ: أعرض عن دعوتهم الباطلة، واعبد الله وحده مخلصاً له الدِّين.

﴿ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾: تقديم المفعول على الفعل للقصر، أي: اقصر عبادتك لله وحده دون سواه؛ أي: أخلص عبادتك لله؛ أي: اعبد الله وحده لا شريك له، الفاء في كلمة فاعبد للتوكيد.

﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾: لله وحده؛ لأنّه لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذّل، وكن من الشّاكرين على نعمة النّبوة والعظمة والرّسالة، أو الشاكرين على نعمه، وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام والتوحيد والإيمان والقرآن، وهذا الرسول ﷺ الشاهد والمبشر والنذير والسراج المنير.

[٦٧] ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾: الواو استئنافية، ما النّافية.

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾: ما عظموا الله التّعظيم اللائق به وما قدروه حقَّ قدره حين أشركوا في عبادته.

ونسبوا إليه الصّاحبة والولد والبنات والشّريك والنّد.

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: والأرض: الواو: واو الحال، وفي هذه الآية إشارة إلى نهاية الكون، ونهاية حياة الإنسان على هذه الأرض عند النفخة الأولى (نفخة الفزع والصعق)، ثم يعود ويخلق مرة أخرى (النشأة الأخرى) عند النفخة الثانية (نفخة البعث أو القيام). والأرض جميعاً قبضته: تعني أيضاً تحت سيطرته وهيمنته، وتعني: القوة والقدرة على التحكم فيها.

ومراحل الآخرة: المرحلة الأولىٰ: بعد أن تقوم السّاعة وتمور السّماء وتنفطر وتتشقق، وتكون وردةً كالدِّهان، وتسير الجبال وتتفتت، وتتطاير كالعهن المنفوش، والبحار تسجر والشّمس تكور.

المرحلة الثّانية: مرحلة قبض الأرض وطي السّماء (السّموات السّبع).

المرحلة الثّالثة: التّبديل يوم تبدل الأرض غير الأرض والسّموات. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ تدل علىٰ أنّ قدرة الله سبحانه العظيمة علىٰ جميع مليارات النّجوم، ومليارات الكواكب والمجرات، رغم بعدها عن بعض مليارات السّنين الضّوئية، ورغم اتساعها كلها تعود كما بدأت إلىٰ نقطة البدء والخلق، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ثم يخلق الله سبحانه سماء جديدة، وأرضاً جديدة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ﴾ [إبراهيم:٤٨]، سبحانه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أيْ: يا رب أصفك بكل كمال وأنزهك تنزيهاً كاملاً مطلقاً عما لا يليق بجلالك وعظيم سلطانك، تنزيهاً لذاتك وصفاتك وأفعالك وأسمائك تنزيهاً عن أيِّ شيء يوجد في البشر، ومن كلّ نقص أو عيب، ومن الشّريك والصّاحبة والولد والبنت والنّد والمثيل والولي، ومما يقولون عليك غير الحق، وأنت العلي الأعلىٰ لا يعلوك أحد، وأنت الأعلىٰ علىٰ كلّ واحد علو القدر والصّفات والعلم والملك والكبرياء والجلال والمجد والعزة والقهر، العلي عن الأشباه والأمثال والشّريك والولد والنّد والنّظير.

❖ ❖ ❖

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

سورة الزّمر [الآيات ٦٨ - ٧٤]

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾:

يذكرُ الله تعالىٰ في هذه الآيات بعض الأحداث الّتي تقع يوم القيامة وتبدأ بالنّفخة الأولىٰ نفخة الصّعق والموت.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: نفخ فعل ماض رغم أنّ النّفخ سيقع في المستقبل؛ مما يدل علىٰ أنّ الحدث كأنّه قد وقع وانتهىٰ، والزّمن عند الله الماضي والحاصر والمستقبل واحد، فهو خالق الزّمان والمكان.

ونفخ بصيغة المبني للمجهول رغم أنّ النّافخ إسرافيل عليه السّلام كما بينت السّنة النّبوية ويكون النّفخ يوم الجمعة. والصّور: البوق.

﴿فَصَعِقَ﴾: الفاء تدل علىٰ التّرتيب والمباشرة، والصّعق له معنيان: فَقْدُ الوعي والإغماء، أو الموت والهلاك.

يُصعق كلّ إنسان وجن وحيوان وتموت الخلائق جميعاً.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: من استغراقية تشمل كلّ من في السّموات، وكل من في الأرض. من: تستعمل للعاقل، ويمكن أن تنزل غير العاقل منزلة العاقل، وتشمل كل المخلوقات؛ لأن الصعق (الموت) والبعث والقيامة لأجل محاسبة العقلاء.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أيْ: من شاء الله ألَّا يصعق ويموت، وهؤلاء لا يعلمهم إلا الله تعالىٰ، ومن تعني: الواحد أو الاثنين أو الجمع، وقيل: هم الملائكة المقربون مثل حملة العرش.

أو الحور العين.

أو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يميتهم الله تعالىٰ بعد ذلك، والله أعلم.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي.

﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾: أيْ: نفخة البعث (القيام) وما بين النّفختين، كما بيَّنت السّنة قد يكون (٤٠) يوماً، أو (٤٠) شهراً، أو (٤٠) سنةً، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، وقد سئل أبو هريرة عن معنىٰ الأربعين فأبىٰ أن يحدد هل هي أربعون سنة، أو أربعون شهراً، أو أربعون يوماً.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتعقيب والتّرتيب والمباشرة: إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث وتفيد الفجائية.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: قيام من قبورهم، ينظرون إلىٰ ما حولهم من الأحداث إلىٰ الأرض الجديدة والسّموات الجديدة، أو ينظرون ما يُفعل بهم.

لنقارن هذه الآية (٦٨) من سورة الزّمر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: مع الآية (٢٦ ـ ٢٧) من سورة الرّحمن ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

كل من عليها فان، هذه تعني: كلّ من على الأرض فان (ميِّت) أيْ: أهل الأرض (الجن والإنس) يموتون.

أما آية الزّمر: فتشمل كلّ من في السّموات ومن في الأرض، فآية الزّمر أوسع وأشمل تشمل العالم العلوي والسّفلي.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

بعد أن تبدل الأرض غير الأرض والسّموات، أيْ: تكون سماءً جديدة وأرضاً جديدة، وبعد أن تكون شمس الدّنيا قد كورت، أي: انطفأ نورها وضوءُها، وليس هناك حاجة لشمس ولا لقمر.

وتشرق الأرض بنور ربها: دون أن ترى مصدر هذا الإشراق.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: الكتاب اسم جنس، والمراد به صحائف أعمال العباد: سجل الأعمال.

وكما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: بالنّبيين ليشهد كلّ نبي على أمته أنّه بلغ أمته.

والشّهداء: وهم أولو العلم والشّهداء من أمة محمّد (علماء هذه الأمة) يشهدون على الأنبياء والأمم الأخرى. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٤٣) للبيان. وإلى سورة الحج آية (٧٨) للبيان.

والشّهداء قد تعني أيضاً: الّذين قتلوا في سبيل الله، والشّهداء من الملائكة والشّهداء من الجوارح والألسن والأيدي والجلود لإقامة الحُجَّة عليهم وقطع المعذرة، وقد تعني كلَّ ذلك.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بين الخلائق بين العباد. والذي يقضي هو الله سبحانه وتعالىٰ ويقضي بالحق الباء للإلصاق، والحق هو العدل. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٦٢) لبيان معنىٰ الحكم والقضاء والفصل.

والقِسط، أيْ: قضاء لا ظلم فيه يقضي الله سبحانه للمظلوم من الظّالم.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا ينقصون من ثوابهم حسنة ولا يزاد في سيئاتهم سيئة، وكما جاء في آية أخرىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

[٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: أيْ: أعطيت كلّ نفس جزاءَها كاملاً من خير أو شرٍّ. ووفيت بصيغة الماضي كأن الأمر قد حدث وانتهىٰ، رغم أنّه لم يقع بعد، والزّمان الماضي والحاضر والمستقبل عند الله واحد؛ لأنّه هو خالق الزّمان والمكان.

ما عملت: ما: الّذي عملت، العمل يشمل القول والفعل معاً.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يعود علىٰ الله سبحانه يفيد التّوكيد.

﴿أَعْلَمُ﴾: علىٰ وزن أفعل أو أفضل صيغة مبالغة.

لا يحتاج إلى كتاب أو سجل أعمال، ولا يحتاج إلى شهود في حكمه وقضائه.

﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: الّذي أو مصدرية.

بما يفعلون بقصد، أو بغير قصد، أيْ: بغير نية.

ولم يقل: بما فعلوا، يفعلون بصيغة المضارع حكاية الحال، أيْ: كأنّه يفعلونه الآن... وهو أعلم بما يفعلون الآن في الدّنيا؛ لذلك جاء بصيغة المضارع.

لماذا لم يقل: بما يعملون، واختار يفعلون:

يعملون: العمل يشمل القول والفعل. والعمل يكون غالباً بقصد ونية. والعمل أكثر ما يكون صادر عن الإنسان، وقلما ينسب إلى الحيوان.

يفعلون: الفعل: جزء من العمل ويكون بقصد ونية، أو بغير قصد ونية يصدر عن العاقل وغير العاقل.

فاختار يفعلون: لتضم كلّ الأفعال بنية (بقصد) أو بغير نية (بغير قصد) وتعم العاقل وغير العاقل.

ولو قال: يعملون: لما تضمَّنت الأفعال بغير قصد (بغير نية).

[٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَسِيقَ﴾: من السّوق: وهو الحث على السّير بعنف وشدة والسّائق هم الملائكة، يسوقون الّذين كفروا.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يقل: بربهم: حذف ذكر ربهم؛ لأنهم لا يستحقون أن تضاف إليهم كلمة ربهم، وكلمة الرّب تحمل معنىٰ المحبة والأمن والتّشريف، والربوبية: فيها معنىٰ الرعاية، والرحمة، والتكريم، فهم لا يستحقون ذلك.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: إلىٰ جهنم: ارجع إلىٰ الآية (٣٢) من نفس السورة لبيان معنىٰ جهنم. الزّمرة الجماعة القليلة. زمراً: تعني: جماعات بعضها في أثر بعض. يتلو بعضها بعضاً: جماعة المشركين، جماعة الظّالمين، جماعة الكافرين، جماعة المجرمين، المنافقين، تاركي الصّلاة.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية.

﴿جَآءُوهَا﴾: وصلوا إلىٰ جهنم أو قدِموا إليها.

﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: جواب الشّرط: أيْ: فتحت بعد أن كانت مغلقة ففتحت ليدخلوها، كما هو الحال في السجن الذي أبوابه مغلقة ثم تفتح لدخول المجرمين.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾: قال لهم خزنة جهنم: اللام لام الاختصاص، لهم خاصة وليس لغيرهم.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام تقريع وتوبيخ.

﴿يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: أيْ: يأتكم رسل من جنسكم تعرفونهم ويعرفونكم.

﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾: يتلون من التّلاوة والتّلاوة مقيدة بأن تكون

من الكتب المنزلة كالقرآن والتّـوراة والإنجيل... وتلا يعني: قرأ، وتكون تلاوة من كتاب أو عن حفظ.

ولم يقـل: يقصون عليكم آيـات ربكم؛ لأن يقصون تشـمل ما أنزل من الكتب، وما لـم ينزل من غير كتاب وقصَّ أعم من تـلا، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ [الأعراف: ٣٥] وبني آدم تعني الكل الجن والإنس، وكذلـك: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ [الأنعـام: ١٣٠]، وتعني الجمع، أما آية الزمر: فتعني قسـم قليل من أولئك؛ أي: جماعة من كفرة المسلمين، أو غيرهم من أصحاب الكتب.

﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾: الإنـذار يعنـي: الإعلام مـع التّحذير والتّخويف من شر يومكم هذا، أيْ: يوم القيامة ينذرونكم حتّىٰ تستعدوا بالتّقوىٰ بالإيمـان والعمل الصالح. وأكـد الإنذار بزيادة النّون فـي ينذرونكم ولم يقل: ينذروكم.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: أيْ: أتونا وتلوا علينا.

﴿وَلَٰكِنۡ﴾: للتوكيد والاستدراك.

﴿حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: حقت: وجبت كلمة العذاب علىٰ كلّ من كفر وأشـرك بالله، وقيل: كلمة العذاب: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

فهم اعترفوا بذنوبهم.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

بعد الإقرار والاعتراف بذنوبهم قيل لهم من الملائكة:

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: حيث لها سبعة أبواب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقيل: الأبواب أبواب الدّركات أيْ: أحد الأبواب السبعة. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان، وسورة الحجر آية (٤٤) للبيان، وذكر الأبواب في هذه الآية، ولم يذكر أبواب الجنة قد يشير إلىٰ عدم خروجهم منها كما قال تعالىٰ: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية:٣٥].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم جهنم، ويستمر إلىٰ ما شاء الله، ولم يذكر (خالدين فيها أبداً): لعل بعض هؤلاء من أهل التوحيد، ولن يبقوا فيها أبداً.

﴿فَبِئْسَ﴾: الفاء للتوكيد بئس فعل من أفعال الذّم العامة مثل ساء (من الأفعال الخاصة).

﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٠) من نفس السّورة للبيان، والآية (١٥١) من سورة آل عمران للبيان، والفرق بين مثوىٰ ومأوىٰ، وارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لبيان معنىٰ المتكبرين.

وقدم سيق (الذين كفروا) علىٰ سيق (الذين اتقوا ربهم)؛ لأن سيق هذه الآية قوله تعالىٰ: (وما قدروا الله حق قدره) وربما لكثرة عددهم والله أعلم.

[٧٣] ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ﴾: سوق بتكريم وعطف، وذكر معهم كلمة ربهم؛ لأنهم يستحقون التشريف والرعاية من ربهم بعكس الذين كفروا لم يذكر معهم كلمة ربهم.

﴿ زُمَرًا ﴾: جماعات جماعات. انظر في الآية (٧١) من نفس السّورة.

﴿ حَتَّىٰٓ ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿ إِذَا جَآءُوهَا ﴾: انظر في لآية (٧١) من نفس السّورة.

﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾: أيْ: أبوابها فتحت لهم من قبل وصولهم تكريماً لهم واستقبالاً، أيْ: يجدونها مفتوحة لهم، كما قال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠].

بينما أهل النّار فتحت لهم (من دون واو) يجدونها مغلقة أمامهم، ثم تفتح لهم.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾: أي: الملائكة الموكلون بالجنة.

قالوا لهم: اللام لام الاختصاص.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ سلامٌ: بصيغة النكرة؛ لأنها أعم وأشمل من السلام، فالسلام تعني: سلام التحية فقط، أما سلام (النكرة): هو سلام تحية وسلام من كلّ آفة ومرض وسلام أمن.

﴿ طِبْتُمْ ﴾: سعدتم سلمتم نجيتم أو طاب سعيكم.

﴿فَٱدۡخُلُوهَا﴾: الفاء للتّعقيب والمباشرة أو السّببية والتّعليل.

ادخلوها: أي: الجنة.

﴿خَٰلِدِينَ﴾: الخلود البقاء الدّائم المستمر يبدأ من زمن الدّخول إليها.. إلى ما لا نهاية.

[٧٤] ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾:

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾: وهل عندهم أدنى شك في صدق الله لوعده؟

المعنى: الحمد لله الّذي وفقنا لأنْ نكون أهلاً لوعده.

﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾: أرض الجنة الأرض الجديدة كأنّهم ورثوها من غيرهم.

لأنّ أهل الجنة يرثوا عن أهل النّار مقاعدهم في الجنة، ويرث أهل النّار عن أهل الجنة مقاعدهم في النّار.

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ﴾: أيْ: يتبوأ وينزل ويسكن في جنته حيث يشاء من شدة سعتها، ولا يعني ذلك نسكن حيث نشاء أو كيف نشاء، ولكن فيما خصص الله سبحانه له وحسب درجته. ارجع إلى سورة يونس آية (٨٧)، وآية (٩٣).

﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾: الفاء للتوكيد، نعم: من أفعال المدح.

فنعم أجر العاملين: يعني: الأجر العظيم بزيادة الفاء، وجاءت بزيادة الواو: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦]، وجاءت بدون الفاء أو الواو (نعم أجر العالمين) كما في سورة العنكبوت آية (٥٨)، فما هو الفرق بين تلك الآيات؟

فإذا قارنا قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[آل عمران: ١٣٦]؛ نجد أن: فنعم (بالفاء) أعظم أجراً من (ونعم)، ونعم (بالواو) أعظم أجراً من (نعم) بدون الفاء والواو؛ إذن: الدرجة الأولى: فنعم، والدرجة الثانية: ونعم، والدرجة الثالثة: نعم.

أمثلة: فنعم بالفاء: تشير إلى أعظم الأجر؛ الأجر العظيم.

ونعم بالواو: تشير إلى الأجر الأقل درجة من الأجر العظيم (قبل الأجر الكبير).

نعم بدون فاء أو واو: تشير إلى الأجر الأقل درجة من الكبير (مثل الأجر الحسن أو الكريم).

ويكون التّدرج من الأعلى إلى الأدنى على التّالي فنعم، ونعم، نعم.

❖ ❖ ❖

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

ترتيبها ٤٠ آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٤٧

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

سورة الزمر [الآية ٧٥]

[٧٥] ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: سادة الملائكة أشراف الملائكة (أي: المقربين).

﴿حَآفِّينَ﴾: جمع حافٍّ، حفَّ بالشيء أحاط به والحفاف الجوانب والحفَّة: الجانب.

﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: من تعني القرب والإلصاق، أيْ: ليس هناك فراغ بين العرش والملائكة كأنّهم ملتصقين بالعرش.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: كقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥] بمعنى الصّلاة، و﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٦].

﴿يُسَبِّحُونَ﴾: بالذّكر والقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

والتّسبيح هو تنزيه الله تعالى. ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السّورة للبيان، وسورة الإسراء آية (١).

يسبحون: تفيد التّكرار التّجدد والاستمرار تسبيحاً مصحوباً بالحمد؛ لأنّ التّسبيح ثناء على الله، أمّا الحمد فهو شكر الله على نعمة الظّاهرة والباطنة.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: قضي من القضاء وهو الحكم والفصل بينهم، أيْ: بين

الملائكة كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[الصافات: ١٦٤]، أيْ: يأخذ كلّ منهم منزلته وجزاءَه الّذي يستحقُّه، أو بين النّبيين وأممهم والشّهداء والأمم، أو بين أهل الجنة وأهل النّار: بإدخال أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النّارِ النّارَ.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (وقيل) مبني للمجهول، القائل إمّا الملائكة، أو الملائكة وأهل الجنة كلاهما. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) لمزيد من البيان في معنى الحكم والقضاء والفصل.

❖ ❖ ❖

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِر

ترتيبها ٤٠ آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٤٧

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

سورة غافر [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (٤٠) وأمّا ترتيبها في النّزول (٦٠) نزلت بعد سورة الزّمر.

سورة غافر: سميت بهذا الاسم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ وتسمىٰ سورة المؤمن (مؤمن آل فرعون).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة: وهذه أول سور القرآن الّتي تبدأ بـ(حم) فهناك سبع سور في القرآن متتالية تبدأ بـ (حم) وهي: غافر، فصلت، الشّورىٰ، الزّخرف، الدّخان، الجاثية، والأحقاف.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة الزّمر للبيان.

العليم: ذكر اسم العليم (١٤٠) مرة في القرآن، وعليماً (٢٢)، وعلام (٤)، والعليم: صيغة مبالغة لعالِم؛ أي: كثير العلم.

العليم: المحيط علمه بكل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يخفىٰ عليه خافية؛ فهو عالم غيب السموات والأرض، وعلام الغيوب؛ أحاط علمه بالماضي والحاضر والمستقبل، وعنده مفاتح الغيب، وما

تسـقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه.

العليم بمثاقيل الجبال، ومكاييـل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وذرات الرمال.

العليـم بجميع خلقه وكونه ما يجري فيه من أحـداث، العليم بما يعملون ويصنعون ويفعلون، العليم بالمتقين والمفسدين والظّالمين، والعليم بكل شيء وبذات الصّدور، والمحيط علمه بجميع المخلوقات ذواتها وأوصافها وأفعالها وأمورها ومستقرها ومستودعها، والعليم بالعالم العلوي والسفلي وكل العوالم.

وجاء اسـم العليم مقترناً مع: السّـميع العليم، والحكيم العليم، والعزيز العليم، والفتاح العليم، والعليم الخبير، والعليم القدير، والعليم الحليم، والعليم الحكيم.

ثم وصف ذاته بسـت صفات فقـال تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

[٣] ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾:

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾: يغفر الذّنب، فلا يعاقب عليه ويعفو عنه ويمحوه؛ لأنّه هو الكريم. والذّنب تعريفه: كلّ فعل تسـتوخم عقباه، والذّنوب قيل: هي الخطايا. وغافر: اسم فاعل يدل علىٰ الثّبوت والاستمرار، والتجدد.

﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾: زيـادة الواو فقط إلىٰ هذه الصّفة، أو فصل بالواو بين غافر الذّنب وقابل التّـوب؛ للاهتمام والتّوكيد علىٰ هذه الصّفـة والاهتمام بها؛ أي: التوبة عن غيرها فهو سبحانه يغفر الذّنب ويقبل التوبة.

وقابل التّوب (اسـم فاعل) يدل علىٰ الثّبوت؛ أي: دائم القبول للتوبة فهو

غافر الذّنب وقابل التّوب. التّوب: جمع توبة، والتّوب مصدر تاب وهي الرّجوع عن الذّنب، ولم يقل قابل التّوبة (الواحدة) وإنما قابل التّوب (جمع توبة) أي: يقبل كل توبة عن عباده. قابل التّوب للمؤمنين التّائبين للترغيب والحث على الإيمان. ارجع إلى لآيتين (١٧-١٨) من سورة النّساء لبيان معنى التوبة وأركانها.

والاستغفار يأتي قبل التّوبة؛ أي يستغفر ثم يتوب.

والتّوبة من أسباب المغفرة، والتّائب غير المعتذر. المعتذر يبرر خطأه ويقدم العذر، أمّا التّائب يقول: لا عذر لي ويعترف بذنبه.

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾: العقاب مأخوذ من التّعقيب والمعاقبة، وفاعل الذّنب يستحق المعاقبة بعد فعل الذّنب مباشرة بدون تأخير؛ أي: يستحق العقاب مباشرة في الدنيا، ولكنه سبحانه يؤخره لعله يتوب ويسقط عنه؛ فالعقاب: يقع في الدّنيا فقط بينما العذاب قد يؤخّر وقد يقع في الدّنيا والآخرة، والعذاب أوسع من العقاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١١) لمزيد من البيان، والفرق بين العقاب، والعذاب.

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: ذي الفضل، أو أهل الطَّول والفضل، الطَّول: الغنى والسّعة، واستعمال (ذي) بدلاً من صاحب أو غيرها؛ لأنّ ذا أو ذي أشرف في اللفظ وأبلغ في الثّناء والمعنى من صاحب؛ لأنّ ذا تضاف للتابع مثال: (ذا النّون) وصاحب تضاف للمتبوع (صاحب الحوت) والتّابع أشرف وأفضل من المتبوع، مثال: له المال، وصاحب المال، فقولك: صاحب المال أدنى من قولك: له المال – وإذا نظرنا إلى السّياق نجد أنّ ذا النّون جاءت في سياق ذكر النّعم، وصاحب الحوت جاءت في سياق النّهي عن العجلة فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: إليه تقديم الجار والمجرور؛ ليدل علىٰ الحصر؛ أي حصر إليه مرجع الخلائق كلها، إليه النّهاية: أي الوقوف بين يديه هو المصير (للمحاسبة).

[٤] ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾:

المناسبة: كأنّه قيل: ما دام هذا القرآن منزلاً من عند الله العزيز العليم فما يجادل في آيات الله إلا الّذين كفروا.

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿يُجَٰدِلُ﴾: من الجدال هو: حوار بين طرفين أو أطراف لإثبات حق أو إظهار حجة أو دفع شبهة، يحصل فيه اختلاف في الآراء.

﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: في الآيات الدّالة علىٰ البعث والحساب والدّار الآخرة ووحدانيته وأنّه هو الإله الحق، أو صدق ما جاء به محمّد ﷺ أو صدق نبوته.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: إلا أداة حصر، الّذين كفروا: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب، وجدال الذين كفروا هو: جدال بالباطل ليدحضوا به الحق كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف:٥٦].

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: الغرر: هو إيهام يحمل الإنسان علىٰ أن يظن شيئاً أو أمراً ما حسناً وهو ضد ذلك، فكأنّ الغرور يوقع المغرور فيما هو غافل عنه من الضّرر، وأصل الغرور الغفلة. والخطاب موجه إلىٰ رسول الله ﷺ وأمته.

أي: فـلا تغتر أنت ومن اتبعك من المؤمنين بتقلب الّذين كفروا في البلاد، بتجارتهم وزراعتهم وصناعاتهم وسعة رزقهم وما هم فيه من رغد العيش.

﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾: يعني ضربهم في الأرض؛ أي: سفرهم للتجارة وكسبهم المال، وغيرها.

لنقارن هذه الآية (٤) من سورة غافر قوله: ﴿فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ مع الآية (١٩٦) من سورة آل عمران قوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾.

في آية آل عمران أكد النّهي بعدم الاغترار بإضافة نون النّسوة إلى يغرنك؛ لأنّ السّياق في آل عمران في الهجرة والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

أما السّياق في آية غافر: في الجدال في الآيات.

[٥] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي كذبت قبل قريش قوم نوح، ونوح هو أول رسول بُعث للنهي عن عبادة الأصنام وكذبت، ولم يقل كذب؛ للدلالة على الكثرة (تاء التّأنيث تدل على الكثرة) وكذب تدل على القلة، كذبت قبلهم قوم نوح نوحاً عليه السّلام ولم يؤمنوا به رغم مرور (٩٥٠) سنة على دعوته إياهم.

﴿وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: الأحزاب جمع حـزب، من بعدهم: أي من بعد قوم نوح وهم الأمم الّذين تحزبوا على رسـلهم وأنبيائهم بالتّكذيب والإعراض وعدم الإيمان والقتل أمثال: عاد وثمود ومدين وأصحاب الأيكة وقوم لوط وقوم فرعون.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: وهمّـت من الهـم، والهم نوعان: ثابت إذا كان معه العزم، وعارض هو حديث النّفس ولا عزم.

﴿كُلُّ﴾: للتوكيد.

﴿أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: من الأخذ وهو: الأسر أو الحبس أو القتل والتّعذيب، والأخيذ وهو الأسير أصلاً، والأخذ قد يكون معناه الهلاك كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج:٤٤]. والباء برسولهم: للإلصاق.

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾: إذن هناك جدال بالحق أو جدال بالباطل.

والجدال بالحق هو جدال حسن، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وجدال بالباطل وهو المذموم.

والباطل هو الذّاهب الزّائل، وقيل: ما لا وجود له، وقيل: هو الكذب أيضاً.

والباء للإلصاق والملازمة، فجدالهم كان كله باطلاً.

﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: اللام لام التّعليل. ليدحضوا به الحق: الدّحض مأخوذ من الطّين الّذي يلزق؛ أي تزل القدم في الطّين؛ أي: أرادوا إزالة الحق بالباطل فلم يستطيعوا. فهذه الآية تبين ما هو الهدف أو الغاية من وراء جدالهم.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أخذتهم: أهلكتهم، والأخذ بقوة وشدة؛ يعني: العقاب.

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام فيه تقرير وتعجب.

﴿كَانَ عِقَابِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣) من السّورة نفسها لبيان معنىٰ عقاب. وعقاب: نكرة للتّهويل والتّعظيم؛ بالصّيحة بالرّجفة بالصّاعقة وبإرسال حجارة من طين، وغيرها من أنواع العقاب؛ أي: انظروا كيف كان عاقبتهم بالسّير في الأرض ورؤية مساكنهم أو آثارهم.

ولمقارنة هذه الآيــة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ مع قولــه تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ارجع إلىٰ سورة الرّعد آية (٣٢).

وانتبه إلىٰ ترابط الآيات الســابقة في الآية (٤) قــال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ تبين من هم الّذين يجادلون في آيات الله.

وفي الآيــة (٥): ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ تبين ما هو الهدف أو الغاية أو الدّافع إلىٰ الجدال فــي آيات الله هو إبطال الحق وردّ المؤمنين إلىٰ الكفر، أو منع الآخرين من الإيمان أو الدّخول في الإسلام واتباع الحق.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحــج:٨] [لقمان:٢٠]. فهي تبين حالة هؤلاء الّذين يجادلون في الآيات، يجادلون بغير علم ولا هدىٰ ولا كتاب منير.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾: أي كما وجب أو حكــم بالعذاب علىٰ الأمم الماضية المكذّبة لرســلهم، وجب أو ثبت علىٰ الّذين كفروا بمحمّد من كفار قريش أنّهم أصحاب النّار.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قيل: كلمة ربك هي: كلمة العذاب، أو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السـجدة:١٣]، أو قولــه تعالــىٰ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨].

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: حقّت وثبتت علىٰ الّذين كفروا؛ لأنّهم هم الّذين كفروا اختاروا ذلك، ولم تحقّ عليهم بقهر وجبروت أو ظلم.

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: أن للتوكيد، أصحــاب النّار: ارجع إلىٰ الآية (٣٩) من ســورة البقرة للبيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٣) في سورة يونس وهي

قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: نجد أن آية يونس جاءت في سياق الكل (المؤمن والكافر)، فمن خرج عن الحق أو المنهج هو فاسق فهم لا يؤمنون، وآية غافر: جاءت في سياق الذين كفروا فهم أصحاب النار.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾:

المناسبة: مقابل الحكم ووجوب كلمة العذاب علىٰ الّذين كفروا برسلهم من الأمم الماضية، أوجب الله تعالىٰ لعباده الّذين آمنوا أشرف الملائكة المقربين؛ ليستغفروا لهم ويدعوا لهم بالوقاية من السّيئات، وأن يرزقوا الجنة ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والعلوّ.

﴿يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾: العرش هو أعظم المخلوقات علىٰ الإطلاق، أعظم من خلق السّموات والأرض ومن خلق الإنسان، العرش الّذي تحته جنة الفردوس، العرش الّذي لا يحيط بعلمه إلا من خلقه سبحانه، وحملة العرش قيل: هم أربعة ويوم القيامة يصبحوا ثمانية؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾. ارجع إلىٰ سورة هود آية (٧)، وسورة طه آية (٥) لبيان معنىٰ العرش، وارجع إلىٰ سورة الحاقة آية (١٧) لمزيد من البيان في يحمل عرش ربك.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ومن حوله من الملائكة المقربين الحافّين من حول العرش بدون أيّ مسافة أو فراغ بينهم وبين العرش، وهم سادة الملائكة وأشرافهم يسمون العالين كقوله تعالىٰ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥].

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يسبّحون ينزّهون الله سبحانه.

ارجع إلىٰ الآية (٧٥) من سورة الزّمر للبيان، يسبّحون تسبيحاً مقروناً بالحمد علىٰ نعم الله الباطنة والظّاهرة، وسورة الإسراء آية (١).

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: ألم يقل سبحانه: يسبّحون بحمد ربهم، ألا يدل ذلك علىٰ الإيمان به؟ فلماذا عاد وذكر: يؤمنون به؟ هذه الكلمة (يؤمنون به) لها معنىٰ خاص بديع؛ أي: رغم كونهم حملة العرش أو من حول العرش يسبّحون بحمد ربهم وأنّهم العالين أشراف الملائكة، فهم لا يرون ربهم رغم قربهم منه فهم يؤمنون به بالغيب ولا يرونه.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: اللام في الّذين لام الاختصاص، يستغفرون خاصة للذين آمنوا، فهؤلاء الّذين يحملون العرش ومن حوله يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم بالنّجاة ودخول الجنة، ولم يقل: (يستغفرون لمن في الأرض).

كما ورد في الآية (٥) من سورة الشّورىٰ وهي قوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فالملائكة المقربون (الخاصة) يستغفرون للذين آمنوا فقط، وعامة أو باقي الملائكة يستغفرون لعامة النّاس.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ حذفت ياء النّداء للبعد؛ لأنّ الله سبحانه سميع قريب، وشيء: نكره يشمل كل شيء، والشيء كل ما يعلم، ويخبر عنه سواء كان حسياً أو معنوياً ويعني أقل القليل.

وذكر الملائكة ثلاث صفات لله تعالىٰ هي: الرّبوبية والرّحمة والعلم، فالرّبوبية تعني أنت الخالق والمدبّر والمسيطر والرّزاق، ورحمتك وسعت

وطالت وشملت كلّ شـــيء؛ لأن رحمته عامة تشمل المؤمن والكافر، والرّحمة من معانيها الوقاية من العذاب، وكذلك وســـع علمك أو أحاط علمك بكل شيء فلا يخفىٰ عليك شيء في الأرض ولا في السّماء.

﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾: فاغفر: الفاء للتوكيد، اغفر: الغفر هو السّـــتر، اغفر: اســـتر. والغفران: أخص من الســـتر، ويقتضي الثواب؛ لأن الســـتر وحده يعني: عدم فضحه، ويجوز أن يستر علىٰ الكافر والفاسق في الدنيا، فاغفر من الغفران، والغفران يعني: إسقاط العقاب، وإيجاب الثواب، فلا يستحق الغفران إلا المؤمن.

للذين: اللام لام الاختصاص، الّذين اســـم موصول يفيد المدح، تابوا: من الشّرك والمعاصي والذّنوب وندموا علىٰ ما فعلوا ولم يعودوا إلىٰ ذنوبهم.

﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾: دين الإسلام؛ أي أخلصوا دينهم لك وعبدوك وحدك.

﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾: نجِّهم من عذاب الجحيـــم: الجحيم من جحم النّار: أو قدرها فاشـــتد لهيبها، والجحيم: النّار المتأججة أو شديدة التأجج، وقيل: هي دركة من دركاتها السّبع.

❖❖❖

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

سورة غافر [الآيات ٨ - ١٦]

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

المناسبة: قيل: أكمل الدّعاء طلب الجنة والنّجاة من النّار معاً، وهكذا كان دعاء الملائكة: اشتمل على الأمرين معاً.

﴿رَبَّنَا﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: عدن تعني إقامة دائمة لا تزول ولا تنتهي.

ارجع إلى سورة ص آية (٥٠) للبيان.

﴿الَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾: على لسان رسلهم وفي كتابك العزيز.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: من ابتدائية استغراقية؛ أي: كلّ من صلح، صلح: أي كان مؤمناً موحّداً قد عمل الصّالحات.

وأزواجهم: أي الذّكور والإناث (الزّوج يعني الذّكر والأنثى)، وذرياتهم: (الأولاد والبنات)، وهذا من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين.

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: إنك للتوكيد، أنت للاختصاص والتّوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب الّذي لا يُغلب والقاهر الّذي لا يُقهر، والممتنع لا يضره أحد من خلقه ولا يحتاج لأحد من خلقه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقك وكونك، فأنت أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

نظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الطّور آية (٢١): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

[٩] ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾: يا رب، وفقهم للأعمال الصالحة وجنّبهم فعل المعاصي أو اصرف عنهم السّيئات، وبالتّالي جنّبهم العذاب النّاجم عنها، والسّيئات: جمع سيئة وهي: فعل القبيح، والسّيئات تشمل الصّغائر، وقيل: تشمل الصغائر والكبائر، وهي كلمة خاصة بينما السّوء كلمة عامة، والسّوء اسم مصدر ويعني: كلّ ما يُسيء إلى النّفس من الأقوال والأفعال.

والوقاية تكون بتجنّب السّيئات وقبول التّوبة.

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾: أي من تقِه برحمتك؛ أي: تجنّبه عمل السّيئات أو تقِه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تعاقبه عليها.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿رَحِمْتَهُۥ ۚ﴾: برحمتك الواسعة؛ أي: سترته وعفوت عنه وأنجيته من النّار.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: حرف الواو والضمير هو: كلاهما يفيدان التّوكيد، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى الوقاية من السّيئات، الفوز

العظيم. تعريف الفوز: هو النّجاة أو الخلاص من المكروه وبلوغ الغاية أو المحبوب (المطلوب أو المرجو).

والفوز العظيم: هو الفوز الّذي لا يعلوه فوز؛ أي: أعظم درجات الفوز وأعظم من الفوز المبين، أو الفوز الكبير. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله سبحانه في الآية (٤): ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يُبين الله سبحانه في هذه الآية أحوال الذين كفروا يوم القيامة واعترافهم بذنوبهم فيقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: إن للتوكيد، الّذين كفروا: في الدّنيا وماتوا وهم كفار.

﴿يُنَادَوْنَ﴾: أي يوم القيامة، ويُنادَون (مبني للمجهول)، تناديهم الملائكة أو خَزَنة جهنم، وهم يعذّبون في النّار، ينادون: فيها نون التّوكيد علىٰ المناداة.

﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: اللام للتعليل، المقت: هو أشد الكره، وأكبر: علىٰ وزن أفعل؛ أي: أشد درجات البغض والكره، ودرجات الكره والبغض بالتّدرج من الأدنىٰ إلىٰ الأشد: البغض القلي الشّنآن ثم المقت (فقه اللغة).

أي: إن كنتم تمقتون أنفسكم الآن وتكرهونها أشد الكراهية، فاعلموا أنّ مقت الله لكم في الدّنيا كان أشد من مقتكم أنفسكم وأنتم في النّار أو الآن؛ لأنّكم كنتم تُدعون إلىٰ الإيمان فتكفرون.

﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾: إذ ظرفية زمانية بمعنى حين، وشرطية أي: مقت الله لهم في الدّنيا كان أشد من مقتهم أنفسهم الآن؛ حيث كانوا يكفرون بالله حين يدعون إلى الإيمان، ولم يقل إذ دُعيتم إلى الإيمان، تدعون تدل على المرات العديدة والتّجدد والتّكرار في الدّعوة، ودُعيتم تدل على القلة أو المرة الواحدة، فتكفرون: الفاء رابطة (جواب الشّرط) وتكفرون تفيد التّوكيد والتّكرار والتّجدد في الكفر. وتكفرون: تدل على الحدث؛ أي: فعل الكفر.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾:

تعريف الموت: هو عدم الحياة مطلقاً هو انعدام الحياة (عدم وجود أي أثر للحياة)، ويكون ذلك بخروج الروح من الجسم (الجسد)، أو عدم وجود لا جسم ولا روح؛ فالروح هي التي تبعث الحياة في الجسم، والموت: هو إذهاب الحياة بعد الموت؛ أي: خروج الرّوح من البدن، فالموت هو العدم المطلق سواء كان قبله حياة أو لم تكن قبله حياة.

﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾: أي إماتتين أو موتتين الأولى حين كنا أمواتاً في أصلاب الآباء، والثّانية: الموت الّذي يحدث بانقضاء الأجل (الموت المعروف) بعد الحياة الدّنيا.

﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾: الأول: حين الولادة والقدوم إلى الحياة الدّنيا أو التي بدأت (في أرحام الأمهات) والثّاني: حين البعث والنّشور.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨].

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، بذنوبنا: كالشّرك والكفر والفساد والعصيان وإنكار البعث والحساب أو الجدال في الآيات.

أما سرّ اعترافهم هذا: هو أنّهم يرجون من وراء الاعتراف الخروج من النّار مستعطفين قائلين: فهل إلىٰ خروج من سبيل؟ وقد بيّن الله سبحانه في آية أخرىٰ أنّ الاعتراف بالذّنب في ذلك الوقت يوم القيامة لا ينفع كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١١].

وقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السّجدة:١٢].

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: استفهام للتمنّي.

﴿إِلَىٰ﴾: تشمل كلّ الغايات.

﴿خُرُوجٍ﴾: خروج نكرة؛ تعني أيّ نوع من الخروج: سريع بطيء قريب أو بعيد. أو خروج من أيّ عذاب مهما كان نوعه أو شكله.

﴿مِّن﴾: استغراقية تشمل أيّ سبيل أو طريق أو وسيلة مهما كانت.

﴿سَبِيلٍ﴾: من طريق للخروج والنّجاة؛ سبيل: نكرة؛ أي: هل هناك من أيّ طريق للخروج من النّار والعودة إلىٰ الدّنيا أو النّجاة من النّار؟

إذن فلا خروج ولا سبيل كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠].

وقولهم هذا دليلٌ علىٰ يأسهم وتحيّرهم، وجواب الاستفهام حُذف؛ أي: لا سبيل ولا خروج، وعلل ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

[١٢] ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾:

﴿ذَٰلِكُم﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ولم يقل ذلك؛ لأنّ (ذلكم) أهم وأوكد من ذلك ولأنّها تشير إلىٰ أكثر من أمر.

وذلكم: أي الاعتراف بالذّنوب لا ينفع الآن ولا سبيل للعودة إلىٰ الدّنيا أو الخروج من النّار.

﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾: البـاء: للتعليل؛ أن: للتوكيد؛ أي: سـبب ذلك أنّه إذا دُعي الله وحده كفرتم؛ أي: كفركم وشرككم بالله تعالىٰ.

﴿إِذَا﴾: ظرفية للزمن الماضي بمعنىٰ حين، وشرطية.

﴿دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾: إذا دعاكم أحد في الدّنيا إلىٰ الإيمان بالله وحده كفرتم.

﴿كَفَرْتُمْ﴾: أي جحدتم وكذبتم ولم تؤمنوا. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان في الكفر.

﴿وَإِن يُشْرَكْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والشّك، يُشرك بالله: بأن له ولداً أو شريكاً في الملك أو آلهة أو أصناماً.

﴿تُؤْمِنُوا۟﴾: تصدقوا وتقروا بالشّرك وتدعوا إليه.

﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾: الفاء للتوكيد، الحكم: القضاء بما أشـركتم وكفرتم. لله: اللام لام الاختصاص، الحكـم لله وحده يوم القيامة وهو الحكمُ العدل ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]، ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرّعـد:٤١]. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٦٢) لبيان معنىٰ الحكم والقضاء.

﴿ٱلْعَلِيِّ﴾: علو الجلال والكمال العليّ بسلطانه وقدره، عليُّ الذّات والصّفات والأسماء. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٦٢) لمزيد من البيان في العلي.

﴿ٱلْكَبِيرِ﴾: العظيم الشّأن أكبر من كلّ شيء وأعظم من كلّ شيء، وكلّ شيء بالنّسبة له صغير، وأكبر من أن تدركه العقول والحواس.

[١٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾:

﴿هُوَ﴾: تعود علىٰ العلي الكبير الصّفة الأولىٰ، هو للتوكيد.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: الصّفة الثّانية، آياته الكونية بما أودع في سمائه وأرضه من الآيات الدّالة علىٰ عظمته وقدرته ووحدانيته مثل الشّمس والقمر والليل والنّهار والنّجوم والكواكب والجبال والبحار والسّحاب والبرق والرّعد والصّواعق الدّالة علىٰ أنّه هو الإله الحق واجب الوجود.

الخطاب للناس كافة، يريكم: رؤية بصرية.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم﴾: اللام لام الاختصاص (الصّفة الثّالثة).

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من السّحاب الرُّكامي، والسّماء تعريفها: هي كلّ ما علاك.

﴿رِزْقًا﴾: أي المطر سمي بالرّزق (بالمجاز المرسل) المطر الّذي هو سبب الرّزق لكم كما قال تعالىٰ: ﴿مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النحل:١١].

والرّزق يشمل الطّاقة الشّمسية وإنزال الحديد، والنّجوم المليئة بالمعادن الثّمينة.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: الواو: استئنافية، ما النّافية.

يتذكر: هذه الآيات ويتعظ بها ولا ينساها.

إلا: أداة حصر؛ أي: لا يغفل عن آيات الله الّذي ينيب إلى الله مراراً وتكراراً.

من: استغراقية.

ينيب: الإنابة: السّرعة في التّوبة وكل منيب تائب وليس كلّ تائب منيباً، فالمنيب هو الّذي يذنب الذّنب فيسارع في التّوبة، والمنيب سريع التّذكر كلما أذنب أعقبها بتوبة سريعة.

والتّذكر والإنابة يوجبان الإخلاص.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾: الفاء: ادعوا الله؛ أي: اعبدوه وحده وتضرّعوا له بالدّعاء وطلب العون.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: مخلصين في عباداتكم بدون أيّ شرك أو رياء، موحّدين توحيد الألوهية والرّبوبية والأسماء والصّفات.

له: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والقصر له وحده.

الدّين: ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٢) لبيان معنى الدين.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: الواو للتوكيد، كره: أي يؤلم ويشق على الكافرين توحيدكم وإخلاصكم، فلا تبالوا بهم.

[١٥] ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: هذه هي الصّفة الرّابعة، رفيع على وزن: فعيل من الفعل رفع.

رافع الدّرجات لأوليائه الصّالحين كقوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام:١٦٥] بأن أنزل عليهم كتبه وأرسل إليهم رسله وشرع لهم الإسلام ديناً، فبذلك رفعهم ولم يتركهم بدون منهج.

أو قد تأتي على وزن: مفعول؛ أي: مرتفع الدّرجات في ذاته وصفاته صفات الجلال والكمال، مرتفع عن كلّ شيء وعلىٰ كلّ شيء وعلىٰ خلقه بصفاته العلىٰ ودرجاته وقدره وشأنه.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: الصّفة الخامسة، ذو: ارجع إلىٰ الآية (٣) للبيان.

ذو العرش: خالقه ومالكه؛ أي: رب العرش العظيم ورب العرش الكريم. ولمزيد من البيان ارجع إلىٰ الآية (١٢٩) من سورة التّوبة، وسورة طه آية (٥)، وسورة هود آية (٧).

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: يُلقي الرّوح (أي الوحي) فسمىٰ الوحي روحاً، والوحي يعني: القرآن، والقرآن هو روح، أو غيره من الكتب والصّحف السّماوية كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢]؛ (أي القرآن الكريم) وسمي روحاً؛ لأنّه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح.

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: من قضائه أو بأمره ومن أقواله أو من شرائعه.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: علىٰ من يصطفي من عباده من الرّسل والأنبياء.

﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: اللام للتعليل؛ أي: للتبليغ والدّعوة والإنذار، والإنذار: هو الإعلام مع التّحذير والتّخويف، يوم التّلاق: يوم القيامة وسمي يوم التّلاق؛ لالتقاء أهل السّماء بأهل الأرض، والأولين والآخرين والتّابع والمتبوع. والظالم والمظلوم يلتقي فيه العباد.

لينذر يوم التّلاق: أي للاستعداد لذلك اليوم وتجنّب شره.

يوم التّلاق: ولم يقل يوم التّلاقي؛ حذف ياء المتكلم ليتناسب مع قصر زمن التّلاق فلن: يدوم التّلاقي بينهم طويلاً كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥].

وكقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦].

[١٦] ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾:

﴿يَوْمَ هُم﴾: يوم التّلاق، أو يعني يوم البعث، وجاء بصيغة النّكرة للتهويل والتّعظيم، وهم للتوكيد.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ﴾: من البراز، الظّهور والانكشاف.

﴿بَٰرِزُونَ ۖ﴾: خارجون من الأجداث (ظاهرون) لا يسترهم شيء من جبل أو شجر أو أكمة أو بناء أو لباس، يساقون إلىٰ أرض المحشر، وبارزون في أرض المحشر؛ الأرض الجديدة كما وضعها عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٢٨].

عراة لا يسترهم شيء.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾: لا النّافيــة، لا يســتتر على الله منهم أحد بجبل أو شــجر أو منخفض أو مرتفع، أو الكل بارزون لا يخفى عليه منهم شــيء في أرض المحشر، وفي هذا تهديد ووعيد لهم؛ لأنّ الله سبحانه لا يخفى عليه منهم شيء لا اليوم ولا يوم الحشر ولا أيّ يوم، فإذا كانوا يتوهمون أنّهم يستطيعون أن يستتروا من الله يوم القيامة فالله سبحانه يخبرهم بأنه لن يحدث ذلك.

كقوله تعالى: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٣].

﴿مِنْهُمْ﴾: قــد لا تعني فقط كأفــراد بل كذلك أعمالهــم أو حتّى نواياهم وغيرها؛ لأنّ (من) استغراقية.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: يسأل الله سبحانه هذا السّؤال، قيل: بعد نفخة الصّعق وفناء الخلائق فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية، فهو المنادي وهو المجيب.

﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: الواحد: الّذي لا شريك له ولا ولد، ولا آلهة ولا أصنام. ارجع إلى ســورة الصافات آية (٤) لبيان معنى أحد وواحد. القهار: صيغة مبالغة من القهر، والقهر: هو الغلبة والقدرة سواء أكانت طوعاً أم كرهاً، وسواء أكان كماً أم كيفاً؛ أي: الّذي يقهر ولا يُقهر، الّذي قهر الخلق بالموت والغلبة والقهر الّذي ذلّت له كلّ مخلوقاته. ارجع إلى سورة (ص) آية (٦٥) لمزيد من البيان.

❖❖❖

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

سورة غافر [الآيات ١٧ - ٢٥]

[١٧] ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يعني يوم القيامة يوم الحساب.

﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾: تجزىٰ من الجزاء علىٰ العمل، والجزاء يكون بالخير أو الشّر.

﴿كُلُّ﴾: للتوكيد.

﴿بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾: الباء للإلصاق والتّوكيد، ما: بمعنىٰ الّذي كسبت أو مصدرية، كسبت من خير أو شر، وكسبت تستعمل في سياق الخير إذا أطلق أو في سياق الشّر إذا أصبح ممارسة الشّر هيناً أو تدرب عليه المسيء فأصبح يمارسه كما يمارس الخير بدون أي خشية أو خوف واكتسبت تستعمل في سياق الشّر عادة.

﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾: توكيد لـ: (تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت).

لا: النّافية، ظلم اليوم: بنقص حسنة من ثواب الفرد، أو زيادة سيئة في عقابه.

والظّلم يعني النّقص في إعطاء الحق كاملاً لصاحبه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: إن للتوكيد، سريع الحساب: قادر علىٰ محاسبة خلائقه جميعاً كما يحاسب نفساً واحدة إذا شاء. أو حسب ما يختار من الزّمن؛ لأنّه سبحانه خالق الزّمان.

[١٨] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾: الإنذار هو الإعلام المقترن بالتّحذير والتّخويف، والمخاطب هو رسول الله ﷺ: أنذر قومك؛ أي أمتك وبالتّالي النّاس أجمعين.

وكما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

﴿يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾: يوم القيامة، والآزفة: تعني القريبة كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ ويوم الآزفة؛ أي: دنا واقترب يوم القيامة، وسميت الآزفة لقربها، أنذرهم ما سيحدث في ذلك اليوم من الأهوال والحوادث المرعبة؛ لكي يستعدوا له.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾: إذ ظرفية بمعنىٰ حين وتعني الفجأة، فمن شدة الهول والخوف وفظاعة الأمر كلّ ذلك يؤدي للتّأثير في القلب فيؤدي إلىٰ تسرعه وشدة النّبض مما يجعل الخائف يشعر ضربات قلبه كأنّها صادرة عن حنجرته أي: كأن القلب تحرك وارتفع من مكانه وأصبح بجوار الحنجرة، دليلاً علىٰ شدة الفزع والخوف، وإذا قارنا لدىٰ الحناجر (لدىٰ جاءت بالألف المقصورة) مع الآية (٢٥) في سورة يوسف، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ نجد لدا جاءت في هذه الآية بالألف الممدودة، وقيل: الألف الممدودة جاءت في سياق الأمر المادي والمحسوس، وهو: الباب والألف المقصورة جاءت في سياق الأمر المعنوي كون القلوب لدىٰ الحناجر.

﴿كَٰظِمِينَ ۚ ﴾: من الكظم وهو الإمساك عن إظهار الغيظ أو تجرّع الغيظ واحتماله والصّبر عليه.

أي: ممسكين غمّهم وغيظهم وحزنهم؛ لئلا يظهر للغير كما يمسك صاحب القربة فمها لئلا يخرج منها الماء، كناية عن شدة الفزع والغم.

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: ما النّافية، للظالمين: اللام لام الاستحقاق أو الاختصاص.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية استغراقية.

﴿حَمِيمٍ﴾: قريب ينفع، يقال: احتم فلان لفلان؛ أي: احتدّ لحمايته وفسر الحميم بالصّديق أو المحب.

﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: ولا شفيع يشفع له فتقبل شفاعته؛ أي حتّىٰ ولو كان يستطيع الشّفاعة؛ أي مؤهّل للشفاعة، لا يطاع ولو يطاع لا تقبل شفاعته، نفي الحالتين معاً.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾:

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: الله يعلم كلّ حين تنظر العين إلىٰ ما نُهي عنه؛ أي حين تنظر إلىٰ شيء محرم أو إلىٰ ما لا يحل إليه النّظر؛ أي: مسارقة النّظر إلىٰ الشّيء المحرم ناهيك عن المجاهرة.

الخائنة: الخائنة صفة للنظرة تكون باستراق النّظر أو الاختلاس، والأعين جمع: عين، أداة النّظر، وعين قد تجمع عيون وهي عيون الماء الّتي تكون تحت الأرض.

﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾: أي القلوب من خير وشر، أو ما تحدّث به النّفس صاحبها من الهم أو العزم علىٰ المحرم أو التّخلي عنه، فالله سبحانه لا تخفىٰ عليه خافية، وهذا إنذار وتحذير لكلّ من يرتكب تلك المعاصي ويظن أن الله لا يراه.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾:

وبما أنّ الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور، فهو قادر على أن يقضي بالحق.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾: تقديم الفاعل على الفعل للاهتمام.

يقضي: يحكم، بالحق: أي بالعدل وبالقسط، الباء للإلصاق والملازمة؛ أي: دائماً يقضي بالحق يجزي السّيئة بالسّيئة والحسنة بعشر أمثالها أو أكثر، أو يغفر أو يعفو لمن تاب.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: الّذين اسم موصول يفيد الذّم.

يدعون من دونه: يعبدون غيره من الشّركاء والأصنام.

﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾: لا النّافية، يقضون: يحكمون، بشيء: وشيء نكرة تعني: أيّ شيء صغيراً أو كبيراً، أو حسياً، أو معنوياً، والشيء: هو أقل القليل.

﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾: لأنّهم لا ينطقون ولا يسمعون ولا يبصرون؛ لأنّها جمادات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾: إن: للتوكيد، هو: تفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم ودعائهم وسرّهم ونجواهم وما يعلنون.

﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾: بأعمالهم وعبادتهم وما يجري في معابدهم، وما يحدث في أقطار السّموات والأرض.

[٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾:

المناسبة: إذا كان الإنذار والوعيد لا يهزّ ولا يؤثر في قلوب هؤلاء الكفرة والمشركين، فلِمَ لا يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان هلاك من سبقهم من الأمم الّذين كذّبوا رسلهم؟!

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾: الهمزة للاستفهام والحثّ، الواو تدل على الكثرة، ولكون الآية مجرد إخبار، ولو كان قبلها سبباً لما بعدها لجاء بالفاء فقال: ألم يسيروا في الأرض.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ولم يقل على الأرض؛ لأنّ الغلاف الجوي حول الأرض يعدّ من الأرض.

﴿فَيَنظُرُوا۟﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب.

أي: يسافروا في الأرض بنية وقصد رؤية الآثار والمساكن الخاوية على عروشها، الّتي سكنها الّذين أهلكهم الله وعذّبهم بذنوبهم من الأمم الماضية أمثال عاد وثمود ولوط وفرعون وغيرهم، ولم يقل ثم ينظروا؛ والتي تعني التّراخي في الزّمن؛ أي: يسيروا في الأرض لأسباب مختلفة وبعدها ينظروا إلى آثار الأمم السّابقة الّتي أهلكها الله سبحانه...

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كيف للاستفهام والتّحذير.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: حين يذكر العاقبة ويسبقها (كان) تعني العذاب والهلاك، أي: كيف كان هلاك وعذاب الّذين (اسم موصول يفيد الذّم).

﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي جاؤوا من قبلهم أمثال عاد وثمود ولوط وفرعون،

وحين يؤنث العاقبة فيقول: كيف كانت عاقبة بدلاً من فكان؛ تعني: الجنة والعاقبة الحسنة. وهذا من خصائص القرآن الكريم.

﴿كَانُوا۟ هُمْ﴾: تكرار كانوا مرتين للتوكيد على العاقبة أولاً، وعلى شدة قوتهم وأثاراً في الأرض ثانياً، وهم: للتوكيد.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أشد منهم (من كفار قريش وأمثالهم) بعددهم وعدّتهم وكبر الأجسام.

﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وبما بنوا وشيّدوا من الحصون والقصور وأقاموا المدن والحضارات القديمة، وأكبر دليل على ذلك الأهرامات في مصر وقوة الآثار تدل على قوة من بناها.

﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الفاء للتوكيد، فأخذهم الله بذنوبهم؛ أي: عاقبهم بذنوبهم فعذّبهم ودمّرهم، والباء بذنوبهم باء السّببية؛ أي: بسبب ذنوبهم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: ما النّافية، كان: تشمل كلّ الأزمنة، لهم: اللام لام الاختصاص لهم خاصة.

من الله: من ابتدائية، الله: اسم العلم الدّال على واجب الوجود سبحانه.

من واق: من استغراقية تستغرق كلّ واقٍ؛ أي: يقيهم من العذاب أو يدفع العذاب، يحميهم وينقذهم أو يخفف العذاب عنهم.

[٢٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد؛ أي: ذلك العذاب والأخذ الّذي حلّ بهم من الهلاك والدّمار.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء باء التّعليل، أنّهم: أن للتوكيد، والضّمير (هم) يعود على الكفرة من الأمم الماضية.

﴿كَانَتْ تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحة والمعجزات والآيات الدّالة على صدق الرّسل، والدّالة على وجوب الإيمان بالله وحده.

﴿فَكَفَرُوا۟﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: كفروا مباشرة بالرّسل ولم ينتظروا ويفكروا.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: الفاء للتوكيد، أخذهم الله: أي عاقبهم بشدة فعذّبهم وأهلكهم. والأخذ فيه معنى الشّدة والقوة.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إن للتوكيد.

﴿قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: قوي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

شديد العقاب: العقاب ارجع إلى الآية (٣) من السّورة نفسها؛ لمزيد من البيان. قوي شديد العقاب فيها مبالغة في التّحذير والإنذار.

وإذا قارنّا هاتين الآيتين (٢١ – ٢٢) من سورة غافر مع آيات أخرى مماثلة مثل:

الآية (٦٩) من سورة التّوبة: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

والآية (٩) من سورة الرّوم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

والآية (٤٤) من سورة فاطر: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾.

نجد أنّ هاتين الآيتين من سورة غافر: فيهما الكثير من التّوكيدات مثل زيادة (هم) وتكرار (فأخذهم الله) (مرتين) ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾، ﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ هذه التّوكيدات تدل على شدة الإنذار والتّحذير والعاقبة أكثر من الآيات الأخرى.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾:

المناسبة: بعد ذكر أحوال المكذبين برسلهم من الأمم الماضية وما نزل بهم من الهلاك، يذكّرنا أيضاً بما فعل فرعون وجنوده بموسى عليه السّلام.

﴿وَلَقَدْ ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد تحقّق ما سنذكره في الآيات القادمة.

﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: ولم يقل بعثنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

الباء للإلصاق، آياتنا: التّسع ومنها: العصا واليد. وقوله: آياتنا، نسب الآيات إليه سبحانه؛ لأهميتها ولم يقل ولقد أرسلنا موسى بالآيات.

﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾: سلطان عطف على (آياتنا) ومبين: نعت للسلطان، وسلطان مبين: هو الحجة القوية الّتي لا تدحض؛ لقوة دلالتها والدّليل القاطع

الّذي تأكد بالحس والإدراك بالحواس فهو يشبه عين اليقين، والسّلطان نوعان: إما سلطان القوة والغلبة والقهر، أو سلطان البرهان والحجة.

وسلطان مبين: عطف الخاص على العام؛ للتوكيد على أهميته.

﴿مُّبِينٍ﴾: الواضح لكلّ فرد يطّلع عليه وظاهر بنفسه لا يحتاج إلى دليل أو توضيح.

[٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾:

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: ملك مصر، ذكر في القرآن (٧٤) مرة. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون.

﴿وَهَٰمَٰنَ﴾: وزير فرعون ذكر في القرآن (٦) مرات. ارجع إلى الآية (٣٦) من السّورة نفسها، وسورة القصص آية (٦) للبيان المفصل.

﴿وَقَٰرُونَ﴾: ارجع إلى سورة القصص آية (٧٦) للبيان، وذكر في القرآن (٤) مرات. قدم فرعون في هذه الآية؛ لأن موسى عليه السلام أرسل إلى فرعون أولاً، بينما في سورة العنكبوت آية (٣٩): قدم قارون على فرعون وهامان؛ لأن قارون كان من قوم موسى، وعنده علم بالتوراة فهو مقارنة بفرعون وهامان يُعد من المستبصرين الذين جاء ذكرهم في الآية (٣٨) من سورة العنكبوت فيكون الترتيب: وكانوا من المستبصرين وقارون، أو ربما لأن الآيات في سورة العنكبوت جاءت في سياق العذاب؛ أي: الخسف الذي أصاب قارون قبل فرعون وهامان الذين أغرقوا في اليم.

﴿فَقَالُوا۟﴾: الفاء تدل على المباشرة؛ أي: مجرد ما جاءهم موسى كذّبوه ولم يصدقوا بما جاء به من الآيات: المعجزات.

﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾: ساحر: اسم فاعل؛ أي: الذي يعمل السحر، أو

يزاوله، أو يجيء به، ولمعرفة معنى السّحر ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه. واتّهموه بالسّحر؛ لأنّ ما جاء به من آية العصا واليد أشياء خارقة للعادة وأثّرت في نفوسهم فقالوا: إنّها سحر.

كذاب: ساحر كثير الكذب، وكذاب: صيغة مبالغة من كذب؛ أي: كأن حرفته الكذاب، أو دائماً يكذب.

[٢٥] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾:

﴿ فَلَمَّا ﴾: الفاء للترتيب العددي أو الذّكري، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿جَآءَهُم ﴾: لم يقل أتاهم؛ المجيء فيه مشقة وصعوبة مقارنة بالإتيان، وجاءهم أي: موسى، جاء فرعون وهامان وقارون.

﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار، بالحق: بالصّدق، والحق: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل، وبالحق (قد تعني بالمعجزات الّتي تدل على صدق نبوته).

﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٩)، والأعراف آية (١٤١) للبيان. ويجب الانتباه إلى اختلاف الزّمن بين هذه الآية من سورة غافر والآية (٤) من سورة القصص:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

فآية القصص زمنها عند ولادة موسى، وآية غافر زمنها عندما أصبح موسى نبياً ورسولاً؛ أي: بعد عودته من مدين.

ففرعون أمر بالذّبح وقتل الذّكور من بني إسرائيل مرتين:

المرة الأولىٰ: قبل ولادة موسىٰ كما ورد في آية القصص.

والمرة الثّانية: في هذه الآيــة آية غافر، ففرعون يأمر بذبح أبناء الّذين آمنوا مع موسىٰ (بالله رب العالمين).

﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾: أي أبقوا نساءهم أحياء للخدمة والإذلال.

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: ومــا: الواو حــرف عطف، ما: النّافية.

كيد فرعون: الكيد هو أقوىٰ من المكر، والكيد: هو إيقاع الضّرر أو المكروه بالغير قهراً سواء علم الخصم أم لا يعلم.

وكيد فرعون سواء كان بقتل أبناء الّذين آمنوا مع موسىٰ واستحياء نسائهم، أو إذاقة بني إسرائيل سوء العذاب وغيره من القهر والذّل.

﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: وما كيد فرعون بموســىٰ والذّين آمنــوا معه، إلا: أداة حصر، في ضلال: في ظرفية، ضلال: في خســران وضياع وباطل لا جدوىٰ منه ولا فائدة؛ لأنّ الله سبحانه أعظم كيداً وهو القوي العزيز.

❖ ❖ ❖

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

سورة غافر [الآيات ٢٦ - ٣٣]

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾: أي دعوني اتركوني، قال ذلك لأنّه كان يريد قتل موسىٰ من قبل حين كان موسىٰ وليداً وفرعون كان يخاف من موسىٰ حيث قذف الله في قلبه الرّعب من موسىٰ، والآن يبدو أنّه أشد تصميماً علىٰ تنفيذ القتل ويبدو أن فرعون بدأ يشعر بتهديد موسىٰ ويخاف علىٰ ملكه وهلاكه.

﴿وَلْيَدْعُ﴾: الواو عاطفة، ليدع: اللام لام التّوكيد.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾: ليدع موسىٰ ربه الّذي يزعم أنّه أرسله إلينا؛ ليمنعه من القتل أو يدفع عنه القتل.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: إني: للتوكيد، أخاف: أخشىٰ إن لم أقتله، أن: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

يبدل دينكم: أن يُغيّر دينكم؛ أي: ما أنتم عليه من عبادتكم لآلهتكم لكي تعبدوا إلهه وحده. أو أن يظهر في الأرض الفساد: أو هنا ليست للتخيير وإنما جاءت بمعنىٰ الواو؛ أي: إني أخاف أن يبدّل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد؛ أي: يوقع الفتنة والخلاف بين النّاس من وجود فريق يؤمن بفرعون إلهاً وفريق يؤمن بموسىٰ وربه فيكثر الفساد في الأرض فتكثر الخلافات والخصومات والقتل والخراب.

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾: حين سمع ما قاله فرعون: ذروني أقتل موسىٰ، وأبناء الّذين آمنوا معه.

﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾: إني للتوكيد، عُذت: استجرت بربي وربكم أو لجأت إلىٰ ربي وربكم من شر فرعون وشر أمثاله، فهو القادر علىٰ نصرتي وحمايتي وحماية كلّ مؤمن.

﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: من استغراقية، تستغرق كلّ متكبر مكذّب بالجزاء والحساب؛ ويعني فرعون وأمثاله.

ولكن لم يذكر اسم فرعون حتّىٰ لا يجعل فرعون ندّاً ومثيلاً لله سبحانه، أو لكونه تربّىٰ في بيت فرعون فراعىٰ موسىٰ حق التّربية والرّعاية فلم يذكر اسم فرعون.

جمع بين الاستكبار والتّكذيب بيوم الحساب (الجزاء).

ولم يكتفِ بالقول (ربي) وإنما أضاف إلىٰ ذلك (ربكم) للتوكيد علىٰ ربوبية الله تعالىٰ للكل، وبذلك يخرج فرعون من دائرة الرّبوبية؛ لأنّ فرعون قال: أنا ربكم الأعلىٰ.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾:

المناسبة: بعد أن دعا موسىٰ ربه بقوله: إني عُذت بربي وربكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، استجاب له ربه فقيّض له من بين الأسباب لمساعدته

رجلاً مؤمناً من آل فرعون، قيل: هو ابن عم فرعون من آل فرعون؛ أي: حاشية فرعون.

﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُۥ﴾: يخفي إيمانه؛ لأنّ قوة طغيان وقهر فرعون وملئه أكبر بكثير من موسىٰ والذّين آمنوا معه؛ أي: يكتم إيمانه خوفاً من بطش فرعون.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾: قام الرّجل مدافعاً عن موسىٰ بعد أن سمع بتهديد فرعون لقتل موسىٰ فقال بجرأة أمام فرعون وملئه: أتقتلون: الهمزة همزة استفهام إنكاري.

رجلاً أن يقول ربي الله: رجلاً؛ أي: موسىٰ، أن يقول: أن تفيد التّعليل، ربي الله.

(ربي الله جمع الرّبوبية والألوهية معاً).

أتقتلون رجلاً لا ذنب له ولا يستحق القتل بسبب قوله: ربي الله ويجهر بها أمام فرعون الّذي قال لقومه: ما علمت لكم من إله غيري؟ ولا شك أن فرعون يستمع ولا تصدق أذناه ما يسمع من قول هذا الرّجل.

﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾: الواو الحالية تفيد التّوكيد، قد للتحقيق؛ أي: تحقق مجيئه بالبينات من ربكم؛ أي: المعجزات أو الآيات التّسع وها هو يعيد ويكرر لتسمع آذانهم مرة بعد المرة قول: جاءكم بالبينات ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾، يقول: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾..

جاءكم: المجيء يكون عادة شاقاً صعباً.

بالبينات: من عند ربكم فيها حث علىٰ الإيمان بطريقة غير مباشرة.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾: الواو حالية تفيد التّوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

يك: ولم يقل يكن، لتدل على: إن يك كاذباً أدنى الكذب أو أقل الكذب.

فعليه كذبه: أي جزاء أو وبال كذبه سيقع عليه فلا حاجة لقتله أو لا يضركم كذبه.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾: مثل وإن يك كاذباً.

وإن يك صادقاً أقل وأدنى الصّدق.

﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾: أي يصبكم بعض العذاب في الدّنيا، الّذي يعدكم به على كفركم، أو النّجاة إن آمنتم به أو ببعض الّذي يعدكم من الصّدق؛ أي: النّجاة وقيل: ذكر البعض ليوجب الكل؛ لأنّ الجزء يدل على الكل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾: إن الله للتوكيد (هذه تتمة لقول الرّجل المؤمن).

لا يهدي: لا النّافية، يهدي إلى الحق أو إلى سبيله.

من: استغراقية.

هو: للتوكيد.

مسرف: المفرط في فعل أو قول ما لا خير فيه؛ أي: متجاوز حدود الله ويقيم على المعاصي أو المكثر فيها.

كذاب: صيغة مبالغة كثير الكذب.

وإذا نظرنا إلى ما قاله الرّجل المؤمن في هذه الآية وما سيقوله في الآيات التّالية: نجد أنّه قد استخدم الكثير من أساليب الدّعوة إلى الله رغم أنّه يكتم إيمانه،

فكيف به لو كان يجهر بالدّعوة إلىٰ الله، فقد استخدم أسلوب المنطق والعقل حين قال: أتقتلون رجلاً؛ أن يقول: ربي الله، وإن يك كاذباً... أو يك صادقاً... إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٤) في نفس السورة، وهي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾: نجد في الآية (٢٨) مسرف كذاب سبقها القول فعليه كذبه، وفي الآية (٣٤) مسرف مرتاب سبقها القول: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ ناسبها مسرف مرتاب.

[٢٩] ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾:

ينتقل الرّجل المؤمن في دعوته إلىٰ أسلوب العاطفة والحنان وأسلوب الإنذار والتّحذير في هذه الآية.

﴿يَٰقَوْمِ﴾: نداء فيه العطف والرّحمة علىٰ قومه.

﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: اللام في لكم للاختصاص، الملك: لكم ملك مصر الواسع، اليوم؛ أي: في الدّنيا أو في هذا الزّمن.

﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: غالبين في الأرض منتصرين علىٰ غيركم، يقال: فلان ظاهر علىٰ فلان؛ أي: غالب عليه.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾: فمن: الفاء للتوكيد، من استئنافية.

ينصرنا من بأس الله: من عذاب الله، أو يدفع عنا عذاب الله.

إن جاءنا: إن جاءنا بعد قتل هذا الرّجل، أو جاءنا بأس الله بسبب قتله فمن سيدفع عنا العذاب؟ أو إن شرطية تفيد الاحتمال والشّك، وجواب الشّرط محذوف؛ أي: لا أحد ينصرنا أو ينجينا.

إن جاءنا: أدرج نفسه معهم فلن ينجو أحد منا، فهو يشعرهم أنّه معهم وليس مع موسىٰ وهو يخاطبهم مباشرة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾: ردّ فرعون علىٰ سؤال الّذي آمن من آل فرعون، حين سأل: فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا، فقال فرعون: ما أريكم: ما أشير عليكم إلا ما أرىٰ: أي نقتله ونتخلص منه...

﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: وما النّافية، أدلكم عليه هو سبيل الرّشاد؛ أي: سبيل الصّواب والصّلاح، إلا أداة حصر؛ أي: هو الوحيد والسّبيل للصلاح؛ أي: تكذيب موسىٰ وقتله وتصديقي هو سبيل الصّلاح أو الصواب.

الرّشاد من الرَّشد بفتح الرّاء، ويختلف عن الرُّشد بضم الرّاء:

الرَّشد: يستعمل في الأمور الأخروية فقط.

الرُّشد: يستعمل في الأمور الدّنيوية والأخروية، والرُّشد أعم من الرَّشد.

[٣٠] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾:

يستمر الرّجل المؤمن في دعوته ويحذر قومه مرة أخرىٰ ولم يُبالِ بما قاله فرعون ولم يخف من فرعون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ﴾: نادىٰ الّذي آمن قومه نداء فيه نوع من الحنان والعطف عليهم.

﴿إِنِّىٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُم﴾: إن كذبتم موسىٰ ولم تؤمنوا به أو قتلتموه.

﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أي أن ينزل بكم العذاب ويحلّ عليكم كما نزل

وحلّ بالأمم المكذبة لرسلها؛ أي: الأحزاب، وهم قوم: نوح، وعاد، وثمود، والذين من بعدهم.

وقال تعالىٰ: (يوم) (مفرد). ولم يقل أيام: أي وقائع أو ما حدث في تلك الأيام من دمار وخراب. فهو جمع الأحزاب وأفرد اليوم ولم يقل مثل أيام الأحزاب أيام هلاكهم وعذابهم؛ أي: رغم كونهم أحزاباً مختلفة؛ أي: أمماً أو أقواماً مختلفة متعددة، كذبوا برسلهم ولم يصدقوا بهم ورفضوا الإيمان فما وقع لكلّ حزب من هلاك ودمار هو نفسه تكرر وتجدد ولذلك وحّد كلمة (يوم) فقال: يوم الأحزاب (لأنّهم أحزاب متعددة) فمن يكذّب برسوله كأنّه يكذّب بكل المرسلين عامة؛ لأنّ رسالتهم واحدة.

[٣١] ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾:

الدّأب: العادة والشأن، دأب علىٰ الأمر: اعتاد عليه وأقام عليه ولم يتركه.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أي أخاف عليكم أن تقيموا علىٰ كفركم وعدم تصديقكم بموسىٰ، كما دأب قوم نوح حين أقاموا علىٰ كفرهم وعدم تصديقهم بنوح فحلّ بهم الطّوفان، أو دأب قوم عاد حين كذبوا أخاهم هوداً، أو دأب قوم ثمود حين كذبوا نبيهم صالحاً، والذّين من بعدهم؛ أي: مثل قوم لوط.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾: ما النّافية، الله: قدّم الفاعل للاهتمام، يريد ظلماً للعباد: أي وما يريد الله تعالىٰ أن يعذّبهم بذنب لم يفعلوه ولا يترك الظّالم منهم بغير انتقام، للعباد: اللام لام الاختصاص، العباد كافة.

[٣٢] ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾:

﴿وَيَا قَوْمِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٠).

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إني للتوكيد، أخاف عليكم يوم التّناد (في الآخرة)

بينما أخاف عليكم يوم الأحزاب (في الدّنيا) فهو يحذرهم أن يحلّ عليهم عذاب أو هلاك في الدّنيا أو في الآخرة أو كلاهما معاً.

﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾: له معنيان: يوم المناداة. ينادي كلّ إنسان للحساب والجزاء أو ينادي أصحاب الجنة أصحاب النّار، وأصحاب الأعراف أصحاب الجنة. وأصحاب النّار أصحاب الجنة، والنّداء هو الدّعاء والطّلب أو الحضور أو للاستغاثة.

ولم يقل يوم التّنادي، قال: يوم التّناد حذف الياء؛ لأنّ النّداء لا يطول فيه زمناً طويلاً.

ويوم التّناد قد يعني: يوم التّشرد والبُعد كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦]. أي: يوم الفرار والهرب.

التّناد هنا مشتق من فعل: ندَّ؛ أي: بعُد وشرد ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧].

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: يوم نكرة للتهويل والتّرويع يوم القيامة.

١ - ﴿تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾: منصرفين من الموقف (المحشر) ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧١].

٢ - ﴿تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾: تولون: فارّين هاربين حين يؤمر بهم إلىٰ النّار...

﴿مَا لَكُمْ﴾: ما النّافية، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من ابتدائية.

﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾: من استغراقية تشمل أيّ عاصم؛ أي: يعصمكم من عذاب الله؛ أي: يمنعكم أو يدفع عنكم عذابه، يقال: عَصَمه الطّعام؛ أي: منعه من الجوع، أو ينجيكم منه.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: السّؤال هل يُضل الله أحداً؟ الجواب: لا طبعاً، من: شرطية؛ أي: من يختار طريق الضّلال والضّياع والكفر ويصر على ذلك ويمتنع عن التّوبة والإنابة، ويبتعد بعيداً عن الدّين، يتركه الله يفعل ما يريد، فإذا وصل درجة لا يُرجى معها العودة إلى الهداية عندها يطبع الله على قلبه فلا يدخله إيمان ولا يخرج منه كفر، ولن يجد له من هاد يهديه.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النّافية.

﴿لَهُۥ﴾: الجار والمجرور، تقدم للاختصاص: له خاصة.

﴿هَادٍ﴾: يهديه إلى الصّراط المستقيم أو الدّين، ولم يقل: فما له من هادي.

لنقارن هذه الآية (٣٣) من سورة غافر: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

مع الآية (١٨٦) من سورة الأعراف: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾.

في آية غافر قال: فما له من هاد، نفى (بما) (تنفي الحال) وقدّم له: للحصر، من: استغراقية هاد؛ أي: هاد سواء كان رسولاً هادياً أو عالماً أو صديقاً هادياً واحداً يهديه ولو زمناً قصيراً.

في آية الأعراف: فلا هادي له نفى بـ (لا) (تنفي المستقبل وكل الأزمنة) وأخّر (له) أي: له ولغيره هادٍ ولو استغرقت هدايته زمناً طويلاً.

ولو جمعنا الآيتين نقول: من يضلل الله لا هادي له الآن ولا في المستقبل، ولن يستطيع أحد أن يهديه ولو صرف زمناً طويلاً أو قصيراً في هدايته.

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

سورة غافر [الآيات ٣٤ - ٤٠]

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾:

يتابع الرّجل المؤمن النّصح لقومه ويلجأ إلى الاستعانة بالتّاريخ فيقول:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: تحقق وحدث ذلك.

﴿جَآءَكُمْ﴾: أي جاء وكان مجيئه بمشقة وصعوبة وليس بسهولة، والمخاطب هو فرعون وقومه؛ أي: جاء آباءكم وأجدادكم.

﴿يُوسُفُ﴾: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السّلام.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل موسى عليه السّلام الّذي تريدون قتله أو عدم تصديقه. انتبه حين قال: جاءكم يعني جاء آباءكم وأجدادكم؛ لأنّه حين جاء كان الحاكم هو عزيز مصر ولم يكن هناك أيّ فرعون، وتفسير ذلك: أن الهكسوس دخلوا مصر قبل مجيء يوسف وقضوا على حكم الفراعنة وألغوا الفرعونية وجعلوا أنفسهم ملوكاً، فجاء يوسف في زمن حكم هؤلاء، ثم بعد ذلك عادت الفرعونية إلى مصر وراحوا يضطهدون بني إسرائيل؛ لأنّهم كانوا موالين ومن أنصار الملك العزيز.

فهذا الرّجل المؤمن يعلم القصة التّاريخية فجاء بها ليذكّرهم بما حدث لعلّهم يؤمنوا بموسى.

إذن: جاءكم يوسف: يوسف لم يجئ لهم وإنما جاء لآبائهم فنسب ما للآباء

للأبناء؛ لاشتراكهم جميعاً في الضّلال والتّكذيب بالرّسل فليس هناك فارق بينهم وبين آبائهم وأجدادهم.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالآيات الدّالة على وحدانية الله والدّالة على صدق نبوته، والبينات: هي تأويل الأحلام، ولنذكر قول يوسف حين دعا صاحبي السّجن فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف:٣٧-٤٠].

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾: الفاء للتوكيد.

زلتم في شك مما جاءكم به؛ أي: كنتم في شك. الشّك: هو التّردد بين أمرين على حد سواء (أي تساوي طرفي الإثبات والنّفي) طوال زمن يوسف؛ أي: كنتم تشكون في صدق رسالته وعبادة الله وحده؛ أي: كفرتم به.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية، إذا ظرف زماني للماضي وشرطية تفيد حتمية الحدوث.

هلك: أي مات يوسف.

﴿قُلْتُمْ﴾: القائل قد يكون ممن عاصر يوسف أو ممن جاء بعدهم من أسلافهم.

﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾: لن لنفي المستقبل القريب والبعيد (أي موسى وغير موسى) أي: قلتم ذلك وحكمتم بدون علم ولا برهان وفي نيتكم تكذيب أيّ رسول سواء كان يوسف من قبل أو موسى الآن.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾: كذلك: أي مثل هذا الضّلال يكون حال من يضله الله تعالىٰ؛ لإسرافه في المعاصي.

مسرف: متجاوز الحد في المعاصي والشّرك والكفر.

مرتاب: من الرّيبة وهي: الشّك والتّهمة، وسبقها القول: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ ولذلك جاء بعدها مسرف مرتاب. ارجع إلىٰ الآية (٢٨) في نفس السورة للمقارنة.

أي: هو مسرف في فعل المعاصي ومرتاب في دينه؛ أي: يشك ويتّهم الآخرين بالباطل؛ لكي يجد لنفسه مبرراً لعدم إيمانه.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾:

هذا كلام الله سبحانه معترض بين كلام مؤمن آل فرعون وكلام فرعون، هذه الآية تبدو كأنّها تتمة لقوله: (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الّذين يجادلون في آيات الله).

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول تفيد الذّم وتعود علىٰ المسرفين المرتابين أو الّذين كفروا ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر:٤].

﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: الجدال نوعان: جدال لإظهار الحق وهو جدال غير مكروه، وجدال بالباطل وهو مكروه.

الذين يجادلون في آيات الله؛ أي: يجادلون بالباطل وفي آيات الله الدّالة علىٰ صدق نبوة أنبيائه بأن يقولوا: ساحر أو كاهن أو كذاب، أو يجادلون في آيات الأحكام، أو يجادلون في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير.

أما الآيات الكونية فلا أحد يستطيع أن يجادل فيها؛ لأنّ مبلغ علمهم قليل لا يُذكر.

﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾: السّلطان إما سلطان علم وبرهان وحُجة، أو سلطان قوة وقهر، وهم لا يملكون كلاهما ولذلك هم يجادلون بالباطل.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي هذا النّوع من الجدال هو جدال ممقوت؛ لأنّهم يجادلون الحق بالباطل، كبر مقتاً عند الله: أي يبغض الله سبحانه هذا النّوع من الجدال خاصة بغضاً شديداً ويبغضه الّذين آمنوا الّذين يتبعون الحق وإعلاء كلمة الله وإقامة الدّين.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: أي كما يطبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان أتاهم، يطبع على كلّ قلب متكبر جبار.

والطّبع أشد من الختم، والطّبع على القلب يعني: لا يدخل قلوبهم أيّ إيمان ولا يخرج منها أيّ كفر، والطّبع على قلوبهم هم سببه فهم الّذين اختاروا ذلك واستمروا في الجدال والكفر وابتعدوا كثيراً عن سبل الهداية فلم يعد هناك أملٌ في توبتهم فطبع الله على قلوبهم.

﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: الكبر هو إظهار عظم الشّأن ورفع النّفس فوق ما تستحق.

متكبر: عن قبول الإيمان بآيات الله والتّوحيد والجدال في آيات الله، متكبر بدون أن يملك أيّ مؤهلات للكبر.

﴿جَبَّارٍ﴾: صيغة مبالغة وهو القاسي المتكبر، الّذي يُكْرِهُ النّاس على فعل ما لا يحبون فعله مستخدماً وسيلة الظّلم والقوة والقهر، أو يتعاظم بالقهر والقتل، والجبار: أبلغ من المتكبر.

لنقارن هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ ولو قال كذلك يطبع الله على قلب كلّ متكبر جبار؛ أي: بتقديم كلمة (كل) على كلمة (قلب) أو تأخيرها.

تقديم كلمة (كل) كقوله: كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبر جبار؛ تعني: كلّ قلوب المتكبرين الجبارين عموماً تصاب بالطّبع، وتعني الطّبع على القلب طبعاً تاماً كاملاً يشمل كلّ جزء من أجزاء القلب.

أما تأخير كلمة (كل) كقوله: كذلك يطبع الله على قلب كلّ متكبر جبار؛ تعني: كلّ قلوب المتكبرين الجبارين تصاب بالطّبع، وتعني الطّبع على القلب لا يشمل كلّ جزء من أجزاء القلب.

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾:

عاد فرعون مرة ثانية إلى مقاطعة كلام الّذي آمن راجياً أن لا يكون نُصحُ الّذي آمن قد أثّر في قلوب المستمعين، فأسرع بسؤال هامان أمام قومه مستخفاً بعقولهم:

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾: هامان: وزيره هامان كان المسؤول على البناء، بناء المشاريع الكبرى، وبناء المشاريع الكبرى يطلق عليها هامان أي اسمه هامان ووظيفته هامان (بناء المشاريع الكبرى) وكان مقرباً إلى فرعون. وذكر هامان في القرآن إعجاز على نبوة رسول الله ﷺ؛ لأنّ أهل الكتاب ينكرون هامان في كلّ قصة موسى؛ أي: لا وجود لهامان مع موسى. ارجع إلى سورة القصص آية (٦) لمزيد من البيان.

﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾: الصّرح هو البناء الشّامخ العالي الظّاهر الّذي لا يخفى على النّاظر من بُعد كالأبراج العالية، صرحاً: من صَرَح الشّيء وصرّحه؛ أي: بيّن الشّيء وأظهره فلم يعد يخفى.

﴿لَّعَلِّيٓ﴾: للتعليل.

﴿أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: جمع سبب، والسّبب: هو ما يتوصّل به إلى الشّيء كالحبل أو السُّلم ويطلق على الطّريق.

وقيل: أبواب السّموات؛ أي: الطّرق طرق السّموات.

لعلّي أبلغ الطّرق التي توصل من سماء إلى سماء المؤدية إلى الوصول إلى إله موسى، وكما قال تعالى في سورة الكهف الآيتين [٨٤-٨٥]: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ وارجع إلى سورة ص آية (١٠) لمزيد من البيان.

[٣٧] ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾:

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أبوابها ومنافذها وطرقها. ارجع إلى الآية السابقة (٣٦) من نفس السورة.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: أي انظر إلى إله موسى، ويعني النّظر الموصل إلى الحقيقة والغاية.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾: أكد فرعون بأنّ موسى كاذبٌ (بإنَّ وبالياء) في (إني) واللام في لأظنه كاذباً في زعمه أن له إلهاً غيري فوق السّموات؛ أي: لعلي أصعد في الصّرح فأصل إلى أبواب السّموات ومنافذها، وأسير في طرقها من طريق إلى طريق حتّى أصل في النّهاية فأجد إله موسى، يريد بذلك أن يوهم قومه أنّه قادر على ذلك وأنّ ما يزعمه موسى هو شيء باطل، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فإذا جمعنا بين الآيتين أي: كاذباً من الكاذبين؛ كاذباً: هو الأصل.

وفي قوله: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ فيها شيء من التّكرير فمن الممكن القول لعلي أبلغ أسباب السّموات وانتهى.

هذا ليس تكراراً وإنما يسمى الإيضاح بعد الإبهام؛ للتفخيم، فالوصول إلى أسباب السّموات ليس بالأمر الهين، بل أمر عظيم يزعم فرعون أنّه قادر على فعله؛ ليجعل السّامع يتعجب لقدرة فرعون على فعل ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: وكذلك؛ أي: مثل ذلك التّزيين ظن أنّه سيبلغ السّموات ويطلع إلىٰ إله موسىٰ.

﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: من الشّـرك والتّكذيب، وزيّن مبني للمجهول والمزين هو الشّيطان بوسوسته كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّمل:٢٤].

﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي سبيل الهدىٰ والرّشاد، وسبب ذلك كفره وشركه وظلمه، عن: تفيد المجاوزة والمباعدة، وصد عن السّبيل هو وقومه.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾: مـا النّافية، كيد فرعون: ارجع إلىٰ الآية (٢٥) من السّورة نفسها.

إلا: أداة حصر.

في: ظرفية.

تباب: في ضياع وخسران وهلاك من: تبّ الشّيء: قطعه.

[٣٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾:

يتابع الّذي آمن نصحه إلىٰ قومه ويكرر: يا قوم، وتكرار يا قوم فيها نوع من العطف والحنان مع قومه حتّىٰ يتبعوه.

﴿ٱتَّبِعُونِ﴾: فيما أدعوكم إليه وأنصحكم علىٰ فعله.

ولم يقل اتبعوني، حذف ياء المتكلم؛ أي: اتبعوني ولو شيئاً قليلاً أو حاولوا اتباعي في بعض ما أنصحكم، أمّا اتبعوني تتطلـب اتباعاً تاماً في القول والعمل وفيه صبر والتزام.

﴿أَهْدِكُمْ﴾: أدلكم، انتبه إلىٰ قول الّـذي آمن: أهدكم، بينما كان قول فرعون في الآيـة (٢٩): أهديكم، فرعون يؤكد عليهـم أن يتبعوه؛ لأنّه يعلم أنّ

القوم في شك مما يقوله لهم ويدعوهم إليه، ويزعم باطلاً أن الهداية بيده، بينما الّذي آمن لا يؤكد عليهم؛ لأنه يعلم أنّ الهداية بيد الله فهو الهادي وحده.

﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: السّبيل هو الطّريق الواسع السّهل السّريع، والصّراط أفضل من السّبيل.

سبيل الرّشاد: شرع الله أو سبيل الصّلاح المؤدّي إلى الغاية؛ أي: النّجاة والسّداد والخير.

[٣٩] ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾:

﴿يَٰقَوْمِ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة؛ للبيان.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: هذه الهاء للتنبيه، ذه اسم إشارة للقرب يشير إلى الحياة الدّنيا.

﴿مَتَٰعٌ﴾: المتاع كلّ شيء ينتفع به وزائل متاع قليل، ارجع إلى سورة القصص آية (٦٠) للبيان.

﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: إن للتوكيد، الآخرة: الدّار الآخرة.

﴿هِىَ﴾: للتوكيد.

﴿دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾: دار البقاء والخلود والدّوام؛ أي: الجنة، ومن أسمائها دار السّلام، جنات عدن، جنات الفردوس، جنات النّعيم، دار الخلد.

[٤٠] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿عَمِلَ سَيِّئَةً﴾: ارتكب معصية، والسّيئة قد تكون صغيرة أو كبيرة (سيئة جاءت بصيغة النّكرة؛ لتشمل أيّ سيئة).

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّافية.

﴿يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: لأنّ الزّيادة على مقدار جزاء السّيئة ظلم.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: من ابتدائية وتشمل المفرد والمثنى والجمع، (هو) للتوكيد؛ أي: قرن الإيمان بالعمل الصّالح.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد ويفيد المدح ويشير إلى الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات.

﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير حساب تعني كثرة الرزق، والحقيقة هم يرزقون فيها حسب درجات أعمالهم الصالحة كما جاء في سورة النبأ الآية (٣٦) وفي قوله تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾. ارجع إلى الآية (٢١٢) من سورة البقرة لبيان قوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

❖ ❖ ❖

الحزب ٤٨

وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ
لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

سورة غافر [الآيات ٤١ - ٤٩]

[٤١] ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾:

﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: انتبه في هذا النّداء وهو النّداء الثّالث حيث أضاف الواو فقال: ويا قوم الـواو تدل على الاهتمام وزيادة في التّنبيـه واليقظة، وبدأ في هذه الآية يصرح بإيمانه بالله وحده بينما في الآيات السّابقة نصح عام.

﴿مَا لِيٓ﴾: ما استفهامية فيها معنى التّعجب وتفيد معنى كيف.

﴿أَدْعُوكُمْ﴾: أصل الدّعاء طلب الفعل، من: دعا يدعو.

﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾: مـن النّار ودخـول الجنة (هو دعاهم إلـى الجنة في الآية السّـابقة) ودخول الجنة؛ يعني: النّجاة من النّار ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله وحده وتصديق موسى عليه السّلام. فهو يؤكد لهم ذلك والسبيل إليها.

﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: وقد بيّن كيف يدعونه إلى النّار في الآية التّالية.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ﴾، بعدم اتباع موسى وأكد دعوتهم له بزيادة النّون في: تدعونني، ولم يقل تدعوني.

[٤٢] ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾:

﴿تَدْعُونَنِي﴾: تطلبوا مني، وسواء طلبوا منه حقيقة أم لا، دأبهم على الكفر والشّرك فيه معنى الدّعوة الغير مباشرة.

﴿لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد، بالله: الباء للإلصاق والدّوام، وهذه الباء تعني كفر العقيدة؛ أي: الجحود بالله تعالىٰ.

﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾: به: بالله، في عبادته؛ أي: إلوهيته وربوبيته، أي وكيف أشرك به وما ليس لي به علم.

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿لَيْسَ﴾: توكيد النّفي.

﴿لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أي الآلهة والأصنام.

وتعني: كيف أشرك بالله هذه الآلهة المزعومة (بما فيها فرعون) بدون علم أنّها آلهة أو بدون برهان أو دليل، أو كيف أشرك به شيئاً أعلم أنّه ليس بآلهة؛ أي: هو نفسه يعلم أنّها ليست إلهاً.

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ﴾: إلىٰ الإيمان بالعزيز الغفار أو لعبادته وتوحيده.

﴿إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾: عدل عن ذكر الله تعالىٰ إلىٰ ذكر صفتين من صفاته توجبان الإقرار بإلوهيته والعبودية له وهما:

العزيز: القوي الممتنع الّذي يَغلب ولا يُغلب ويَقهر ولا يُقهر، وحذف وأنتم تدعونني إلىٰ ما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر.

الغفار: صيغة مبالغة من: غفر أي كثير المغفرة أو الغفران، يغفر الذنوب مهما كثرت ومهما كبرت، والمغفرة تعني يستر الذّنوب ويمحوها ولا يعاقب عليها ويثيب علىٰ العمل الصّالح، يغفر الذّنوب جميعاً ويغفر لكم أيضاً شرككم وذنوبكم إذا تبتم وأنبتم إليه.

[٤٣] ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾:

﴿ لَا جَرَمَ ﴾: تعني لابد أو حقاً، أو: لا محالة، وتعني ثبت، ومشتقة من الجرم: جرم اللحم: قطع اللحم، ارجع إلىٰ سورة هود آية (٢٢) لمزيد من البيان. وردت في القرآن في خمس آيات.

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ [هود:٢٢]، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [النحل:٢٣]، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ [النحل:٦٢]، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [النحل:١٠٩]، وآية غافر (٤٣).

﴿ أَنَّمَا ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: أي حقاً ما تدعونني إلىٰ عبادته من دون الله من الأصنام أو الآلهة أو فرعون أو غيره.

﴿ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾: ليس حرف نفي، لـه: اللام لام الاختصاص.

دعوة في الدّنيا ولا في الآخرة: أي هو نفسه لا يدعو أحداً إلىٰ عبادته؛ لأنّه لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يغني شيئاً، إذن ليس له دعوة توجب عبادته، وإن دعوتموه أنفسكم، لا يسمع دعاءكم حتّىٰ ولو سمع ما استجاب لكم؛ لأنّ الله قادر علىٰ منعه.

إذن هو ليس له شفاعة في الدّنيا ولا في الآخرة ليشفع لكم أو ليقرّبكم إلىٰ الله زلفىٰ.

في الدّنيا ولا في الآخرة: تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي: لا في الدّنيا وحدها ولا في الآخرة ولا في كلاهما.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: وأن: الواو استئنافية، أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

مردّنا إلى الله: أي مرجعنا إلى الله، فالواجب أن نؤمن به وحده، وقدّم مردّنا بدلاً من القول وإلى الله مردّنا؛ للحصر والتّوكيد: إلى الله وحده. ولم يقل مرجعنا؛ لأنّ مردّنا تعني الرّجوع بدون إرادتنا مكرهين، وأما الرّجوع يكون بإرادتنا وبدون كره.

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: وأن للتعليل والتّوكيد.

المسرفين: جمع مسرف متجاوز الحد في الحرمات؛ ويعني الإفراط في الكفر والشّرك. وتعريف المسرف: هو المفرط في فعل أو قول لا خير فيه متجاوز لحدود الله، والمقيم على المعاصي والشّرك وغيرهما. وقد تعني الظّلم وسفك الدّماء. و(المسرفين) جملة اسمية تدل على الثّبوت.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد كأنّهم هم وحدهم أصحاب النّار أو هم أصحاب النّار الحقيقيون.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة للبيان.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، ستذكرون: السّين للاستقبال القريب؛

أي: عما قريب إذا حلّ بكم عذاب الله عندها ستذكرون ما قلت لكم، أو يُذكّر بعضكم بعضاً.

﴿مَآ﴾: اسم موصول؛ أي: الّذي قلته لكم، أو مصدرية.

﴿أَقُولُ لَكُمْ﴾: أنصحكم، وما أقوله لكم الآن: بالإيمان بالله وحده والكفّ عن الشّرك والمعاصي.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: التّفويض: يعني الرد الأمر إلىٰ الله تعالىٰ وحده لكي يعصمني منكم من كلّ سوء، ويبدو أنّه قد شعر بأنّهم غير راضين عنه ويرفضون دعوته وربّما توعّدوه بالسّوء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: إن للتوكيد، بصير: مطّلع علىٰ أعمال عباده ونواياهم دائماً، الباء للإلصاق وتعني: الدّوام والاستمرار؛ أي: مطّلع علىٰ أعمالكم، وما تدبّروه أو تمكروه بي وبغيري.

[٤٥] ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾:

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: الفاء للتوكيد، وقاه: حفظه الله وعصمه.

﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾: سيئات: جمع سيئة، والسيئة: كل فعل قبيح؛ أي ما أرادوا به من قتل أو تعذيب أو حبس موسىٰ عليه السلام، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، أو مصدرية بمعنىٰ سيئات مكرهم أبشع ما مكروا.

مكروا: المكر هو: التّدبير الخفي بتدبّر وتفكّر؛ لإيقاع الضّرر بالغير بدون علم الغير، ولم يقل كيدهم: الكيد هو التّدبر الخفي لإيقاع الضّرر بالغير قهراً

سواء علم أو لم يعلم. وقيل: إنّه (أي الرّجل المؤمن) نجا مع موسىٰ من الغرق بعد خروجهم من مصر.

﴿وَحَاقَ﴾: نزل، وهناك فرق بين حاق ونزل؛ حاق: لا تأتي إلا في سياق نزول المكروه فقط، والنزول: عام في كل شيء، وحاق بآل فرعون؛ أي: نزل بآل فرعون سوء العذاب، وقيل: أصل حاق: حق، وهناك من قال حاق: نزل ولزم وحق، وهناك من قال: حاق: أحاط.

﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: آل فرعون: اتباعه وأنصاره؛ سوء العذاب: السوء كلمة عامة تعني: كل ما يسيء إلىٰ النفس؛ سوء العذاب: في الدّنيا، السّوء هو المكروه يسوء النّفس، يعني: الغرق في البحر فلم ينجُ منهم أحد، وسوء العذاب: في الآخرة هو النّار (في البرزخ ويوم القيامة).

[٤٦] ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾:

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يعني يصلونها أو يُحرقون بها؛ أي: آل فرعون.

﴿غُدُوًّا﴾: الغداة: اسم الوقت ما بين طلوع الفجر وطلوع الشّمس.

﴿وَعَشِيًّا﴾: من الزّوال إلىٰ الغروب.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صباحاً ومساءً، ولم يقل بالغدوّ والعشيّ: الّتي تدل علىٰ الدّوام...

وهذا العرض علىٰ النّار يكون في عالم البرزخ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: أي فإذا قامت السّاعة يقال لخزنة جهنم:

﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾: أي أشدّ أنواع عذاب النار؛ أي: جهنم.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾:

انتهىٰ الحديث عن آل فرعون، ويبدأ الحديث عن الكفار عامة يوم القيامة، بما فيهم آل فرعون.

﴿وَإِذْ﴾: أي واذكر، أو ظرفية بمعنىٰ حين، واذكر حين، حجاج وتخاصم أهل النّار.

﴿يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾: من المحاججة: أو الحجاج، الأصل في الحجاج: هو إظهار الحجة كلّ طرف يحاول تقديم حجته للطرف الآخر ويحاول أن يلقي باللائمة علىٰ الآخر وتبرئة نفسه ويُحملُ الإثم والذّنب علىٰ الآخر.

هذا الحجاج سيكون بعد دخول آل فرعون النّار، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٦) في سورة الشعراء وهي قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: نجد أن يختصمون تتلو مرحلة الحجاج؛ أي: الحجاج أولاً ثم الخصام يحدث بعد ذلك؛ فالله سبحانه يريد أن يطلعنا علىٰ بعض مشاهد يوم القيامة وما يحدث بين الأتباع والمتبوعين والذين استكبروا والضّعفاء فيقول:

﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾: الضّعفاء التّابعون للذين

استكبروا المتبوعين الأقوياء. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٢١) لمعرفة الفرق بين الضعفاء والضِعفؤا والضَعف والضُعف سورة البقرة آية (٢٨٢).

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: إنّا للتوكيد، كنا في الدّنيا، لكم: اللام لام الاختصاص.

تبعاً: أي نفعل كما تأمروننا ونسير على خطاكم؛ أي في العقيدة والفعل.

﴿فَهَلْ﴾: استفهام للترجّي.

﴿أَنتُم﴾: للتوكيد.

﴿مُّغْنُونَ عَنَّا﴾: حاملون من خطايانا شيئاً، أو مدافعون عنا أو مانعون عنا العذاب.

﴿نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾: قسماً أو شيئاً قليلاً، أو جزءاً، من: ابتدائية من النّار.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾:

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: المتبوعون للتابعين. استكبروا: ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) للبيان والفرق بين استكبر ومتكبر.

﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾: إنّا كلٌّ: للتوكيد، فيها: في نار جهنم.

أي: نحن وأنتم جميعاً في جهنم، فكيف نغني عنكم نصيباً من العذاب؛ أي: لو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا العذاب.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾: إن الله للتوكيد، قد للتحقيق، حكم بين العباد: أدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النّار النّار، حكم: قضى ولا رادّ

لحكمه ولا مبدّل. ارجع إلى سـورة الأنعام آية (٦٢) للبيان والفرق بين الحكم والقضاء.

[٤٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾: يعذبون في النّار.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: جمع خازن؛ أي: حراس جهنم. ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨) لبيان معنى جهنم.

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾: ولم يقولوا ربنا وربكـم، فهم لا يزالون على حالهم كما كانوا في الدّنيا من الكبر والغباء.

﴿يُخَفِّفْ عَنَّا﴾: أي ادعوا أو اشفعوا لنا عند ربكم، فهم يشعرون أنّهم ليسوا أهلاً أن يسألوا الله بأنفسـهم أو يدعوه بأنفسهم، وقد يكون قد يئسوا من رحمته تعالى بأنه لن يستجيب لهم.

﴿يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: يسألون حتّى ولو يوماً واحداً لا غير أو قدر يوم من أو أيّ شيءٍ من العذاب.

❖ ❖ ❖

قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟
بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

سورة غافر [الآيات ٥٠ - ٥٨]

[٥٠] ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾:

هذا ردُّ الملائكة (خزَنَة جهنم) على أهل النّار حين سألوهم أن يسألوا ربّهم أن يخفّف عنهم يوماً من العذاب.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي خزَنَة جهنم لأهل النّار.

﴿أَوَلَمۡ تَكُ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وتقريع، تك: ولم يقل تكن أو تكون؛ أي: أولم تأتكم رسلكم ولو لفترة قليلة أو زمن وجيز.

﴿رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالآيات أو الحجج والبراهين الدّالة على وجوب الإيمان بالله وحده وطاعته وترك الشّرك.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: أي قد جاءتنا رسلنا بالبينات، وهذا إقرار على أنفسهم.

﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْ﴾: قالت الملائكة (خزَنَة جهنم) مادامت قد جاءتكم رسلكم وكفرتم وكذّبتم بهم، فنحن لن ندعو لكم فكيف ندعو ربنا وهو لم يأذن لنا بالدّعاء والاستغفار لكم؟! فادعوا بأنفسكم.

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾: ما النّافية، دعاء الكافرين إلا: حصراً، في ضلال: باطل في ضياع ولا يجدي ولا ينفع، وهو خسارة ولا يُقبل أصلاً.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾:

بعد أن ذكر حال آل فرعون في الدّنيا والبرزخ ويوم القيامة، وحال الّذين كفروا رسلهم، يذكر حال الّذين آمنوا، ومنهم الرّسل فيقول تعالىٰ:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: اللام: للتوكيد، ننصرهم في الحياة الدّنيا بالقوة والعدّة والغلبة علىٰ المكذبين والكافرين، أو ننصرهم بالحجة والبرهان أو بأيّ وسيلة بالقوة والسيف أو الحرب، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢١) في سورة المجادلة وهي قوله تعالىٰ: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: نجد أن آية غافر تشمل الرسل والذين آمنوا، وآية المجادلة خاصة برسل أمروا بالقتال.

﴿وَيَوْمَ﴾: يوم القيامة. (يوم يقوم الأشهاد) والأشهاد: هم الملائكة يشهدون للأنبياء علىٰ أنّهم بلّغوا، وعلىٰ الأمم بالتّكذيب.

فالأشهاد: هم الرّسل والأنبياء يشهدون علىٰ أممهم وأممهم تشهد عليهم.

والمؤمنون وأولو العلم من الأشهاد.

والأشهاد قد تكون أيضاً: الجلود والألسُن والأرجل والأيدي والأعين.

وقد يكون الكل: الملائكة والأنبياء والرّسل والمؤمنون، والأشهاد: جمع شاهد، وشاهد تجمع علىٰ: شهود وأشهاد. ولتعريف الشاهد، والشهيد: ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٣٣)، وسورة المجادلة آية (٦) للبيان.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: جاء نكرة للتهويل والتّعظيم؛ أي: يوم القيامة.

﴿لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ﴾: لا النّافية، لا ينفع الظّالمين: أي المشركين.

﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾: أي إن اعتذروا لا يقبل أو ينفعهم أيُّ عذر؛ لأنّه عذر باطل أو أنّه لا يؤذن لهم أصلاً ليعتذروا كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦].

﴿وَلَهُمُ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم لهم؛ أي: كأنّ اللعنة خاصة بهم.

﴿اللَّعْنَةُ﴾: الطّرد والبعد عن رحمة الله.

﴿وَلَهُمْ﴾: تكرار (ولهم) للتوكيد، وفصل اللعنة عن سوء الدّار فلهم اللعنة ولهم سوء الدّار ولهم كلاهما.

﴿سُوءُ الدَّارِ﴾: دار الآخرة؛ أي: أقبح العذاب.

لنقارن هذه الآية (٥٢) من سورة غافر: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ مع الآية (٨٧) من سورة آل عمران: ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق؛ أي: يستحقون اللعنة.

عليهم اللعنة: على تستعمل للأفعال الشّاقة الثّقيلة الّتي يقع وبالها أو عقابها؛

أي: جزاء الّذين كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنّ الرّسول حق وجاءتهم البينات. فالآية تتحدث عن الجزاء، والآية في سورة غافر تتحدث عن الاستحقاق.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: قد حدث ذلك.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾: آتينا من الإيتاء: وهو العطاء مع عدم التّملك. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: التّوراة. والهدى: الدّلالة الموصلة إلى البغية؛ أي: بيّنّا له طريق الحق من طريق الباطل.

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أورثنا التّوراة الّذين اصطفينا من بني إسرائيل (بني يعقوب)، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢].

[٥٤] ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿هُدًى﴾: تعود على الكتاب (التّوراة) أو هو هدى يهدي للحق ويهدي للغاية.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تعود على الكتاب (التّوراة) تذكرة أو تذكيراً.

﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: اللام لام الاختصاص، أولي الألباب: ذوي أو أصحاب العقول المستبصرة. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٧) والبقرة الآيتين (١٧٩، ١٩٧) للبيان.

[٥٥] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾:

﴿فَٱصْبِرْ﴾: الفاء للتوكيد، اصبر: الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأمته، اصبر على طاعة الله، اصبر على ما يقولون، اصبر على أذاهم، اصبر لحكم ربك، واصبر كما صبر أولو العزم من الرّسل، واصبر حتّى يحكم الله.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: إن للتوكيد، وعد الله: الوعد هو الإخبار بالخبر قبل وقوعه، والوعد يستعمل عادة في الخير إذا كان مطلقاً، والوعيد يستعمل عادة في الشّر.

حق: الحق الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: لها معان كثيرة، والمهم ألّا تظن أنّ رسول الله ﷺ قد خالف منهج الله سبحانه ووقع في ذنب أو معصية كما نفعل نحن، فالمخاطب رسول الله ﷺ والمقصود أمته.

فإذا كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ؛ أي: استغفر إذا وقع منك خطأٌ بغير نية أو قصد، مثل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٣]، ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [التحريم:١]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:١-٢]، أو ما وقع منك قبل النبوة والعصمة.

والاستغفار من أنواع الذّكر للتقرب إلى الله ولو بدون وقوع صغيرة أو ذنب. وإذا كان الخطاب للمؤمنين؛ أي: استغفروا ربكم لذنوبكم وسيئاتكم مهما كان نوعها وسببها وتوبوا إلى الله عز وجل لعلكم تفلحون.

وقد يكون على ما حصل منك قبل النّبوة والعصمة.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: أي سبّح ربك تسبيحاً مقروناً بالحمد، أو موصولاً بالحمد؛ لأنّ التّسبيح: هو ثناء على الله، أمّا الحمد: فهو شكر الله على نعمه الظّاهرة والباطنة، والتّسبيح: تنزيه الله تنزيهاً كاملاً مطلقاً عما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، تنزيهاً لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، ومن الشّريك والولد والصّاحبة والنّدّ.

وقيل: إنّ معنى سبّح: صلِّ، وسبّح بالعشي والإبكار؛ أي: صلِّ الصّلوات الخمس، وقيل: صلاة الفجر وصلاة العصر، وقيل: ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي قبل أن تفرض الصّلوات الخمس.

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: العشي: من صلاة الظّهر (أو الزّوال) إلى المغرب.

والإبكار: من صلاة الفجر إلى الضّحى.

وبالعشي والإبكار: معرفة، مقارنة بقوله: بكرة وعشياً (نكرة)، بالعشي والإبكار تعني: الدّوام؛ أي كن دائماً مسبّحاً بحمد ربك، وتعني: ليس هناك وقت محدد؛ أي سبّح في أيّ وقت، أو في أي يوم فليس هناك أيام محددة أو وقت محدد.

أما بكرة وعشياً: تعني في وقت محدد مخصص بعينه، ويوم محدد.

وقرن الصّبر مع التّسبيح والحمد والاستغفار؛ لأنّ مما يساعد على الصّبر الصّلاة والتّسبيح والاستغفار، أو قالوا: من مقومات الصّبر الصّلاة والتّسبيح والاستغفار.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾: ارجع إلى الآية (٥)، والآية (٣٥)، والآية (٦٩) من السّورة نفسها للمقارنة.

فالآية (٥) تتحدث عن الدّافع أو الغاية من جدالهم وهو إبطال الحق وردّ المؤمنين إلى الكفر.

والآية (٣٥) تتحدث عن منزلتهم عند الله وعند الّذين آمنوا: المقت (أشد الكراهية).

الآية (٥٦) تتحدث عن كبرهم، والآية (٦٩) تتحدث عن تكذيبهم بالكتاب والرّسل ومصيرهم في الآخرة وما سيحلّ بهم.

إن: للتوكيد، ﴿فِيٓ﴾: ظرفية.

﴿صُدُورِهِمۡ﴾: أي قلوبهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كِبۡرٞ﴾: أي تكبّر عن الإيمان بالله والاستجابة لرسوله، تكبّر دفعهم إلى عدم الاستماع لآيات الله وما نزل من الحق، وعدم إيمانهم بالبعث والحساب، وأخذوا يجادلون فيها ويتجدّد ويتكرّر جدالهم.

﴿كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾: ما النّافية، هم تفيد التّوكيد؛ أي: لن يتحقق أملهم ويصلوا إلى غاياتهم، والباء للتوكيد، وهو كبرٌ كاذب وزائل وإثمه عائد عليهم. والكبر تعريفه لغوياً: إظهار عظم الشّأن ورفع النّفس فوق ما تستحق، وعدم قبول الحق. ارجع إلى الآية (٨٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، استعذ بالله: أي إلجأ إلى الله واطلب منه العون، من الكِبْر، وكِبْرُ هؤلاء وشرهم وكيدهم، واستعذ بالله. لم يذكر ما يستعيذ منه؛ ليفيد التّعميم.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: إن للتوكيد، هو لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم وأسرارهم ونجواهم وما يسرون وما يعلنون.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: بأحوالهم وأفعالهم وبما تمله جوارحهم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠٠) في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: جاءت في سياق الاستعاذة من الشيطان، وآية غافر الاستعاذة من كبر الذين يجادلون في آيات الله؛ فالله سبحانه يسمع ويعلم ما ينزغه الشيطان (في الأعراف) ويعلم الله ويبصر (يرى) كبر الذين يجادلون في آيات الله.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: في الآية السّابقة ذكر الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، وجدالهم ناتج عن الكبر الّذي أدى إلى عدم إيمانهم بوحدانية الله تعالى، وعدم إيمانهم بالبعث والحساب والجزاء، فردّ الله عليهم بكثير من الآيات والأدلة والبراهين القاطعة الّتي تدل على أنّه الإله الحق واجب الوجود، وتدل على عظمته وقدرته على البعث والحساب، منها:

١ - خلق السّموات والأرض.

٢ - جعل الليل ليسكنوا فيه والنّهار مبصراً.

٣ - جعل الأرض قراراً والسّماء بناءً.

٤ - صوّركم فأحسن صوركم.

٥ - رزقكم من الطّيبات.

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اللام لام التّوكيد، وهناك من يقول: إنّها لام القسم.

﴿أَكْبَرُ﴾: من خلق النّاس، أكبر على وزن: أفعل وتعني: أعظم.

ومن الأمثلة على ذلك مجرة التّبانة الّتي فيها حوالي (٢٠٠) مليار نجم، والتي هي مجرتنا، وهناك أكثر من ألف مليون مجرة، وهذه النّجوم تدور وفي كلّ ثانية تكون في موقع جديد، والشّمس تجري بسرعة (١٩) كم في الثّانية نحو مستقرها؛ أي: (صولرايبكس)، وفي الوقت نفسه تجري حول مركز المجرة بسرعة (٢٢٠كم/ ثانية) لتكمل دورتها حول مركز المجرة في (٢٥٠) مليون سنة، والشمس تعتبر نجماً من هذه المليارات النجوم والكون فيه آلاف الملايين من هذه النجوم والكواكب.

والشّمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وحرارتها تصل إلى (٢٠) مليون درجة في مركز الشّمس، وطول ألسنة لهبها يصل أكثر من نصف مليون كم، وتبعد عن الأرض (١٥٠) مليون كم والأرض تدور حول الشّمس بسرعة (٣٠) كم في الثّانية، ولو انطفئت الشّمس لتجمدت الأرض ووصلت درجة حرارتها إلى (٢٧٠) درجة تحت الصّفر، وتدور الأرض حول نفسها بسرعة تبلغ في خط الاستواء (١٦٠٠) كم بالسّاعة، ومع ذلك لا نشعر بحركتها، وتصور باقي النجوم والكواكب التي لا يعلمها إلا الله.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: آيات الله في الآفاق (والكون) ولا في أنفسهم.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾:

في الآية السّابقة قال تعالى: ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن خلق السّموات والأرض أعظم من خلق الإنسان، وفي هذه الآية قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾.

﴿الْأَعْمَىٰ﴾: هو الّذي لا يعلم أنّ خلق السّموات والأرض أكبر وأعظم من خلق النّاس ولا يؤمن بالله وبالبعث وبوحدانيته، فهذا الأعمى لا يستوي مع أعمى آخر يعلم بدرجة قليلة أو بدرجة كبيرة أنّ خلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس، والأعمى الّذي لا يريد أن يعلم على الإطلاق أن خلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس.

أو الأعمى: الغافل الّذي لا يتفكر ولا يتأمل بآيات خلق السّموات والأرض ويبقى غير مؤمن بالله.

﴿وَالْبَصِيرُ﴾: الّذي يتفكر بخلق السّموات والأرض ويتأمّلها ويستدلّ على واجب الوجود والإيمان والوحدانية والبعث.

والنّفي قد يكون نفي الجنس. ارجع إلى سورة فاطر الآيتين (١٨ – ٢٢).

وما يستوي الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات؛ أي: لا يستوي كلّ منهم مع الآخر فهناك السّابق بالخيرات وهناك المقتصد.

ولا يستوي المسيء مع المسيء، فهناك من يعمل الكبائر وهناك من يعمل

الصّغائـر؛ ناهيك عن اسـتواء الذي يعمل الصالحات مع المسـيء، أو المؤمن والكافر فهذا أمر واضح.

﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: قليلاً: أي إما العدد؛ أي: الّذين يتذكرون عددهم قليل، أو مقدار ما يتذكرون قليل، أو الزّمن الّذي تقضونه في التّذكر في ذكر خلق السموات والأرض قليل جداً.

ما: للتوكيد.

تتذكرون: التذكر من الذكر، وهو العلم بعد النسيان؛ أي: قليلاً ما تتذكرون؛ أي: هذه الآيات الكونية مثل خلق السّموات والأرض وغيرها، مثل خلق الإنسان تدعوا إلـى الإيمان بالله وعظمته وقدرته وعلمه، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويطاع. تتذكرون: تعني أنها تحتاج إلى زمن أطول وتفكير عميق حتّى يهتدوا بها ويؤمنوا؛ لجهلهم بها وعدم معرفتها سـابقاً، ولو قال: تذكرون لدلّ ذلك على زمن أقل.

❖❖❖

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ
إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

الحزب ٤٨

سورة غافر [الآيات ٥٩ - ٦٦]

[٥٩] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

جاءت هذه الآية رداً على الّذين يجادلون في البعث والحساب والدّار الآخرة وينكرون قيام السّاعة، وبعد أن جاء بالدّليل على قدرته سبحانه في خلق السّموات والأرض الّذي هو أكبر من خلق النّاس، أخبر بوقوعها لا محالة فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: إن للتوكيد، السّاعة: أو قيام السّاعة. وسميت السّاعة وهي لحظة بدء تهدّم النّظام الكوني الحالي.

﴿لَآتِيَةٌ﴾: اللام للتوكيد، الخطاب موجّه إلى منكري البعث خاصة، والكفار والذين يجادلون في آيات الله، لذلك ناسب التّوكيد بإنّ واللام.

﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا النّافية، الرّيب: الشّك مع التّهمة؛ أي: هم يشكون في السّاعة ويكذبون بالآيات الّتي تخبرهم بقدومها، ويتّهمون الرّسول ﷺ بالأباطيل. ارجع إلى سورة طه الآية (١٥) للمقارنة والبيان.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي لا يصدقون بالبعث وبالساعة والقلة يؤمنون بها ويعلمون أنّها الحق ولذلك يستعدون لها.

وإذا قارنّا هذه الآية (٥٩) من سورة غافر: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ مع الآية (١٥) من سورة طه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ نجد أنّه في سورة

غافر أكد بإن واللام ولا ريب فيها: ثلاث توكيدات؛ لأنّ الخطاب موجه لمنكري البعث والسّاعة، بينما في سورة طه لم يؤكد بشيء؛ ذلك لأنّ الخطاب لموسى عليه السّلام وهو رسول الله ومؤمن بالسّاعة والبعث فلا يحتاج إلى أيّ توكيد. ارجع إلى سورة طه آية (١٥) لمزيد من البيان ومقارنة الآيات المماثلة.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾:

وبعد أن أكد قيام السّاعة بيّن في هذه الآية مصير هؤلاء الّذين لا يؤمنون بالسّاعة ولا يدعون ربهم ويرجعون إليه ويستكبرون عن عبادته فقال:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾: ربكم؛ أي: الّذي خلقكم وأمدّكم وربّاكم ورزقكم.

﴿ادْعُونِيٓ﴾: ادعوني تأتي بمعنى: اعبدوني، الدّعاء: العبادة، والدّليل هو في تتمة الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أو تأتي بمعنى الدّعاء نفسه.

والعبادة تنطوي على الدّعاء، والدّعاء باب من أفضل أبواب العبادة، ولتعريف العبادة: ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) للبيان.

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: أعطيكم ما تسألوني أو أرزقكم، أو أعينكم على حوائجكم، وأستجب لكم: أغفر لكم وأثيبكم على عبادتكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: إن للتوكيد، يستكبرون عن عبادتي: أي لا يطيعون أوامري ولا يتجنبون نواهيَّ؛ ويعني الخضوع والذّلّة له وتوحيده والتّوكل عليه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لبيان معنى الاستكبار والتكبر.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: السّين للاستقبال القريب؛ أي: مهما طالت أعمارهم فأجلهم قريب وبعدها يدخلون جهنم، وتعني: بعيدة القعر، وجهنم اسم من أسماء النّار. ارجع إلى سورة الرّعد آية (١٨) للبيان.

داخرين: صاغرين أذلّاء من دَخِر: صَغُرَ وذَلّ، وأدْخَره: أذلّه.

[٦١] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

هذا دليل آخر على قدرته وعظمته سبحانه على الخلق والبعث وفضله على النّاس.

ولنعلم أنّ هذه الآية ذُكرت لأهميتها في ثلاث سور من القرآن، وتدل على عظمته وقدرته ورحمته بالناس، وتعتبر من آيات الإعجاز العلمي في القرآن بأن جعل لهم الليل ليسكنوا فيها والنّهار مبصراً.

هذه السّور هي:

سورة يونس آية (٦٧): ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

سورة النّمل آية (٨٦): ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

سورة غافر آية (٦١) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: الجعل يكون بعد الخلق؛ أي: سبحانه خلق السّموات والأرض أولاً ثم جعل الليل والنّهار.

﴿لَكُمُ﴾: اللام لام الاختصاص، جعل لكم الليل والنّهار؛ أي: جعل لكم الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض الّتي تسمى (النّهار) وتضيء بأشعة الشّمس، ولا

توجد هذه الطّبقة الغازية حول أيّ كوكب إلا الأرض فهذا خاص بكم. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان.

وجعل لكم ﴿ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾: اللام في كلمة (لتسكنوا) للتعليل، ولتسكنوا فيه: من السّكون، الانقطاع عن الحركة؛ أي: الرّاحة والنّوم والسّكينة الهدوء، و(تسكنوا) جاء بصيغة المضارع ليدل على التّجدد والتّكرار (بالنّوم) ودلالة على نعمة الرّاحة في الليل ليكون الإنسان نشيطاً في الصّباح ويزاول عمله مرة أخرى.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾: ارجع إلى الآية (٦٧) من سورة يونس للبيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿لَذُو فَضۡلٍ﴾: اللام للتوكيد، ذو: صاحب وذوا شرف من صاحب، فضل: الفضل هو الزّيادة عما يستحق العبد.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: على تفيد العلويّة؛ أي: فضله ينزل على النّاس.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾: لا يشكرون ربهم على نعمة الليل، ونعمة السكن، ونعمة الضياء، والتقلب في النهار، ولا يشكرونه على نعمه وفضله عليهم؛ بسبب انشغالهم بالنّعمة ونسيان المنعم، أو بسبب الشّيطان الّذي يُنسي الإنسان ذكر ربه، أو بسبب الظّن أنّ النّعمة تنحصر فقط بالمال وينسى نعمة الصّحة والعافية والأهل والأمن والطّمأنينة – والعلم – وغيرها.

وتكرار كلمة النّاس: للتوكيد على الكفر بنعمة الله؛ أي: سترها وجحدها، أو غفلتهم.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَشْكُرُونَ﴾: أي أكثر النّاس لا يشكرون والقليل يشكرون، أو كمية الشّكر الصّادرة عنهم قليلة مقابل النّعم الكثيرة.

ولا يشكرون بصيغة المضارع تدل على تجدد وتكرار عدم شكرهم المنعم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: ذا اسم إشارة، ولم يقل ذلك الله ربكم، ذلكم: فيها تعظيم وتدل على الإشارة لعدّة نعم، أو دلائل على قدرة الخلق.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: الله: الإله المعبود واجب الوجود، ربكم؛ أي: الخالق المدبر والمربي والرّزاق.

فقوله: الله ربكم: جمع صفتي الألوهية والرّبوبية معاً.

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: خالق من الخلق: وهو التّقدير، كل: للتوكيد، شيء نكرة تعني: أيّ شيء مهما كان – وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فكونه خالق كلّ شيء فهذا يدل على ربوبيته.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا النّافية، إله: معبود، إلا: أداة حصر، هو: للتوكيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان في ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠٢) في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾: نجد آية الأنعام جاءت في سياق الشريك الولد والصاحبة، ولذلك نفى الشريك، وقدم كلمة التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم ذكر الخلق؛ أما في آية غافر الآية جاءت في سياق الخلق وليس الشرك، ولذلك قدم الخلق وأخر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وكونه لا إله إلا هو، فهذا يدل على وحدانيته.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: الفاء للتوكيد، أنّى: تعني كيف ومن أين، وللاستفهام والتّعجب والإنكار على إفكهم، وفيها سعة في المعنى (توسع) أكثر من كيف.

أي: كيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وجود كلّ هذه الأدلة والآيات على وحدانيته، أو كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، تؤفكون: الإفك وهو الكذب المتعمد لقلب الحقائق.

[٦٣] ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل إفك هؤلاء وانصرافهم عن عبادة الله وحده إلى عبادة غيره من أصنام وغيرها، كذلك يصرف: يؤفك ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: كذلك يصرف كلّ جاحد بآيات الله، والجحد إما عقائدي إنكاري؛ أي: إنكار وجود الله تعالى، أو جحود: ستر لنعمة الله وإنكار لها.

[٦٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

هذا دليل آخر على قدرته وعظمته: أنّه هو المنعم الّذي يستحق العبودية.

﴿ٱللَّهُ﴾: اسم ذات يحمل في طياته كلّ صفات الكمال ويدل على الإله الحق واجب الوجود.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد الاختصاص؛ أي: وحده الّذي.

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾: جعل (لكم) خاصة (واللام لام الاختصاص والملكية) والكاف للخطاب.

قراراً: ساكنة رغم حركتها التي تقدر بـ(٣٠كم/ ثانية)، ولا تعني: لا تتحرك كما تفسرها كثير من كتب التّفسير، هذه الأرض التي تتركب من سبع طبقات تشمل لبّ هذه الأرض كتلة صلبة ضخمة من الحديد والنّيكل، تصل نسبة الحديد إلىٰ أكثر من (٩٠٪) هذه الكتلة الصّلبة من الحديد هي الّتي تعين في جعل الأرض قراراً.

وكتلة الأرض تقدر بـ(٦) آلاف مليون مليون طن رغم أنّها معلقة في الفضاء ولا ننسىٰ الجبال (الرّواسي) والصّفائح تحت القارية كذلك التي تساعد علىٰ استقرار الأرض، فالأرض تدور حول نفسها مرة كلّ (٢٤) ساعة وتدور حول الشّمس مرة كلّ (٣٦٥) يوماً (سنة) سرعة دورانها حول الشّمس (٣٠) كم/ ثانية (١٩) ميل بالثّانية.

وسرعة دوران الأرض حول خط الاستواء (٤٦٠) متراً بالثّانية، ولماذا لا نشعر بدورانها؟ لأنّنا كلنا ندور بنفس السّرعة كما يحدث عندما نركب سيارة ونسير بسرعة (٦٠) كم داخل السّيارة نشعر بقرار وسكون رغم أن السّيارة متحركة بسرعة هائلة.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: السّماء تعني السّموات السّبع: ومنها السّماء، السّماء الدّنيا المبنية من طبقات مثل: تروبوسفير، ستراتفير، ميزوسفير، ثرموسفير، اكسّفير وكلها يطلق عليها اتمسفير..

سماوات سبع متماسكة كالبناء؛ لما فيها من قوىٰ الجاذبية فهي سماوات يغلف الخارج منها الدّاخل مركزها الأرض.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: في المنظر والشّكل واللون؛ أي: ميّز بعضكم علىٰ بعض بالصّورة أو السّمة بحيث لا يشبه الواحد الآخر بحسب

الشّفرة الوراثية لكلّ فرد. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٦) وسورة الأعراف آية (١١) للبيان..

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الطّيب هو ما كان طاهراً غير نجس ولا مستقذر تعافه النّفس، وكذلك حلالاً.

والحلال ما أذن به الله تعالى.

الطّيبات: تشمل المأكل والمشرب والملبس والمنكح، وغيرها.

﴿مِّنَ﴾: بعضية.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٦٢) للبيان.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: الفاء للتوكيد، تعالى قدرةً وتعاظم وتنّزه وتقدّس عن شبه ما سواه، وعظم خيره وعمّت بركته على خلقه ودام وثبت إنعامه وإحسانه. ارجع إلى سورة الملك آية (١) لمزيد من البيان.

[٦٥] ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) للبيان.

﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي فاعبدوه وحده لا شريك له: مخلصين له الدّين؛ أي: الطّاعة الخالصة من الشّرك والرّياء. ارجع إلى الآية (١٤) من السّورة نفسها، وسورة الزمر آية (٢) لبيان معنى الإخلاص، وسورة البقرة آية (١٣٢) لبيان معنى الدين.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي احمدوا الله على نعمه الّتي أنعم بها عليكم:

نعمة الخلق (الإيجـــاد) ونعمة الإمداد ونعمة الهداية، ارجـــع إلىٰ الآية (٢) من سورة الفاتحة.

[٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رســـول الله ﷺ، الخطاب موجّه إلىٰ رسول الله والمقصود به أفراد أمته.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿نُهِيتُ﴾: النّهي: المنع؛ أي مُنعت.

﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

نهيت أن أعبد هذه الأصنام أو الآلهـــة الّتي تدعون: تعبدون من دون الله، من دون الله: من غير الله؛ أي: سواه.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين، أو منذ ذلك الزّمن: لما جاءني.

﴿جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾: بالتذكير وتعني: الأحـــكام والأوامر من ربي، ولم يقل جاءتني البينات؛ التّأنيث التي تدل علىٰ أنّها بينات معجزات تدل علىٰ صدق نبوة الرّسول.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وأُمـــرت أن: تعليليـــة، أســـلم لـــرب العالمين؛ أي: إســـلام الوجه، ويعني الإخـــلاص والتّوحيد، لرب العالمين: لام التّوكيد، ويقصد به الإسلام الّذي ارتقىٰ إلىٰ التّقوىٰ والإحسان وإسلام الذّات.

❖❖❖

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ۚ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

سورة غافر [الآيات ٦٧ - ٧٧]

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿هُوَ﴾: تعود على رب العالمين.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم والكمال.

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: وتعني خلق أباكم آدم من تراب وكلكم من ذرية آدم، وقد تعني: أنّ العناصر الّتي يتركب منها جسم الإنسان هي نفسها موجودة في التّراب حيث وجد أنّ (١٦) عنصراً مثل الكالسيوم والحديد والصّوديوم والمغنيزيوم والكلوريد وغيرها هي نفسها تشكل بعض عناصر التّربة وتشكل بعض عناصر الإنسان، أو أنّ الحيوان المنوي والبويضة منشؤهما مما نأكله من الأغذية النّباتية والحيوانية (اللحوم) والنّبات والحيوان من التّراب. ارجع إلى سورة الرّوم آية (٢٠) لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: أي نطفة الرّجل وهي الحيوان المنوي ونطفة البويضة.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: سميت علقة؛ لكونها تعلق في جدار الرّحم وتنمو. ارجع إلى سورة الحج آية (٥).

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: ولم يذكر مرحلة المضغة ونفخ الرّوح ومرحلة

العظام والإكساء باللحم كما بينها في سورة المؤمنون الآيات (١٢ – ١٤) والحج آية (٥).

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي أو الذّكري، وقد تكون للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾: اللام لام التّوكيد، الأشد: قيل ما بين (١٨ – ٣٠) سنة.

﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾: سن الشّيخوخة ما بين (٥٠ – ٨٠) سنة، أو من تجاوز الـ(٦٠) سنة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾: أي قبل أن يصل إلى مرحلة الشّيخوخة أو مرحلة (أشدكم) أو مرحلة الطّفولة.

﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: هو الموت، أو أجلاً مسمى في اللوح المحفوظ، معلوماً، بعد نفخ الرّوح يؤمر الملك بكتب أجله، وقد يكون أياماً أو شهوراً أو سنين.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعل: للتعليل، أو لمطلق التّوقّع.

تعقلون: من عقل الشيء؛ أي: بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه إن الله قادر على بعثكم وإحيائكم بعد الموت، أو أنّ الله هو الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد ولا يُشرك به.

[٦٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر: هو المتفرد بذلك.

﴿ٱلَّذِى﴾: للتعظيم.

﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾: بشكل متجدّد ومتكرر على مرّ الزّمن.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتوكيد، إذا ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد أو حكم.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: فإنما: الفاء رابطة لجواب الشّرط، إنما كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

يقول له: كن فيكون. ارجع إلى سورة النّحل آية (٤٠) للبيان.

وردت هذه الآية في ست سور هي:

البقرة آية (١١٧)، آل عمران آية (٤٧)، النّحل آية (٤٠)، مريم آية (٣٥)، يس آية (٨٢)، غافر آية (٦٨).

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾:

بعد إيراد الأدلة والآيات الكثيرة على قدرة الله وعظمته، وقدرته على الخلق والإحياء والبعث والآيات الدّالة على وحدانيته، وأنّه هو الإله الحق الّذي يستحق العبادة.

عاد مرة رابعة في السّورة نفسها لذكر الّذين يجادلون في آيات الله. ارجع إلى الآية (٥٦) من السّورة نفسها.

﴿تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل مع وضوح الأدلة، ويكذبون بالرّسل والكتب السّماوية وما أنزل الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة استفهام إنكاري.

﴿تَرَ﴾: ترَ قلبية، أو رؤية فكرية.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٥).

﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾: أنّى: كيف ومن أين، واستفهام إنكاري فيه تعجب. يصرفون: عن توحيد الله إلى الشّرك به، عن الحق إلى الباطل، عن الإيمان بالله وحده إلى الجحود به.

[٧٠] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم، يعود على الّذين يجادلون في آيات الله.

﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾: بالقرآن، الباء للإلصاق، ويدل على الدّوام.

﴿وَبِمَآ﴾: ما: اسم موصول تعني الّذي، وما أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾: الرّسل يعني الأنبياء والرّسل، وبعضهم أرسلوا إلى أقوامهم بدون كتب يدعون إلى الإيمان بالله وتوحيده والإيمان بالبعث والحساب والجزاء كالأنبياء.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال البعيد؛ أي: يوم القيامة، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم أو وبال كفرهم.

[٧١] ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾:

﴿إِذِ﴾: ظرف للزمن المستقبل حلّت محل إذا، أو إذ الفجائية، يفاجؤون بوضع الأغلال في أعناقهم والسّلاسل في أرجلهم.

﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾: جمع غل؛ وهي قيود توضع في الأيدي وتشد إلى الأعناق.

﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾: من حديد تقيّد بها الأرجل.

﴿يُسْحَبُونَ﴾: يجرّون بالسّلاسل.

[٧٢] ﴿فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية؛ أي: هم داخل النّار أو النّار محيطة بهم من كلّ جانب.

﴿ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: تملأ بهم النّار؛ أي: تصبح مكتظة بهم ثم تسعّر بهم النّار، أو توقد بهم النّار.

في الحميم: أي يشربون. الحميم: الماء المتناهي في الحرارة في غاية الحرارة، ثم تسعّر بهم النّار فيصبحون وقوداً لجهنم. وقيل: سجر التّنور؛ أي: ملأه وقوداً.

يسجرون: بصيغة المضارع يدل على التّكرار والاستمرار.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذّكري أو العددي.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: القائل مبني للمجهول.

﴿أَيْنَ﴾: استفهام توبيخي.

﴿مَا﴾: لغير العاقل أو العاقل.

﴿كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: أين الأصنام الّتي كنتم تعبدون في الدّنيا، أين شركاؤكم؛ أي لمَ لا يحضرون لإنقاذكم؟!

[٧٤] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: أي لا نراهم، تاهوا عنا أو غابوا عنا، أو لم يهتدوا إلينا.

﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾: بل للإضراب الإبطالي، لم نافية؛ أي: لم نكن نعبدهم أو ندعوهم أصلاً من قبل في الحياة الدّنيا؛ فهم ينكرون أنّهم أشركوا بالله أبداً.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾: أي مثل ضلال آلهتهم عنهم وضلالهم عن آلهتهم.

يضل الله الكافرين: في الحياة الدّنيا عن الهداية للحق؛ لأنّهم اختاروا لأنفسهم طريق الضّلال واستمروا عليه وابتعدوا كثيراً فلم يعد يؤمل توبتهم فطبع الله على قلوبهم.

[٧٥] ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكُم﴾: ذا اسم إشارة، واللام للبعد والكاف للخطاب، ويشير إلى ما وقع من أنواع العذاب (السّلاسل والأغلال والحميم).

واستعمل (ذلكم) بدلاً من (ذلك) للتوكيد؛ ولأنّها تشير إلى عدة أمور وليس أمراً واحداً.

﴿بِمَا﴾: الباء السّببية أو البدلية.

﴿كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: كنتم: للتوكيد، تفرحون في الأرض: الفرح نوعان: بالحق وبغير الحق.

الفرح بالحق أو الفرح المحمود: الفرح بمغفرة الله أو رحمة الله، أو الاهتداء للإسلام وإنجاز طاعة الله مثل: صيام رمضان والفرح بالعيد أو إتمام شعيرة الحج، فرح محمود.

الفرح بغير الحق: الفرح المذموم فرح النّفس بالمعصية كالزّنى وكسب

المال الحرام أو الشّـــرك. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠) لمزيد من البيان في معنىٰ الفرح وأنواعه.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تكرار (بما) مرتيـــن يفيد التّوكيد، وفصل الفرح عن المرح أو كلاهما معاً، تمرحون: المرح لا يكون إلا بالباطل، قيّد الأول (الفرح) بغير الحق وأطلق المرح، والمرح: شدة الفرح مثل: الغناء والطّرب والرّقص.

[٧٦] ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

هذه الآية تشـــبه آية (٧٢) من ســـورة الزّمر وهي قوله تعالىٰ: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾. ارجـــع إلىٰ ســـورة الزمر للبيان.

﴿ادْخُلُوا﴾: تعود علىٰ الّذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا، والذين يجادلون في آيات الله.

﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: لها سبعة أبواب كما ورد في الآية (٤٤) من سورة الحجر وهي قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ وقيل: ســـبعة أبواب؛ لأنّ لها سبع دركات وهي:

جهنم، لظىٰ، الحُطمة، السّـــعير، سقر، الجحيم، الهاوية، اسم جهنم مشتق من الجهنَّام: القعر البعيد. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم جهنم، والخلود يعني البقاء علىٰ حالهم إلىٰ ما لا نهاية.

﴿فَبِئْسَ﴾: الفاء للتوكيد، بئس: من أفعال الذّم والتّحقير.

﴿مَثْوَى﴾: تشمل معانٍ عدةً: الإقامة والاســـتقرار ومكان الإقامة الجبرية

(الحبس) والإقامة الدّائمة، وأنّها مكان ضيق غير متسع مطبق عليهم وهم عاجزون عن القيام بأيّ عمل. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٥) لبيان معنى المثوى والمأوى.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن الإيمان بالله وحده وآياته ورسله، والمتكبر عن قبول الحق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

[٧٧] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾:

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: ارجع إلى الآية (٥٥) من السّورة نفسها وهي قوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، والآية (٤٦) من سورة يونس وهي قوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ﴾: فاصبر: الفاء للتوكيد، اصبر: حث على الصّبر، والصّبر في هذه الآية على أذى المشركين، والدّعوة وإظهار الدّين والغلبة على الكافرين والمشركين.

وأما الصّبر في الآية (٥٥) على طاعة الله واجتناب نواهيه والصّلاة والتّسبيح وعلى ما أصابك.

أو الآية (٧٧) توكيد للآية (٥٥) على الصّبر بكل أنواعه، والخطاب موجّهٌ إلى رسول الله ﷺ والمقصود به أيضاً أمته.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: ثابت وقادم لا محالة، بالنّصر والغلبة لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين.

﴿فَإِمَّا﴾: حرف تفصيل وتوكيد، ومركبة من إن الشّرطية مدغمة بـ ما للتوكيد، وجواب الشّرط محذوف.

﴿نُرِيَنَّكَ﴾: النّون في (نرينّك) للتوكيد أيضاً، نرينّك يا رسول الله ﷺ، وأنت حي؛ أي: في حياتك.

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: قسم أو جزء من الّذي نعدهم؛ أي: من العذاب في الدّنيا بالقتل والهزيمة والخسارة والفقر والتّشريد والعذاب.

﴿أَوْ﴾: للتقسيم والتّخيير.

﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: النّون في (نتوفينك) للتوكيد، والخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، نتوفينك قبل أن نرينك عذابهم في الدّنيا.

﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: أي يوم القيامة، الفاء للتوكيد، (إلينا) تقديمها يدل على الحصر؛ أي: إلينا وحدنا يُرجعون: بضم الياء، أي قسراً وبدون إرادتهم، يرجعون للحساب أو للثواب أو للعقاب، ولو قال يَرجعون بفتح الياء هذا الرّجوع يكون بإرادتهم وليس قسراً.

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

سورة غافر [الآيات ٧٨ - ٨٥]

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: تحقق إرسال الرّسل وتمّ، وقد تفيد التكثير في هذه الآية.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل بعثنا، هناك فرق بين الإرسال والبعث. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، قيل: عددهم كما أخرج الإمام أحمد عن أبي ذرّ أن رسول الله قال: عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرّسل من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر.

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: أي في القرآن حيث ذكر الله سبحانه بعض الرّسل وعددهم (٢٥) رسولاً ونبياً.

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: قصصنا: من قصّ والقَصَص.

ليس فيها خيال بل هي حق، وليس فيها افتراء أو اختلاق كما هو الحال في القِصص بكسر القاف الّتي قد يخالطها كذب وافتراء.

﴿وَمَا كَانَ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية، كان: يجوز أو يحق أو يصح، وكان تشمل جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿لِرَسُولٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾: أن للتعليل والتّوكيد، يأتي بآية: دلالة أو بينة أو آية معجزة دالة على نبوته، أو أيّ آية مهما كانت.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: إلا أداة حصر، بإذن الله: بأمر الله وإرادته. والإذن: اسم للكلام الذي يفيد بأخذ فعل أو قول، والإذن: يأتي في سياق العمل الذي ليس لنا تدخل فيه؛ أي: هو خارج عن إرادتنا بينما القول إن شاء الله تستعمل في سياق الأمور التي لنا شأن فيها، أو تدخل، أو نقوم بها.

﴿فَإِذَا﴾: إذا شرطية ظرفية تفيد الحتمية.

﴿جَآءَ﴾: أي وقع الحدث.

﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: قد يكون: واحد من الأمور الشؤون، أو واحد من الأوامر مثل:

١ - إنزال العذاب والهلاك في الدّنيا.

٢ - يوم القيامة.

٣ - قضاءه.

٤ - الفصل بين الرّسل وأعدائهم (المكذبين).

﴿قُضِيَ بِٱلْحَقِّ﴾: حكم الله بالحق بين الرّسل وأقوامهم، بين عباده وبين الأمم. بالحق: الباء للإلصاق والملازمة؛ أي: الملازم للحق، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، والذي ليس هناك غيره.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: المبطلون: جمع مبطل: هو المصرّ على الباطل ومات مصرّاً على الباطل، والباطل: هو ما لم يأتِ به الشّرع، والباطل لغةً: هو الزائل الذاهب.

والباطل قد يطلق على الكذب والظّلم والشّـرك والإحباط؛ أي: (حبطت أعمالهم). وخسر المبطلون أنفسهم وأهليهم.

[٧٩] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾:

﴿ ٱللَّهُ ﴾: اسـم ذات واجب الوجود يحمل فـي طياته كلّ صفات الكمال المطوية في بقية أسمائه الحسنى.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: لكم خاصة وليس لغيركم، والجعل مرحلة تتبع الخلق، أو اللام لام التّعليل.

﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾: وهي ثمانية أزواج: من الضّأن اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين.

﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا ﴾: اللام لام التّعليـل، تركبوا منها: منها هنا بعضية؛ أي: لتركبوا بعضها مثل الإبل، ولا نركب البقر والغنم والمعز.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾: منها: استغراقية بعكس الأولى البعضية، تستغرق كلّ الأنعام؛ أي: تشـمل الكل، ومنها تأكلون: نأكل اللحم لحم الغنم والبقر والمعز والإبل، ونأكل من ألبانها.

[٨٠] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾:

﴿ وَلَكُمْ ﴾: اللام لام الاختصاص أو التّعليل.

﴿فِيهَا﴾: تعود على الأنعام.

﴿فِيهَا مَنَافِعُ﴾: غير الرّكوب والأكل مثل: الوبر والصّوف والشّعر وصناعة الملابس والأثاث والمتاع، استعمال جلودها لأغراض مختلفة.

﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: اللام لام التّعليل، عليها: تفيد العلويّة والمشقة.

والحاجة هو الأمر المهم الّذي نحتاجه للسفر للحج والتّجارة، وحمل الأثقال من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد آخر لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس؛ أي: بالتّعب والجهد والمشقة.

﴿وَعَلَيْهَا﴾: أي الإبل.

﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السّفن وتطلق على الواحدة و الجمع.

﴿تُحْمَلُونَ﴾: تركبون في البر والبحر أنتم وأمتعتكم.

ولنقارن هذه الآية (٨٠) من سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، والآية (٤٠) من سورة هود وهي قوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

ففي آية غافر استعمل (عليها) واستعمل فيها للركب على الفلك أو في الفلك؛ لأنّ السّفن لها طوابق مختلفة، يركب فيها أو يركب عليها؛ على ظهرها.

انتبه إلى قوله تعالى: لتركبوا منها ولتبلغوا عليها حاجة، أدخل لام التّوكيد، وتأكلون وتحملون بدون لام التّوكيد؛ لأنّ الأكل والانتفاع منها أقل أهمية من الرّكوب عليها في الصّحارى وبلوغ الحاجة.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله خلق السّموات والأرض والليل والنّهار، وجعل الأرض

قراراً والسّماء بناء، وصوركم وأحسن صوركم، فهو سبحانه قادر على أن يريكم آيات أخرى دالة على قدرته وعظمته وإلوهيته وربوبيته.

﴿فَأَيَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: استفهام إنكاري للتوبيخ والتّعجب؛ أي: هذه الآيات الدّالة على كمال قدرته وأنّه الإله الحق الّذي يستحق أن يعبد وحده، وأنتم تنكرون.

أي: ولم يقل أية، جاء بصيغة الكثرة مع أنّ الآيات مؤنثة؛ لأنّ (أي) تدل على الكثرة، وأية تدل على القلة؛ أي قلة آيات الله.

﴿تُنكِرُونَ﴾: الإنكار: يكون عادة للأشياء الظّاهرة والباطنة، ويكون مع العلم وغير العلم به.

أي: كلّ الآيات واضحة وظاهرة لا يجوز لكم إنكارها لا بشكل ظاهر وعلني؛ أي: بألسنتكم وأفعالكم، ولا بشكل باطني؛ أي: بقلوبكم وصدوركم.

ولمعرفة الفرق بين الإنكار والجحد ارجع إلى الآية (١٤) من سورة النّمل.

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والحث والإنكار على هؤلاء المجادلين في آيات الله والكافرين، والذين يكذبون بالكتاب وبما جاء به الرّسل، لمَ لا يسيرون في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة ومصير الأمم السّابقة الّتي كذبت وعصت رسلها أمثال قوم عاد وصالح ولوط وفرعون. ارجع إلى الآية (٢١) من السّورة نفسها للبيان.

﴿يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾: عدداً؛ أي: كانوا أكثر عدداً من مشركي قريش وأشد قوة: قوة الأجسام

وقــوة العدة والعتاد، وآثاراً فــي الأرض؛ أي: عمــروا الأرض أكثر مما عمرها مشــركو قريش؛ أي: بإقامة الحصون والقصور والمصانع والمدن والحضارات والسّدود ومظاهر العمران والحضارة والغنىٰ.

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: فمــا: الفاء للتوكيد، مــا: النّافية أو قد تكون استئنافية.

أغنىٰ عنهم: أي لم ينفعهم أو يفدهم ما كانوا يكسبون حين حل بهم العذاب في الدّنيا من مال وحضارة وحصون وقــوة وجاه، ومُلك وجنات وزروع ومقام كريم.

ما كانوا: ما هــذه مصدرية، أو بمعنىٰ الّذي اســم موصول؛ أي: ما نفعهم كسبهم أو نفعهم الّذي كسبوه.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ظرف للزمان الماضي بمعنىٰ حين.

﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: تعود علىٰ الّذين من قبلهم من الأمم جاءتهم رسلهم (أمثال هود وصالح ولوط وموســىٰ) بالبينات: بالآيات الواضحة الدّالة علىٰ أنّ الله هو الإله الحق الواحد، والدّالة علىٰ وحدانيته وعلىٰ وجوب الإيمان وتصديق الرّسل، والدّالة علىٰ البعث والحساب والجزاء.

﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: فرحــوا: ارجع إلىٰ ســورة آل عمران آية (١٧٠) لبيــان معنىٰ الفرح وأنواعه؛ فرحوا بما عندهم من العقائد الباطلة وتقليد الآباء، وما عندهم من علوم الدّنيــا كقوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾

[الرّوم:٧] فقالوا: لسنا بحاجة إلىٰ رسل ولا كتب، وقالوا: نحن نعلم أنّا لن نبعث ولن نعذب ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

أي: علومنا تكفينا واستهزؤوا بعلوم الدّين وبالرّسل، وسموا ذلك علماً؛ لجهلهم، أو سُمي علماً تهكماً بهم وتقريعاً.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاط بهم ونزل بهم؛ أي: بالّذين كذبوا بالرّسل وكذبوا بوقوع العذاب. ارجع إلىٰ الآية (٤٥) من نفس السورة لمزيد من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي عاقبة ما كانوا به يستهزؤون، ما: بمعنىٰ الّذي؛ أي: حاق بهم استهزاؤهم ولم ينفعهم كسبهم أو قوتهم أو عددهم، أو يمنع أو يدفع عنهم العذاب. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٤٨) لبيان معنىٰ يستهزؤون.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد، لما: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾: عاينوا بأسنا: عذابنا سيحل بهم أو واقع بهم.

﴿قَالُوٓا۟﴾: في تلك السّاعة آمنّا بالله وحده.

﴿وَكَفَرْنَا بِمَا﴾: جحدنا بما: بما الباء للإلصاق، ما: تعني الّذي، أو مصدرية، كفرنا بشركنا؛ أي: تبرّأنا وتُبنا.

﴿بِهِۦ﴾: تعود علىٰ الأصنام والآلهة والطّاغوت وغيرها من المعبودات.

﴿مُشْرِكِينَ﴾: في الدّنيا، مشركين: جمع مشرك، وجاءت بصيغة الثّبوت؛ أي: كان الشّرك صفة ثابتة لهم طوال حياتهم.

[٨٥] ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾:

﴿ فَلَمْ ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لم: للنفي.

﴿يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ ﴾: يك ولم يقل يكن؛ أي: لم ينفعهم إيمانهم أدنى أو أقل منفعة يمكن تصورها.

ولو قال فلم ينفعهم إيمانهم، لكان يعني: مهما كان حجم إيمانهم ونوعه وشدته، لم ينفعهم.

﴿لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾: تكرار هذه في الآيتين (٨٤، ٨٥) ليدل على التّوكيد؛ أي: حين ينزل العذاب بقرية أو بقوم فلن ينفعها إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ﴾: السّنة العادة والطّريقة الّتي سنّها الله تعالى، وهي من تاب عند معاينة العذاب توبته لا تقبل، كما حدث لفرعون حين أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس:٩٠-٩١].

ولابد من ذكر أن الله سبحانه (وله الأمر كله) استثنى من هذه السّنة قوم يونس فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس:٩٨].

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ﴾: وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٣]. ارجع إلى سورة فاطر للبيان.

وفي هذه الآية تحذير وإنذار لكلّ كافر ومشرك ولمن يؤخّرون توبتهم.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: خسر: بمعنى هلك، خسر نفسه.

هنالك: اسم إشارة للمكان البعيد، وقد تعني الزّمان؛ أي: خسروا وقت رؤيتهم العذاب، أو خسروا في ذلك المكان.

وكأنّهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؛ لكونهم كانوا قادرين على التّوبة والإنابة قبل رؤية بأسنا.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الكافرون؛ لأنّ الآيات في سياق الإيمان والكفر لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ فقال: ﴿هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ولو قارنّا هذه الآية (٨٥) بالآية (٧٨) السّابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ لوجدنا أنّ هذه الآية جاءت في سياق أو بعد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ فالحق يقابله الباطل فاختار (المبطلون).

والآية (٨٥) جاءت في سياق الإيمان والكفر، وبما أن إيمانهم جاء متأخراً، وربما جاء قسراً وليس بإرادتهم كإيمان فرعون، ولذلك جاء بقوله تعالى ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

❖ ❖ ❖

سورة فصلت

ترتيبها ٤١ آياتها ٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٤٨

سورة فصلت [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٤١) وترتيبها في النزول (٦١) نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الشورىٰ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

﴿تَنزِيلٌ﴾: قد يكون التقدير: تنزيلٌ من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته، أو تقديره: هذا تنزيلٌ. وتنزيل نكرة للتعظيم. تنزيل عظيم.

ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (١).

﴿مِّنَ﴾: ابتدائية.

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: من أسماء الله الحسنىٰ مشتق من الرحمة التي هي السمة العامة التي تمثل كثيراً من صفاته.

الرحمن: علىٰ وزن فعلان صيغة فعلان تفيد الدلالة علىٰ التجدد والتكرار، وهذا الاسم لا يثنىٰ ولا يجمع ولا يطلق إلا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿الرَّحِيمِ﴾: علىٰ وزن فعيل، صيغة تعظيم، صفة تفيد الثبوت. الرحمن والرحيم كلاهما من مشتقات كلمة الرحمة.

فهو سبحانه وصف نفسه بالرحمن الرحيم؛ أيْ: أن رحمته متجدِّدة ومستمرة، ودائمة لا تنقطع، وكذلك رحمة ثابتة في الدنيا وفي الآخرة.

الرحمن: بعباده المؤمن والكافر والصالح والطالح بنعمة الإيجاد والإمداد (الإنعام) والهداية العامة.

والرحيم: بعباده المؤمنين يختص برحمته من يشاء ويدخل في رحمته من يشاء.

ارجع إلىٰ سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كِتَٰبٌ﴾: سُمِّي كتاباً وسُمِّي قرآناً كتاباً ؛ لأنه مكتوب في السطور أو اللوح المحفوظ، وسُمِّي قرآناً ؛ لأنه مقروء من السطور والتلقي.

﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أيْ: بينت آياته من أبان الشيء وفصله، وكتاب مفصل مقسم إلىٰ فصول في الخلق والكون والوعد والوعيد والبعث والحساب. وغيرها.

وبينت آياته الحلال والحرام والحق والباطل. أو بُينت معانيها. ارجع إلىٰ سورة هود آية (١) لمزيد من البيان.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام لام الاختصاص أيْ: تنزيلٌ من الرحمن الرحيم لأجل قوم يعلمون أو فصلت آياته لأجلهم أو لهم خاصة يعلمون من العلم. أيْ: يعلمون معاني الآيات سواء كانت خفية أو جلية أو خاصة بعد أن فصلت، أيْ: قرآناً عربياً لقوم يعلمون؛ أي: يتفكروا ويتدبروا أولاً، ثم يعلمون في النهاية؛ فتكون المراحل هي التالية: التفكر، ثم التدبر، ثم الفقه، ثم العلم؛ أي: يتفكرون، ثم يتدبرون، ثم يفقهون، ثم يعلمون.

[٤] ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿بَشِيرًا﴾: لمن يؤمن بالله ويعمل صالحاً.

﴿وَنَذِيرًا﴾: للجميع خاصة الذين أشركوا أو كفروا وعصوا ربهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان في بشيراً ونذيراً.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، أعرض أكثرهم: أيْ: أعرض أكثر أهل مكة وغيرهم عن الاستماع إلى آياته وتدبرها والانتفاع بها.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: الفاء للتوكيد. هم: ضمير فصل يفيد التوكيد أيضاً. فهم لا يسمعون سماع التدبر والانتفاع بالآيات، يسمعون تفيد التجدُّد والتكرار، أيْ: لا يسمعون بشكل متجدِّد متكرِّر.

[٥] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: كفار مكة وغيرهم.

﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: أكنَّة جمع كنان وهو الغطاء، أيْ: قلوبنا لا تفقه ما تقول يا محمد صلى الله عليه وسلم، أو مغطَّاة بأكنَّة تمنع وصول الفهم إليهم. ارجع إلى سورة الكهف آية (٥٧) لمزيد من البيان.

﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: أيْ: نحن لا نسمع أو نفهم ما تقول، رغم أن الله سبحانه وصفهم بقوم يعلمون.

مما: من ابتدائية، ما: الذي تدعونا إليه من الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء والحساب.

﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: ثقلٌ في السمع: أو وقرٌ يمنع وصول السمع، ولم يقولوا: نحن صمٌّ، أيْ: مصابون بمرض الصمم منذ الولادة. ارجع إلى سورة لقمان آية (٧) لمزيد من البيان.

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: ومن: تفيد القرب، حجاب: ستار أو حاجز أو مانع (قد يكون إنساناً)، أيْ: رغم قربنا وقربك منا فهناك حجاب يفصل بيننا وبينك. وهذا الحجاب هم أقاموه بنية وقصد.

فالأكنَّة: في قلوبنا، والوقر: في آذاننا، والحجاب: من بيننا وبينك ثلاثة عوائق تمنعنا من قبول ما تدعونا إليه وللإيمان بك.

﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾: الفاء: للمباشرة والتوكيد، اعمل على طريقتك أو دينك، أي: استمر على ما تقوم به ونحن عاملون على ديننا وطريقتنا.. عاملون: جمع عامل تفيد الثبوت... والعمل يشمل القول والفعل.

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: أيْ: أخبر يا رسول الله هؤلاء المعرضين عن الإيمان بالله والاستماع إلى آياته، والمشركين به والذين يدَّعون أن قلوبهم في أكنة وفي آذانهم وقر وبينك وبينهم حجاب، قل لهم بعد أن أعرضوا: ﴿إِنَّمَا أَنَا﴾: إنما كافة ومكفوفة تفيد التوكيد، أنا: للتوكيد.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: لا أستطيع أن أجبركم على الإيمان. وليست هذه هي وظيفتي إنما وظيفتي الإبلاغ المبين، أيْ: إخباركم أن إلهكم إله واحد.

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: الإيحاء: لغة هو إعلام بخفاء. ويعني شرعاً: إيصال ما أنزل الله سبحانه وشرعه إلى الأنبياء والرسل والناس أجمعين.

ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: إنما: للقصر والحصر، واحد: للتوكيد، واحد: لا شريك له ولا ولد ولا صاحبة.

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: أي: استمروا بثباتكم على دينه (الصراط المستقيم)

كما أمركم على لسان رسله وما نهاكم عنه وما أنزل في كتابه وأخلصوا إليه بالتوحيد وعدم الشرك به في العبادة والاستقامة تشمل الأقوال والأفعال والنيات.

ارجع إلى الآية (٣٠) من نفس السورة للبيان.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾: من ذنوبكم، الفاء للمباشرة والتعقيب، سارعوا إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إليه والاستغفار طلب المغفرة.

﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾: الويل هو الهلاك والعذاب والعرب تستعمل كلمة الويل لكل من وقع في هلكة، وقيل: واد في جهنم. للمشركين: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق؛ المشركين: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: استمرارهم على الشرك بالله تعالى.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الإيتاء؛ أي: لا يدفعون الزكاة، ولم اختار لا يؤتون الزكان على غيرها من الصفات؛ لأن المال هو من أحب الأشياء إلى الإنسان، ودفع الزكاة دليل على صدق الإيمان، والثبات والاستقامة، وقرن عدم إيتاء الزكاة بالكفر بالآخرة فقال:

﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد الذم. بالآخرة: الباء: للإلصاق، هم كافرون: هم: تفيد التوكيد، وكافرون: لا يؤمنون بها، وكافرون: جملة اسمية تدل على ثبوت كفرهم، وعدم تصديقهم بها رغم كل الأدلة والبينات والاستمرار على ذلك.

[٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:

ومقابل المشركين يذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

قيل: نزلت هذه الآية في المرضى والقاعدين إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر مثل الذين كانوا يعملون حين كانوا معافين قادرين على العبادة.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قرنوا الإيمان بالعمل الصالح.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أجر غير مقطوع؛ ممنون: اشتقت من منت الحبل إذا قطعته؛ كقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]، أو أجر غير ممنون عليهم؛ أي: يستحقونه، ولا يمن الله عليهم به، لا يذكرهم به، وإنما يمن عليهم بالفضل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم:١١].

[٩] ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

المناسبة: تعود الآيات إلى ذكر المشركين وكيف يشركون بالله الذي خلق لهم الأرض والسماء في ستة أيام فقال:

﴿۞ قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ؛ قل لمشركي قريش.

﴿أَئِنَّكُمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتعجب؛ أي: كيف تكفرون.

﴿لَتَكْفُرُونَ﴾: اللام: لام التوكيد؛ توكيد الكفر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لبيان معنى الكفر. كفر العقيدة؛ أي: الكفر: الجحود بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿بِٱلَّذِى﴾: الباء: للإلصاق؛ الذي: اسم موصول يفيد التعظيم، ويختص بالمفرد المذكر.

﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢، ٢٩)، وسورة

الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لمزيد من البيان المفصل في خلق السموات والأرض.

ففي حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم وذكره البخاري في تاريخه، ورواه أحمد والنسائي: أن رسول الله ﷺ قال: «يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيها بين العصر إلى الليل».

وإذا قارنا هذا الحديث بما توصل إليه العلم يمكن ترتيب الحديث كما يلي: خلق الله الأرض أولاً يوم السبت، وألقى فيها الرواسي (الجبال) يوم الأحد، وخلق التربة يوم الاثنين، وخلق النور يوم الثلاثاء، وخلق النبات (الشجر) يوم الأربعاء، وخلق الدواب يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة أو بعد العصر من يوم الجمعة؛ هذا يعني: كل دقيقة تساوي ملايين ملايين السنين، وكل يوم يساوي ملايين ملايين السنين من الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى، وهذا يفسر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، خلق أو سوى كل شيء على الأرض، ثم استوى إلى السماء؛ أي: السماء كانت موجودة فسواهن سبع سموات؛ أي: غيرهن سبع سموات؛ أي: حين غير الأرض وخلق فيها كل شيء في نفس الزمن كان يميز السماء ويخلق فيها كل شيء من نجوم وكواكب ومدارات ومجرات وشموس وأقمار.

ومثل رسول الله ﷺ عمر الإنسان على الأرض بيوم واحد.

ونفهم من هذا الحديث لو كان عمر الإنسان على الأرض يوماً واحداً فقد مضى على وجود الإنسان من آدم إلى زمن رسول الله ﷺ (١٢) ساعة، وبقي (٣) ساعات، وهذا ما جاء في حديث آخر رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس». حديث حسن صحيح.

وعلماء الفلك افترضوا لو أن عمر الكون يوم واحد فالإنسان خلق في آخر عشر دقائق من نهاية الكون؛ أي: من آدم إلى آخر مخلوق على الأرض يمثل (١٠) دقائق مقارنة بعمر الكون لو فرضنا أنه يوم واحد.

ومن آدم حتى زمن رسول الله ﷺ يمثل (٧ دقائق).

ونحن نعيش في آخر ثلاث دقائق من عمر الكون.

وإذا ما قارنا عمر الكون الذي يقدر بمليارات السنين معنى ذلك أن الساعة الواحدة تقدر بملايين السنين والدقيقة الواحدة آلاف السنين، والله أعلم.

﴿وَنَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: الند: هو ما كان مثل الشيء يضاده في أموره، ويوم التناد يوم التنافر والتشريد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد يفيد التعظيم.

الرب: الخالق والمالك والمربي والمنعم والرازق.

العالمين: جمع عالم الملائكة والجن والإنس، أو كل موجود سوى الله تعالى.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾: تعود إلى الأرض.

﴿رَوَٰسِيَ﴾: جبال، أيْ: لئلا تميد وتضطرب، وكما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

ارجع إلى سورة النحل آية (١٥) وسورة الحجر آية (١٩) للبيان.

﴿مِن فَوْقِهَا﴾: من فوق الأرض.

﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾: أكثر خيرها بأن خلق فيها الأشجار والثمار، وكل أنواع النبات والحيوانات والمياه والخيرات والبركة تعني الخير والزيادة والنمو.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾: أرزاق أهلها. والأقوات: جمع قوت: أقوات الناس والحيوانات.

قدر فيها: قيل: قسم الأرزاق بين العباد والحيوانات. قدَّر كمية الماء واليابسة وقدَّر نسب وأعداد الكائنات الحية وكل ما يتعلَّق بها.

﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾: في تمام أربعة أيام: أيْ: خلق الأرض، ما في الأرض في تمام أربعة أيام، فالله سبحانه خلق السماء والأرض في ستة أيام أو ست مراحل هي: مرحلة الرتق، ثم مرحلة الفتق (الانفجار والدخان) ثم مرحلة التسوية (التميز) ميَّز الأرض إلىٰ سبع أرضين وميَّز السماء إلىٰ سبع سموات، ثم مرحلة (الدحو) وتكوين الغلاف المائي والغازي، ثم مرحلة إلقاء الرواسي (الجبال)، ثم مرحلة تقدير الأقوات، ثم خلق آدم.

وهكذا يمكن القول: أن مرحلة تسوية السماء تمت في نفس الزمن الذي تم فيه تسوية الأرض، أيْ: ميَّز الأرض إلىٰ سبع أرضين وميَّز السماء إلىٰ سبع سموات في نفس الزمن، وكذلك مرحلة الإتيان تمت في نفس الزمن، فلا نفهم أن التسوية والإتيان تمت لكل منهما علىٰ حِدَةٍ.

إذن تصبح الأيام الأربعة: الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء.

والقاعدة: كل مجمل يخضع للتفصيل إلا تفصيل العدد فيرجع للمجمل.

فالأربعة أيام هذه تكملة لخلق الأرض في يومين، فاليومان من الأربعة أيام.

وقد يسأل سائل: وهل يحتاج الله سبحانه إلىٰ ٦ أيام وهو قادر علىٰ أن يقول للشيء: كن، فيكون؟ فسبحانه لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون.

﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾: سواء لا زيادة ولا نقصان، أربعة أيام تامات مستويات.

للسائلين: اللام لام الاختصاص أو التعليل، السائلين: أيْ: من يسئل عنها، وقيل: هي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. لا تزيد ولا تنقص.

[١١] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل على التراخي في الزمان، وإنما الترتيب الذكري العددي.

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: استوى: قصد أو توجَّه إلى السماء.

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾: وهي في حال دخان. كتلة غازية، فخلق منها السموات السبع والكواكب والنجوم والأقمار والمجرات وكل الأجرام.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: أيْ: أراد تكوين وخلق السماء والأرض حسب ما يشاء.

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾: كيف خوطبتا واستجابتا يدخل في علم الغيب، ومسألة التأويل، فيجب الوقوف عنده ولا نخوض فيما لا علم لنا به. ويمكن القول: أن الله سبحانه خاطب السموات والأرض كأن لهما عقلاً وأجابتا على سؤاله سبحانه، قالتا: أتينا طائعين.

وقد يشير هذا أو يعني أنه عرض الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فسخرها، كما قال تعالى في سورة الأعراف الآية (٥٤): ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾.

ورغم أن السموات سبع لم يقلن: أتينا طائعات ؛ مما يدل على أنه جعلها كياناً واحداً والأرض كياناً واحداً وأراد لكل منهما كيانه الخاص به.

ويمكن القول حسب ما توصل العلم: إن خلق السموات والأرض مر بمراحل ست هي:

المرحلة الأولىٰ: كان الكون جرماً واحداً متناهياً في صغر الحجم ومتناهياً في الطاقة والمادة (يفسر قوله تعالىٰ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾[الأنبياء: ٣٠]).

المرحلة الثانية: مرحلة الدخان: الناتج عن انفجار هذا الجرم (وهذا يفسره قوله تعالىٰ: ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[الأنبياء: ٣٠]).

المرحلة الثالثة: مرحلة الإتيان: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

المرحلة الرابعة: مرحلة التسوية، التميز (سوىٰ الأرض سبع أرضين وسوىٰ السماء سبع سموات).

المرحلة الخامسة: مرحلة الدحو: (إخراج الغلاف المائي والغازي) وإرساء الجبال.

المرحلة السادسة: قدَّر فيها أقواتها.

ولا يجوز القول أن الله خلق الأرض أولاً، ثم السماء ثانياً، فهو خلق أرضاً واحدة وسماء واحدة في زمن واحد، وبعد ذلك ميَّزها إلىٰ سبع أرضين وسبع سموات.

❖ ❖ ❖

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ
عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى
ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ
أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾

سورة فصلت [الآيات: ١٢ - ٢٠]

[١٢] ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾:

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب. قضاهنَّ: من قضى بمعنى خلق أو أمر أو قضى بمعنى انتهى وأتم، أيْ: أتمهنَّ.

﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: سبع سموات طباقاً، أيْ: سبع كرات عظيمة يغلف الخارج منها الداخل مركزها الأرض التي لا تقارن بحجم السموات والتي بدورها، أي: الأرض مكوَّنة من سبع أرضين (سبع طبقات) فقضاهنَّ سبع سموات في يومين، أيْ: سواهنَّ أو ميزهنَّ إلى سبع سموات، ونحن لا نعلم إلا الشيء القليل عن السماء الدنيا، وأما باقي السموات لا يعلمها إلا الله سبحانه.

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾: خلق في كل سماء خلقها أو ما أراد أن يكون فيها.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾: المصابيح هي النجوم. وحفظاً: من الشياطين الذي يسترقون السمع. أو حفظناها حفظاً من الشياطين لمنعهم من استراق السمع بالشهب الثاقبة والشهب المبينة التي تحرق الشياطين حين يحاولون أن يخطفوا الخطفة.

ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (١٠) للبيان.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلىٰ الخلق والتزيين والإيحاء.

﴿تَقْدِيرُ﴾: الخلق هو التقدير. أيْ: ذلك خلق العزيز العليم.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الذي يَغْلِب ولا يُغلَب ويَقهَر ولا يُقهَر، والممتنع لا يضره أحدٌ.

﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: في تدبيـــر خلقه وكونه أحاط علمه بجميع خلقه، العليم صيغة مبالغة تعني: كثير العلم، وهو كذلك عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب.

[١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض والشك.

﴿أَعْرَضُوا۟﴾: أيْ: كفار قريش أعرضوا، أي: ابتعدوا أو تولَّوا أو انصرفوا عن الإيمان والتوحيد، أعرضوا عما تدعوهم إليه.

﴿فَقُلْ﴾: لهم الفاء جواب الشرط.

﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾: الإنذار هو الإعلام مع التحذير والتخويف.

﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾: الصاعقـــة كالبرق الذي يـــؤدِّي إلىٰ توليد طاقة كهربائية بين الســـحب والأرض، والتي تدوم قليلاً من الزمن، وتحمل في طياتها شـــحنات كهربائية تتراوح بيـــن (١٢٠٠٠) و(٢٠٠٠٠) أمبير تؤدِّي إلىٰ صعق الإنسان وموته بالتأثير في قلبه حالاً والقضاء عليه.

[١٤] ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي.

﴿جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾: هود وصالح والرسول يمثل الرسل كقوله: كذبت عاد المرسلين، أيْ: هود. فأما هود عليه السلام فأرسل إلىٰ عاد، وأما صالح عليه السلام فأرسل إلىٰ ثمود.

﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من تدل علىٰ القرب، أيْ: من دون فاصل زمني.

أيديهم: أيْ: جاءت آباءَهم ومن كان قبلهم.

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أيْ: مباشرة جاءت من خلف الآباء، أيْ: جاءت الأبناء، أيْ: أنفسهم أو جاءتهم الرسل يدعونهم مباشرة إلىٰ الإيمان والتوحيد جاؤوهم من أمامهم ومن خلفهم قائلين لهم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أيْ: ألحوا عليهم بالدعوة في كل مكان، ليلاً ونهاراً.

﴿أَلَّا﴾: أن لا، أن: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد، لا: ناهية.

تعبدوا إلا: أداة حصر. العبادة: لتعريفها، ارجع إلىٰ سورة النحل آية (٧٣).

﴿قَالُواْ﴾: أيْ: قوم هود وقوم صالح.

﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾: لو: شرطية، ربنا: أيْ: خالقنا ومتولي أمورنا، ولم يقولوا: لو شاء الله؛ لأن الله هو المعبود، ويأتي ذكره في سياق العبادة، واختار اسم الرب؛ لأن الرب هو الهادي (بيده الهداية) والمربي.

﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾: لأنزل: اللام: للتوكيد؛ أنزل ملائكة بدلاً من الرسل، أيْ: ما أنتم إلا بشر مثلنا، وتأكلون مما نأكل وتشربون مما نشرب.

﴿فَإِنَّا﴾: الفاء للتوكيد، إنا: للتوكيد.

﴿بِمَآ﴾: الباء للإلصاق، ما: الذي، أرسلتم به: من الإيمان بالله وحده والبعث والحساب والاستغفار والتوبة.

﴿كَٰفِرُونَ﴾: جاحدون أو غير مصدِّقين. كافرون: جملة اسمية تدل على الثبوت والإصرار عليه وعدم التفكير بالتوبة.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أما: حرف تفصيل.

﴿عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أيْ: أظهروا تكبرهم وعظم شأنهم فوق ما يستحقون، استكبروا: طلبوا الكبر وهم ليسوا أهلاً له؛ استكبروا: بالغوا في الكبر، أو عندهم مقوِّمات الكبر الحقيقية. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان، والفرق بين الاستكبار والتكبر.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بالباطل والعدوان والفساد والظلم والقتل وغيره.

أما الاستكبار في الأرض بالحق: فعندما يتكبَّر على عدو الله الذي يستهزئ بما أنزل الله أو بالآيات والقرآن وبالرسول، فهذا استكبار بالحق.

﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: من: استفهامية، أشد منا قوة: تقديم منا الجار والمجرور لتدل علىٰ التوكيد. أيْ: لا أحد أقوىٰ منا قوة.

وكانوا ذوي قوة وصلابة في البنية وذوي أجسام قوية فاغتروا بما بنوه من المصانع والجنات وبأجسامهم وقوتهم حين هدَّدهم هود عليه السلام بالعذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الهمزة في أولم للاستفهام، والواو للتوكيد.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن للتعليل والتوكيد.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿هُوَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: عدَّة وعتاد وجنود السموات والأرض.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: بآيات الله التي جاء بها هود عليه السلام يجحدون والجحد: هو إنكار الشيء الظاهر من الآيات، والجحد هو إنكار متعمَّد. ارجع إلىٰ سورة النمل آية (١٤) لمزيد من البيان.

ولم يقل جحدوا: لأنه يريد أن يأتي بصيغة المضارع ليدل علىٰ حكاية الحال، أيْ: إظهار فعل جحدهم الآن ليدل علىٰ قبح فعلهم وإنكارهم.

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: الفاء استئنافية، عليهم: علىٰ تفيد المشقة والعلو.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾: الريح في القرآن تستعمل في سياق العذاب والدمار، أما الرياح فتستعمل في سياق الرحمة.

ريحاً صرصراً: أصل صرصر من الصر وهو البرد الشديد. أيْ: ريحاً شديدة البرودة ولها صوت عند هبوبها. فهي تجمع صفتين: البرودة الشديدة وعندما تهب لها صوت، فالبرودة الشديدة تؤذي الجسم فتؤدِّي إلىٰ انقباض الأوعية الدموية في الجلد. وتؤدِّي في النهاية إلىٰ موت الجلد، وبالتالي الحاجة إلىٰ بتر العضو أو الطرف كاليد أو القدم.

﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾: في: ظرفية زمانية، أيام نحسات: لها معانٍ: مشؤومات، وقيل: شداد أو متتابعات أو ذوات شر ونحوس.

﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: اللام للتوكيد والاختصاص، نذيقهم عذاب الخزي: الخزي: الذل والفضيحة لنذلهم ونفضحهم في الدنيا أمام الآخرين.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾: ولعذاب اللام للتوكيد، عذاب الآخرة أخزىٰ: علىٰ وزن أفعل، أيْ: أشد خزياً وفضيحة.

﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾: هم: للتوكيد، لا: النافية، ينصرون: لا يجدون من ينصرهم أو يعينهم أو يدفع عنهم العذاب.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفصيل.

﴿ثَمُودُ﴾: قوم ثمود ونبيهم صالح عليه السلام (من أنبياء العرب).

﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، هديناهم: لا تعني حصلت لهم الهداية، وإنما دللناهم وبينا لهم طريق الهدية أو سبيل الخير وسبيل الشر بعبادة الله وحده وعدم عقر الناقة وعدم مسِّها بسوء.

﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: أي: اختاروا الكفر على الإيمان أو طريق الضلالة على النور. والعمى عمى البصيرة على الهدى والرشاد. وعقروا الناقة وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين وهموا بقتل صالح وأهله. ارجع إلى سورة النمل آية (٤٩) للبيان.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب، أخذتهم: حلت بهم الصاعقة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾: ارجع إلى الآية (١٣) من نفس السورة.

العذاب الهون: العذاب الأليم المصحوب بالإهانة، الهون: المهين والذلة.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء السببية أو البدلية، ما: بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: من الشرك والظلم والكفر والسيئات، ولم يقل: يكتسبون. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للفرق بين كسبت واكتسبت.

[١٨] ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾:

﴿ وَنَجَّيْنَا ﴾: تدل على طول الزمن بينما أنجينا: تدل على السرعة أو قصر الزمن.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾: أيْ: صالح والذين آمنوا معه. وكانوا يتقون: يطيعون أوامر الله ويجتنبون نواهيه.

[١٩] ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾:

﴿ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ ﴾: الحشر: هو السوق والجمع، أيْ: يساقون إلى أرض المحشر ويجمعون هناك للحساب والجزاء، وأما النشر فهو الإحياء.

﴿ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ ﴾: من الكفار والمشركين أعداء الدين الذين كذبوا بالله وآياته ورسله.

﴿ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾: إلى: تفيد كل الغايات.

﴿ فَهُمْ ﴾: الفاء عاطفة هم للتوكيد.

﴿ يُوزَعُونَ ﴾: من الوزع: أي: الكف والمنع وزعه عن الأمر: أيْ: كفه أو منعه، أيْ: يكف أو يمنع أولهم عن التقدُّم، وآخرهم عن التأخُّر حتى يلحق الآخِر بالأول، أو يجتمع أولهم وآخرهم، ثم يساقون إلى النار زمراً زمراً.

[٢٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ حَتَّىٰٓ ﴾: حرف لنهاية الغاية وهي الوصول إلى جهنم.

﴿ إِذَا ﴾: ظرفية زمانية.

﴿مَا﴾: للتوكيد. (وكانت تسمى: ما الزائدة).

﴿جَآءُوهَا﴾: أيْ: أعداء الله وصلوا إلى النار بصعوبة ومشقة. المجيء فيه معنى الصعوبة والمشقة بعكس الإتيان يكون فيه معنى السهولة.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾: أيْ: تشهد عليهم حواسهم تشهد على أصحابها. ولماذا خص الجلود عن بقية الحواس، وليست الأيدي والأرجل أو غيرها؟ لأن الجلود هي التي ذكرت من بين الأعضاء، أما الأطراف التي ستعذب كما قال تعالى في سورة النساء آية (٥٦): ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي، ولكنها أعم وأشمل.

﴿كَانُوا۟﴾: في الدنيا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: العمل يشمل القول والفعل، أيْ: ما كانوا يقولون ويفعلون. ولا ننسى أن هناك شهوداً آخرين ؛ الملائكة والأيدي والأرجل والألسن والأرض والسماء كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

❖ ❖ ❖

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

سورة فصلت [الآيات ٢١ - ٢٩]

[٢١] ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أيْ: قال أعداءُ الله يوم القيامة.

﴿لِجُلُودِهِمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والجلود تمثل حاسة اللمس. والجلود قيل: الجلود نفسها وقيل: الجلود الجوارح. أو اختار الجلود في هذه الآية من بين الأعضاء الأخرىٰ.

﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾: لم: استفهام إنكاري واستبعاد أن تشهد عليهم جلودهم وتعجُّب، لم شهدتم علينا (أيْ: ضدنا) ولم يقل: شهدتم لنا (أيْ: لصالحنا) أيْ: كيف شهدتم علينا وكنا ندافع عنكم في الدنيا أو نحميكم.

﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ﴾: القادر علىٰ إنطاق كل شيء، وهذا ليس بأمر عجب علىٰ قدرة الله سبحانه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: شيء نكرة تعم الحيوان والنبات والشجر والسماء والأرض والألسن والأيدي وغيرها.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: وهو سبحانه خلقكم بداية فهو قادر علىٰ إنطاق كل شيء خلقه، وإليه: تقديمها يدل علىٰ الحصر والقصر، أيْ: إليه وحده ترجعون سواء شئتم أم أبيتم، ولم يقل: وترجعون إليه.

[٢٢] ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَا كُنتُمْ﴾: ما: النافية، كنتم في الدنيا حين كنتم ترتكبون الفواحش.

﴿تَسْتَتِرُونَ﴾: خوفاً من ﴿يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: أيْ: لمَ تخافون الآن من جلودكم وسمعكم وأبصاركم أن تشهد عليكم، وحينما كنتم في الدنيا لم تخافوا من ارتكاب الفواحش والآثام، وكنتم تجاهرون بها وما كنتم تستترون آنذاك أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أو لأنكم غير قادرين على الاستخفاء، أو لأنكم كنتم لا تؤمنون بالبعث والحساب ولا تظنون أنكم إلينا راجعون.

وتكرار (لا) ثلاث مرات تفيد توكيد نفي التستر. فالأبصار تشهد بما رأت والآذان تشهد بما سمعت والجلود بما لامست.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك.

﴿ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ظننتم الظن الراجح الذي فيه درجة الإثبات أعلى من درجة النفي.

أن الله: للتوكيد، لا: النافية.

لا يعلم كثيراً مما (من الذي) تعلمون: أيْ: في الخفاء أو كثيراً مما تعلمون في الدنيا وتعملون تضم الأقوال والأفعال، ولم يقل: عملتم. تعملون: تدل على حكاية الحال، أيْ: قبح أعمالهم أو تكرار وتجدُّد ما عملوا.

[٢٣] ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾: اسم إشارة يفيد التوكيد، ويشير إلى ظنهم السيِّئ بعدم العلم. وذلكم، ولم يقل: وذلك؛ لأن ذلكم تستعمل في القرآن في مقام التوكيد والتوسع والجمع، وذلك تستعمل في الأمور الأقل توكيداً والمفردة.

﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾: أيْ: أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، ولذلك تجرّأتم على فعل المعاصي.

﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾: من الرّدى، أي: الهلاك، أيْ: أهلككم أو طرحكم في النار جزاءً بما كنتم تكسبون.

﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: الفاء: للتوكيد، أصبحتم: من فعل أصبح من أفعال الشروع؛ أي: صرتم.

﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: من ابتدائية بعضية، أيْ: بعض الخاسرين لأنفسهم وربما لأهليهم.

[٢٤] ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: للعطف، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿يَصْبِرُوا۟﴾: فلن ينفعهم الصبر.

﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: أيْ: مكان إقامتهم الدائم المؤبد، المكان الضيق المطبق عليهم والمكرهين والمجبرين عليه. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥).

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿يَسْتَعْتِبُوا۟﴾: يطلبوا أو يسألوا العتبى أنفُسُهُم لكي يعتذروا إلى الله على ما فعلوا لكي يرضى الله عنهم، والعتاب حوار بلطف للدفاع عن التقصير الذي حصل منهم في الحياة الدنيا.

ويجب الانتباه إلى هذه الآية الوحيدة التي يطلبون فيها العتبى بأنفسهم. بينما الآيات الأخرى يُستعتبون بضم الياء، أيْ: يُطلب منهم العتبى.

كما في سورة النحل آية (٨٤) وسورة الروم آية (٥٧) وسورة الجاثية آية (٣٥).

﴿فَمَاهُم مِّنَ ٱلْمُعَتَّبِينَ﴾: فما: الفاء: جواب الشرط، ما: النافية.

هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

من: ابتدائية بعضية.

المعتبين: أيْ: لا يسمح لهم بالعتاب أو الاعتذار سواء طلبوا ذلك بأنفسهم أو طلب غيرهم لهم العُتبىٰ.

[٢٥] ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾:

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾: هيأنا وأتحنا، اللام في لهم لام الاختصاص، أيْ: خاصة بهم، وتعود علىٰ أعداء الله.

﴿قُرَنَآءَ﴾: جمع قرين والقرين: الصاحب الذي لا فائدة منه ولا منفعة، بل ضرر وخسارة، والقرين: هو الشيطان؛ أيْ: هيأنا لهم أتباعاً يتبعونهم أينما ذهبوا أو يصاحبونهم. والصاحب غير القرين، الصاحب الذي تنطوي صحبته علىٰ محبة ومنفعة.

فزينوا: الفاء للتوكيد.

﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: بالوسوسة والإغراء والضلال، وزينوا لهم الباطل والشرك والكفر.

زينوا لهم اللَّذَّات والشهوات الدنيا المحرمة والمعاصي، والبدع والضلالات، ومحاربة الله ورسوله.

﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما بين أيديهم من أمر الآخرة القادم بالإضلال والتكذيب والشك والريبة بأن ليس هناك آخرةً وحساباً وجزاءً.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من أمور الدنيا زينوا لهم المحرمات والشهوات. أو بالعكس ما بين أيديهم من أمور الدنيا وما خلفهم من أمور الآخرة مثل الجنة

والنار والحساب والبعث. أو ما بين أيديهم، أيْ: ما فعلوه وما خلفهم، أيْ: ما عزموا علىٰ فعله أو سيفعلونه.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب أو ثبت عليهم القول: قيل: العذاب أو القول ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨].

﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾: في: ظرفية، قد: للتحقيق، خلت: مضت أو هلكت.

﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: بتكذيبهم الرسل أو لتكذيبهم الرسل وسوءُ أفعالهم وعدم إيمانهم، كانوا خاسرين لاستحقاقهم العذاب. وقدَّم الجن علىٰ الإنس حسب القدم في الأرض.

﴿إِنَّهُمْ﴾: أيْ: هم والأمم، للتوكيد.

﴿كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: لأنفسهم ولأهليهم أيضاً؛ لأنهم أدخلوهم النار معهم أو إذا أهلهم دخلوا الجنة فلن يروا أهلهم؛ لأنهم سيكونون هم في النار وأهلهم في الجنة.

خاسرين: جمع خاسر تدل علىٰ ثبوت صفة الخسارة. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١٩)، وسورة هود آية (٢٢) لبيان معنىٰ خاسرين، والأخسرون.

[٢٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من قريش وغيرهم.

﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: لا: الناهية، تنصتوا لهذا القرآن إذا قَرَأه عليكم محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾: ارفعوا أصواتكم حين قراءته وتكلَّموا مع بعضكم بعضاً كلاماً لغواً لا فائدة فيه، كلاماً: كالصفير والصياح واللهو أو العبث.

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾: لعل: للتعليل، تغلبون: فيتوقف عن القراءة أو لا يُفهم ما يقول.

[٢٧] ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَلَنُذِيقَنَّ﴾: الفاء واللام والنون، كلها للتوكيد، أيْ: يوم القيامة.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾: لصدِّ الناس عن سماع القرآن واللَّغو فيه وبسبب كفرهم.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: اللام والنون للتوكيد، ولنجزيهم في الآخرة أسوأ الذي كانوا يعملون، أيْ: نجزينَّهم أقبح أعمالهم في الدنيا مثل الشرك. أما بالنسبة للأعمال الصالحة فقد حبطت وذهبت هباءً منبثّاً بسبب الشرك.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية (٢٧) من سورة فصلت مع الآية في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤].

ما: أوسع شمولاً من (الذي) كانوا يعملون: تعني كل شيء كانوا يعملون فيه إطلاق بينما الذي كانوا يعملون: الذي، أي: فقط الذي يعملون من اللغو وعدم السماع للقرآن فيه تحديد واختصاص، وما تشمل الذي وغيره مما كانوا يعملون.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾:

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾: ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد وهو يفيد الذم، ويشير إلى أن العذاب الشديد هو جزاء أعداء الله.

﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾: العذاب الشديد في النار.

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، فيها: في النار: في ظرفية.

﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾: دار الإقامة الخالدة، ويبدأ الخلود من زمن دخولهم إياها إلى ما لا نهاية.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٥) من نفس السورة للبيان.

﴿بِمَا﴾: الباء باء السببية أو البدلية. ما: بمعنى الذي أو مصدرية وما مطلقة تشمل كل شيء.

[٢٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعد أن أُدخلوا النار.

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ﴾: اللَّذَيْنِ اسم موصول للمثنى، ﴿أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: أيْ: شياطين الجن والإنس أو الرؤساء من الجن والإنس الذين زيَّنوا لنا الكفر والشرك والمعصية.

﴿أَرِنَا﴾: أيْ: أطلعنا على هؤلاء اللذين أضلانا.

﴿أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: عن طريق الحق، أبعدَانا وزيَّنا لنا طريق الضلال والباطل.

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: في النار انتقاماً منهما.

﴿لِيَكُونَا﴾: اللام لام التوكيد.

﴿مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: من: ابتدائية بين الأذلين المهانين في الدرك الأسفل من النار. أرادوا بهذا القول إيقاع اللوم على شياطينهم من الجن والإنس، أو رؤسائهم.

❖ ❖ ❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾

سجدة

سورة فصلت [الآيات ٣٠ - ٣٨]

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: إن: للتوكيد، ربنا الله: جمعوا بين وحدانية الربوبية ووحدانية الألوهية والأسماء والصفات. أيْ: آمنوا بالله وحده وهو خالقهم.

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾: ثم حرف عطف، يدل على تباين منزلة الاستقامة على الإيمان، وليست للترتيب والتراخي في الزمن، وإنما تدل على ما بعدها أعظم مما قبلها.

اسْتَقامُوا: التزموا بمنهج الله والقرآن والسنة، والدوام على تقوى الله بإطاعة أوامره وتجنب نواهيه، والتزموا بالوسطية، لا إفراط ولا تفريط. وأخلصوا دينهم لله بالتوحيد (الألوهية والربوبية والصفات والأسماء).

والاستقامة: نقيضها: الاعوجاج ومشتقة من السير على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾: تتنزل على المؤمنين في حالة الاحتضار مرحلة الوفاة التي تسبق الموت، أيْ: خروج الروح من البدن، ولم يقل: تنزل كما في قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر:٤]؛ تتنزل: تدل على كثرة التنزل كما هي الحال لقبض الأرواح عند الموت، وهذا يحدث بكثرة، بينما تنزل (تاء واحدة): تدل على قلة التنزل، كما يحدث في ليلة القدر تنزل الملائكة والروح مرة في العام، وليس دائماً، كما نراه حين الوفاة والموت.

﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾: ألا: مركبة من أن ولا. أن: مصدرية للتعليل والتوكيد، لا: الناهية. تخافوا: من الموت أو البرزخ أو يوم البعث والآخرة. ألا تخافوا: مما هو قادم عليكم والخوف هو الغمُّ الناتج لتوقُّع مكروه قادم مشكوك في وقوعه.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: وتكرار (لا): يفيد التوكيد، ولا تحزنوا على ما خلفكم من أهل وولد ومال، ولا تخافوا ولا تحزنوا لفصل الخوف عن الحزن كلًّا على حِدَةٍ، أو كلاهما معاً، والحزن: هو الغمُّ الناتج عن أمر وقع أو فوات نفع في الماضي، لا تخافوا ولا تحزنوا من الآن فصاعداً.

وتحزَنوا: من الحزَن، ولمعرفة الفرق بين الحَزن والحُزن، ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٣) للبيان.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾: الباء: باء الإلصاق، وتدخل على ما هو مدار الكلام، والبشرى: الإخبار بأمر مُسر لأول مرة بالجنة.

ارجع إلى سورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنى بشرى.

﴿الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: كنتم في الحياة الدنيا توعدون على ألسنة الرسل وفي القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم وتعود على الملائكة.

﴿أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الولي المعين، أيْ: نحن حفظة أعمالكم في الدنيا ونتولَّى أموركم بأمر من الله كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. أيْ: هم الحفظة من الملائكة.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: نشفع لكم ونتولَّى أموركم، كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: أيْ: في الجنة.

﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾، ما: بمعنىٰ الذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: تطلبون وتتمنون من الادِّعاء وهو التمني والطلب. وما: للشمول بينما الذي خاصة.

[٣٢] ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾:

﴿نُزُلًا﴾: مشتقة من النُزل وهو ما يهيأ ويعد للضيف من قِرىٰ وتكريم وحفاوة يتضمن المسكن ومكان الإقامة والمأكل والمشرب.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية.

﴿غَفُورٍ﴾: صيغة مبالغة كثير الغفران، أي: الساتر لذنوب عباده والمتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، يغفر الذنوب جميعاً، وغفور تعني: يغفر الذنوب العظام والجسام وغفار صيغة مبالغة أيضاً تعني: يغفر الذنوب الكثيرة.

﴿رَّحِيمٍ﴾: بعباده المؤمنين كثير الرحمة، وسعت رحمته كل شيء، وهو أرحم الراحمين. رحيم تدل علىٰ ثبوت صفة الرحمة عنده. والرحمن تدل علىٰ تجدُّد وتكرُّر صفة الرحمة عنده، والرحمن: صفة عامة، والرحيم: صفة خاصة.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾: من: استفهامية تحمل معنىٰ النفي، أيْ: لا أحسن ممن دعا إلىٰ الله وعمل صالحاً، وقال: إنني من المسلمين. والجواب محذوف، ولكنه مفهوم، أيْ: لا أحد أحسن قولاً وأحسن علىٰ وزن أفعل التفضيل، أيْ: أفضل.

﴿قَوْلًا﴾: تشمل القول والخطابة والكتابة، وأي وسيلة من وسائل النشر.

﴿مِّمَّن﴾: من: الأولىٰ ابتدائية ومن الثانية: اسم موصول بمعنىٰ الذي، وتشمل المفرد والمثنىٰ والجمع والذكر والأنثىٰ.

﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: دعا إلى الإيمان بالله وعبادته وتوحيده والدخول في الإسلام وإعلاء كلمة الله ودينه.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: بتأدية الفروض والسنن والنوافل وكل ما فيه خير.

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: أسلم وجهه لله وحده، أيْ: أخلص في إسلامه ولا يعني فقط نطق الشهادة، بل لا بُدَّ من اعتناق الإسلام وتطبيقه والتقوىٰ والإحسان، وأول داع من هذه الأمة كان محمداً صلىٰ الله عليه وسلم وترك لأمته أن تحمل أمانة الدعوة من بعده، وقال: إنني، ولم يقل: إني؛ إنني (زيادة النون) تدل علىٰ زيادة التوكيد مقارنة بقوله إني من المسلمين.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾:

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: الواو استئنافية. أيْ: لا تستويان في الجزاء والأجر. والاستواء قد يقصد به الاستواء في الجنس، أيْ: حسنة أعظم من حسنة أو سيئة أكبر من سيئة.

الحسنة: تعريفها لغةً: مؤنث حسن، عمل أو قول صالح ضد السيئة، والحسنة: هي الأعلىٰ في الحسن، واصطلاحاً: هي كل عمل خير من قول أو فعل يورث ثواباً. أو هي كل ما يستحسنه الشرع ويتمثل بإطاعة أوامر الله وتجنب نواهيه من قول أو فعل يورث ثواباً. وقال الراغب: الحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وماله.

والسيئة لغةً: مؤنث سيء ذنب أو خطيئة عكس حسنة، ويعاقب عليها، وقيل: السيئة: الصغير من الذنوب، وقيل: الخطيئة، وقال الراغب: السيئة: الفعلة القبيحة، وهي ضد الحسنة، وقيل: هي ما يكرهها الله ويعاقب عليها.

وتكرار (لا) يفيد التوكيد. كان بالإمكان القول ولا تستوي الحسنة والسيئة، ولكن أضاف ولا السيئة للتوكيد، وفصل كل منهما عن الآخر، أيْ: لا تستوي

الحسنة مع السيئة ولا تستوي الحسنة مع الحسنة، ولا تستوي سيئة مع سيئة، فالحسنات درجات والسيئات درجات.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: الدفع: أي: الرد بقوة.

أما الدرء فهو الرد بسرعة. فدفع (أي: ردُّ) السيئة بالحسنة وبالعفو والصفح ودفع الذم بالمدح والجهل بالعلم والتسرع بالحلم والصبر.

وقد ورد درء السيئة بالحسنة في آيتين، فقال تعالىٰ: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢] و[القصص: ٥٤].

والدرء يعني كما قلنا: دفع أو رد السيئة بالحسنة بقوة وبسرعة، ومن دون تأخير.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب. إذا: ظرفية زمانية تفيد المفاجأة.

﴿ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾: أيْ: إذا دفعت السيئة بالحسنة أصبح عدوك أو الذي أساء إليك كالصديق الحميم: أي: القريب في المودة. صديق مقرب مُعين.

وقد تقوم بدفع السيئة بالحسنة وتفعل ما بوسعك إلىٰ الإحسان إليه، ولا يجدي فيه العفو والصفح فعندها فوِّض أمرك إلىٰ الله تعالىٰ.

وإذا حاولت القيام بالدفع فتأكد أن الشيطان سيبدأ يوسوس إليك، ويذكرك بعداوة الذي وقع إليك بالسيئة، فعندها استعذ بالله وعليك أن تطرد الشيطان وتقاومه ابتغاء مرضات الله.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: النافية.

﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: من الإلقاء، ويعني من علو وتدل علىٰ علو منزلة الدفع بالتي

هي أحسن. ولا يُعطىٰ أو يوهب هذه المنزلة أو الخصلة أو السجية إلا الذين صبروا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: ولم يحدد نوع الصبر، ويشمل الصبر علىٰ طاعة الله والصبر عن المعصية وعلىٰ القضاء والقدر. الذين: اسم موصول يفيد المدح. وقد وصفهم الله في آية أخرىٰ، فقال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: [آل عمران: ١٣٤].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: الإعادة تفيد التوكيد علىٰ هذه الخصلة والفضيلة مقابلة السيئة بالحسنة. وما يلقاها: ولا يقبل هذه الوصية أو يؤتىٰ القدرة علىٰ القيام والعمل بهذه الخصلة إلا ذو حظ عظيم.

﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: إلا: أداة حصر، ذو: ارجع إلىٰ سورة الأنبياء (٨٧) وغافر (٢) لمعرفة معنىٰ (ذو) ومقارنتها بصاحب.

﴿حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من الخير والثواب، ويشمل الجنة وبدون الجنة لا يعد الحظ عظيماً.

[٣٦] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿وَإِمَّا﴾: للتفصيل.

﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: حين الدفع أو الدرء بالتي هي أحسن أو حين تبدأ أو تحاول الدفع بالتي هي أحسن مثل الصبر والحلم والعفو يبدأ الشيطان ينزغنك، أيْ: تصاب بالغضب والجهل والغيظ وحب الانتقام، فعندها استعذ بالله، أي: الجأ إلىٰ الله تعالىٰ بسرعة.

وينزغنك من النزغ: وهو الإغواء والإثارة للفساد والغضب، وقيل: النزغ: هو النخس والغرز، وأصله استعمال الإبرة أو طرف العصا أو شيء حاد في الجلد

لحث الدابة على الإسراع في المشي. ويعني ذلك: التهييج والإثارة والحث على الغضب، فإن حدث لك ذلك فاستعذ بالله، والنون في ينزغنك للتوكيد.

فالنزغ إحدى وسائل الشيطان، وهناك الوسوسة والتزيين والأزُّ والإغواء والتضليل. ارجع إلى سورة الناس آية (٥) للبيان المفصل، والفرق بين الوسوسة، والتزيين، والأز، والإغواء، والتضليل.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب. استعذ بالله: أي: التجأ إلى الله واعتصم به؛ أي: احتمي به حتى يدفع عنك شر الشيطان وكيده، ويمنعك من المحذور.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: إن: للتوكيد، هو: لزيادة التوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال عباده ويسمع ما يجري في الكون من السر والعلن والنجوى يسمعهم في آن واحد. ويسمع الاستعاذة به.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما يحدث بينك وبين من أساء إليك من العباد أو الشياطين ويعلم كل ما يفعله عباده في السر والعلن والعفو والصفح والغضب، والعليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية.

ولمقارنة هذه الآية (٣٦) من سورة فصلت ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ مع الآية (٢٠٠) من سورة الأعراف ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ارجع إلى سورة الأعراف آية (٢٠٠) للبيان.

[٣٧] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن بيَّن الله سبحانه أحسن الأعمال وهي الدعوة إلى الله

وبيَّن أهمية الصبر والصفح والعفو، يذكر بعض الآيات والأدلة على أنه هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ووحدانيَّته وكمال قدرته.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ﴾: الواو استئنافية، من: ابتدائية بعضية، أيْ: بعض آياته الكونية الدالة على عظمته ووحدانيته وكمال قدرته، جعل الليل والنهار آيتين وأضاف هذه الآيات إليه فقال: ومن آياته، أيْ: نسبها إليه تشريفاً لها ولأهميتها في حياة الناس. واستعمال أل التعريف في الليل والنهار والشمس والقمر تدل على الدوام والكمال.

ارجع إلى سورة يونس آية (٥، ٦٧) وسورة الأنبياء (٣٣) للبيان.

﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: لا: الناهية، تسجدوا: تعبدوا؛ أي: لا تعبدوا الشمس والقمر أمثال الصابئة وغيرهم.

للشمس: اللام لام الاختصاص وللقمر نفس ذلك.

وتكرار (لا): تفيد التوكيد بعدم فعل ذلك. وفصل كل منهما على حِدَةٍ، أو كلاهما معاً.

﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾: أي: اعبدوا الله وحده. لله: اللام لام الاستحقاق.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم والإفراد.

﴿خَلَقَهُنَّ﴾: أي: الآيات الليل والنهار والشمس والقمر... وغيرها من الآيات، وليس فقط خلق الشمس والقمر، بل تعود خلقهن إلى كل الآيات المذكورة من قبل هذه الآية، وكذلك الآيات الأربع، والخلق لغةً: هو التقدير، واصطلاحاً: الإيجاد من العدم.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كُنتُمْ إِيَّاهُ﴾: وحده. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: لتعريف العبادة ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣). وقدَّم الليل على النهار ؛ لأن الليل (الظلام) هو الأصل.

[٣٨] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾:

﴿فَإِنِ﴾: إن شرطية تفيد الشك والاحتمال.

﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: استكبروا أظهروا الكبر، واستكبروا عن الطاعة لله والإيمان به والسجود له والكف عن الشرك به وعبادة الشمس والقمر. فدعهم وشأنهم ليس الله بحُجَّة لسجودهم أو عبادتهم. والكبر يعني إظهار عظم الشأن ورفع النفس فوق ما تستحق. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: الفاء جواب الشرط. الذين: اسم موصول يفيد المدح أي: الملائكة لا يستكبرون عن عبادته والعندية هنا تعني المكانة وليس المكان، تشريف لهم وكرامة.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: التسبيح يعني: الصلاة ويعني الذكر مثل الحمد والتسبيح والتكبير الدائم؛ لأن المعرفة (الليل والنهار) تدل علىٰ دوام التسبيح.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾: وحده سبحانه، اللام لام الاختصاص والتسبيح، يعني تنزيه الله من كل عيب ونقص وشريك.

ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (١) وسور الحديد آية (١) للبيان.

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: الباء: باء الإلصاق والتوكيد، أيْ: علىٰ الدوام.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: لا: النافية- يسأمون: يملون عبادته وتسبيحه من السآمة وهي الملالة والضجر مما يُكرَّرُ فعله، وسام الشيء ملَّه.

❖ ❖ ❖

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ
وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

سورة فصلت [الآيات ٣٩ - ٤٦]

[٣٩] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٧) للبيان.

﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: ساكنة يابسة هامدة.

﴿فَإِذَآ﴾ الفاء: للترتيب والتعقيب. إذا: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾: ماء المطر.

﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: الهز: هو التحريك الشديد، وربت: زاد حجمها وانتفخت من ربا الشيء يربو، أيْ: زاد ونما.

ولفهم معنىٰ اهتزت وربت لا بُدَّ من اللجوء إلىٰ التفسير العلمي الجيولوجي، ولنعلم أن التربة لهـا أنواع منها التربة الصلصالية، والرملية السـطحية وغيرها، وكل نوع له تفاعلات كيمياوية خاصة به. فالطبقة السـطحية للأرض أو الغلاف الأرضي يتكون من مواد عضوية تشـكل ٣٠٪ مثل أوراق الشـجر والأخشاب والمواد المتحللة ومواد غير عضوية من فتات المعادن (تفكك الصخور بواسطة عوامـل التعرية يؤدِّي إلىٰ تكون طبقة رقيقة مـن فتات المعادن): وهي مواد غير عضوية مثل كربونات الكالسيوم والمغنزيوم وأكسيد الحديد وأيضاً بكتريا التربة وحبيبات الصلصال.

فالاهتزاز يحدث لأن حبيبات التربة المركبة من صفائح بعضها فوق بعض إذا نزل الماء عليها تكونت شحنات كهربائية موجبة وسالبة بينها إذن الماء يسبب التأين بين الشوارد الموجبة والسالبة، والتأين يؤدي إلى اهتزاز الحبيبات بسبب الشحنات الكهربائية التي تتولد بين المعادن المركبة لذرة التراب، ويحدث الاهتزاز بسبب دخول الماء إلى الحبيبات وبين الصفائح ؛ لأن الماء يؤدِّي إلى إثارتها كهربائياً مما يجعلها تهتز. وإذا دخل الماء إلى الصفائح، ربت: نمت ازداد حجمها، وكذلك يؤدِّي الماء إلى النشاط في البكتريا.

ارجع إلى سورة الحج آية (٥) للمقارنة والبيان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا﴾: أيْ: أحيا الأرض بعد موتها، إن للتوكيد.

﴿لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۖ﴾: اللام للتوكيد، محيي الموتى يوم البعث. ارجع إلى سورة الروم آية (١٩) وإلى سورة فاطر آية (٩) للبيان المفصل.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) للبيان.

[٤٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِىٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُلۡحِدُونَ﴾: من الإلحاد. من ألحد، أيْ: مال من القصد والاستقامة وألحد في دين الله، أيْ: حاد عن دين الله وعدل عنه.

والإلحاد: في اللغة الميل عن الاستقامة.

والإلحاد يشمل الإنكار، إنكار وجود الله أو أسمائه أو صفاته.

﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: يميلون عن آياتنا بالتكذيب والطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾: لا: النافية، يخفون: أيْ: نحن نعلمهم أين هم وما يعملون، وما يكنون في صدورهم، أو يخفون من المكر والكيد. والإخفاء يكون للأمور المادية والمعنوية.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾: هذا وعيد لهم. أيْ: سنجازيهم على إلحادهم بإلقائهم في نار جهنم.

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة للاستفهام بمعنى التقرير.

﴿يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾: بسبب كفره وإلحاده واتِّباعه الباطل.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل وأحسن.

﴿أَم مَّن﴾: أم: للإضراب الانتقالي، من: للاستفهام.

﴿يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أيْ: غير خائف بسبب إيمانه وتوحيده وعبادته.

قيل: نزلت هذه الآية في:

أبو جهل (يلقى في النار) وأبو بكر الصديق (يأتي آمناً).

أبو جهل (يلقى في النار) وعمار بن ياسر (يأتي آمناً).

الكافر (يلقى في النار) والمؤمن (يأتي آمناً).

ثم أكَّد سبحانه التهديد للكفرة والملحدين بقوله:

﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾: أيَّ شيء تريدون عمله من خير أو شر ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. وقد يظن، أو يستعمل البعض هذه الآية للدلالة على الإباحة، وهي ليست كذلك؛ فالله سبحانه: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزمر: ٧]، فالآية جاءت للهداية والإنذار.

ما: مصدرية، أو اسم موصول. (ما) تستعمل للشيء غير المحدد وتستعمل للمفرد والمثنى والجمع.

﴿ٱعۡمَلُواْ﴾: فعل أمر يراد به هنا التهديد والوعيد، وليس الإباحة كما قلنا، فلا يظن أحد أن الله سبحانه أباح لأيِّ إنسان بأن يعمل ما يشاء ولا يحاسب على عمله، كما قال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧].

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: إنه للتوكيد، وهاء الضمير تعود إلى الله سبحانه.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق. ﴿تَعۡمَلُونَ﴾: من خير أو شر. ﴿بَصِيرٞ﴾: عالم بأعمالكم ومطلع عليها.

قدَّم تعملون على بصير؛ لأن الآية في سياق الأعمال، والجملة بما تعملون جملة تعليلية تتضمن الوعيد والتهديد.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾: بالقرآن لم يصدِّقوا به وجحدوا أو ألحدوا في آياته.

﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾: لما: ظرفية زمانية. أيْ: حين جاءهم.

خبر إن هنا إما محذوف وتقديره: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم

(سيجازون أو سوف يجازون على كفرهم) أو هالكون أو لهم نار جهنم. أو خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ﴾: إنه: توكيد لكتاب، اللام لام الاختصاص، والكتاب هو القرآن أو الذكر، وسمي كتاباً لأنه مكتوب في الأسطر.

﴿عَزِيزٌ﴾: منيع أو عزيز على الله، أيْ: له مكانته ومكرَّم عند الله تعالى ومحفوظ لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

[٤٢] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾:

﴿لَّا﴾: النافية لكل الأزمنة. ﴿يَأْتِيهِ﴾: لا يعتريه أو يصيبه أو يلحق به.

﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: لغة: ما لا وجود له ولغة هو الزائل أو الذاهب، وهنا في هذه الآية يعني: الزيادة أو النقصان أو التغيير والتبديل والتحريف، أو ما ليس له دليل.

﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: من ابتدائية بين يديه، أيْ: لن يصيبه تحريف أو تغيير أو تبديل لا في الزمن القادم المستقبل (أو بالعكس في الزمن الماضي).

﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾: ولم يصبه تحريف أو تغيير أو تبديل في الزمن الماضي (أو بالعكس في المستقبل) لأن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾: ﴿تَنزِيلٌ﴾: أيْ: منزلٌ، من: ابتدائية.

﴿حَكِيمٍ﴾: في أفعاله وتدبيره لخلقه وكونه، فهو أحكم الحكماء وهو أحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩).

﴿حَمِيدٍ﴾: أي: المحمود على الدوام والمستحق للحمد على الدوام؛ لأنه صاحب الخير والإحسان والإنعام على خلقه.

ارجع إلى آية (١) من نفس السورة وسورة الزمر آية (١) للبيان.

[٤٣] ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿مَّا﴾: النافية.

﴿يُقَالُ لَكَ﴾: من هؤلاء كفار مكة ومشركيها من تكذيب وأقوال وباطل وجدال، وساحر ومجنون وكاهن، أو شاعر أو القرآن سحر أو شعر، أو افتراء أو اختلاق، أو أساطير الأولين، وغيرها من الأقاويل.

﴿إِلَّا﴾: حصراً وقصراً.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي، قيل: و(ما) أكثر شمولاً وعموماً من الذي.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتوكيد.

﴿قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾: اللام للاختصاص.

﴿مِن قَبْلِكَ﴾: من: ابتدائية استغراقية. فإن أقوامهم كانوا يقولون لرسلهم مثلما يقال لك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: إن واللام في (لذو) تفيدان التوكيد. ذو: صاحب مغفرة، وذو: أشرف من صاحب. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٨٧) للبيان.

صاحب مغفرة لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، والمغفرة تشمل ستر الذنب وترك العقاب.

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: وذو ولم يقل: ولذو عقـاب أليم؛ لأن رحمته غلبت غضبه ووسعت كل شيء.

ذو عقاب أليم: لمن مات كافراً ولم يتب.

لم يقل: ولذو عقـاب أليم: لم يؤكِّد على العقاب الأليـم حثاً على التوبة والعودة والإنابة إليه، كما أكَّد على كونه ذو مغفرة.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو استئنافية: لو: شرطية.

﴿جَعَلْنَاهُ﴾: أيْ: لو فرضنا أننا أنزلنا هـذا القرآن بلغة غير لغة العرب لحق للعرب أن يقولوا لأنفسـهم: ما أنزل إلينا أعجمياً واتخـذوا ذلك عذراً لهم في الإعراض عنه.

﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: بغيـر لغة العرب. أيْ: لو جعلنا هـذا القرآن، أي: الذكر الذي أنزل عليك أعجمياً؛ والأعجمي: يطلق على الكلام الذي لا يفهمه العربي أو يطلق على الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أيِّ جنس كان ولو كان عربياً.

﴿لَّقَالُوا﴾: اللام للتوكيد. قالوا: تعود على هؤلاء الكفار أو المشركين.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حضٍّ وحثٍّ.

﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣) من نفس السورة (فصلت). هلا بيِّنت آياته بلغة عربية نفهمها.

﴿ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾: استفهام إنكاري.

أكتاب أعجمي ونبي عربي، أيْ: لو كان كذلك لكان حُجَّة لتكذيبهم أو مدعاةً لتكذيبهم به وعدم تصديقهم به، وهم في الحقيقة لا يريدونه لا عربياً ولا أعجمياً ؛لأنهم ينكرونه أصلاً ولا يؤمنون به. كما قال عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٩٨-١٩٩].

ثم يبيِّن الله سبحانه مهما كانت لغته عربية أو أعجمية.

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله لهؤلاء الكفار والمشركين:

﴿هُوَ﴾: أي: القرآن أو الذكر ضمير يفيد التوكيد والحصر.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾: من الضلال، هدىٰ للذين آمنوا، أيْ: مصدر هدىً أو يهدي الذين آمنوا للحق وللغاية. وهي رضوان الله تعالىٰ والسعادة في الدارين.

﴿وَشِفَآءٌ﴾: للصدور من الشكوك والريبة وشفاء تعني: كذلك وقاية من أمراض النفاق ومن الأمراض العضوية والنفسية والمعاصي وشفاء من الجهل والريب والشبهة والشك.

وقد تبيَّن أن الأمراض النفسية تؤدِّي إلىٰ تثبيط الجهاز المناعي في الإنسان ؛ مما يؤدِّي إلىٰ نقص في محاربة البكتريا والالتهابات ونقص في محاربة

السرطانات وغيرها، وكذلك الأمراض النفسية مثل الغضب والقلق يؤدِّي إلىٰ تقبض الأوعية الدموية مثل الشرايين القلبية، ويؤدِّي إلىٰ الإصابة بأمراض القلب وغيرها. فالقرآن شفاء لما في الصدور من الأمراض النفسية والعضوية معاً.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، ولا يؤمنون بالقرآن.

﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثقل أو نقص في السمع مانع يمنعهم عن الاستماع والإنصات إلىٰ القرآن وتدبُّر معانيه وإذا سمعوه لا ينتفعون به.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: علىٰ تفيد الاستعلاء، أيْ: معميٌّ علىٰ بصائرهم فهم لا يفهمون معانيه وآياته، ولا ينتفعون بها كأنهم أعموا أبصارهم، فلا يريدون سماعه ولا رؤيته ولا ذكره.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد تعود علىٰ الذين لا يؤمنون به.

﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: أيْ: هم يشبهون كحال المنادىٰ عليه من مكان بعيد فهو لا يسمع ولا يفهم ما يُنادىٰ به عليه دليل علىٰ مدىٰ إعراضهم والبعد عنه.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾:

المناسبة: في هذه الآية يُبيِّن الله سبحانه أن التكذيب بكتب الله أمرٌ ليس

بجديد، فهو عادة قديمة، ومثال على ذلك موسى فما يحدث لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث لموسى عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية. لقد: اللام للتوكيد قد: للتحقيق، أيْ: قد حدث وحصل.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراة لمعرفة معنى الإيتاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أيْ: هناك من صدَّق بالتوراة من قوم موسى، وهناك من كذب به أو هناك من آمن ببعض وكفر ببعض. كما اختلف قومك في القرآن، فمنهم من قال: سحر أو مفترى أو أساطير الأولين وغيرها.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: لولا: شرطية، ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير الحساب والعذاب لهؤلاء المكذبين إلى يوم القيامة. كلمة ربك تعني كذلك: الحكم.

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، قضي بينهم في الدنيا، أيْ: لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر والهزيمة أو الهلاك بالطاغية أو الصيحة أو الصاعقة. وانتهى الأمر.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: للتوكيد تعود على كفار قريش، ﴿لَفِى﴾: اللام لزيادة التوكيد.

﴿شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: شك من القرآن أنه منزل من عند الله. وهذا الشك مصحوب باتهام أنه إفك مفترى، أو أعانه عليه قوم آخرون، أو أساطير الأولين أو شعر أو سحر، وإنما يعلمه بشر، وهكذا.

مريب: مشتقة من الريب وهو الشك والتهمة معاً.

[٤٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾:

﴿مَّنْ﴾: شرطية، ﴿عَمِلَ صَٰلِحًا﴾: العمل يشمل القول والفعل فالقول الطيب أو العمل الصالح مهما كان يعود بالنفع على صاحبه.

﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: الفاء: جواب الشرط واللام للتوكيد. لام الاستحقاق والاختصاص. أيْ: ثواب العمل الصالح يعود بالفائدة على العبد.

﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾: من: شرطية، أساء على نفسه بالقول الفاحش والقبيح والفعل السيِّئ فوبال وجزاء ذلك يعود عليه ويحمل وزره وحده. واستعمل (اللام) في كلمة فلنفسه التي تدل على الاستحقاق والفائدة، واستعمل (على) التي تفيد المشقة والعلو العقاب في كلمة فعليها.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٢) للبيان.

❖ ❖ ❖

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ ۖ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

سورة فصلت [الآيات ٤٧ - ٥٤]

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾:

سبب النزول: أن اليهود أو قريشاً سألوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أخبرنا عن الساعة إن كنت رسولاً، كما تزعم. فنزلت هذه الآية ردّاً علىٰ سؤالهم كما قال مقاتل وروىٰ الطبري.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، أيْ: إليه وحده يرجع علم الساعة (أيْ: متىٰ تقوم الساعة).

وعلم الساعة لا يعلمه إلا الله عز وجل، والساعة هي لحظة تهدم النظام الكوني الحالي. وتختلف عن يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، أيْ: يوم البعث وخروج الناس من قبورهم.

وليس فقط يعلم الساعة، بل يعلم ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ الأكمام: جمع كم وكم الثوب مخرج اليد، أي: المواضع التي كانت مستترة فيها وغلاف كل شيء كُمُّه، أيْ: يعلم سبحانه كل ثمرة تخرج من وعائها ووقت ظهورها.

﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾: من استغراقية.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾: من أنثىٰ: من استغراقية تحمل من ذكر أو أنثىٰ أو توءَم أو غيرها.

ويعلم ما تحمل من أنثىٰ: تشمل كل جنس من الإنس والجن والحيوان والنبات، وما تحمل ومتىٰ تضع وشكله وأوصافه ولونه، تام الخلق أم لا.

﴿وَلَا تَضَعُ﴾: زمن الولادة ومكان الولادة ولا تضع إلا بأمره وعلمه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾: الباء للإلصاق واللزوم.

وتكرار (وما) يفيد التوكيد. وما تنفي الحال عادة ولا تنفي الاستقبال. فهذه الأمور الثلاثة يجب ردُّها إلىٰ الله سبحانه، فهي نوع من علم الغيب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: يوم مفعول به لفعل محذوف تقديره: واذكر يومَ يناديهم.

وقد يسئل سائل: ما مناسبة ذكر هذا الجزء من الآية؟ فبما أن الله سبحانه يُخبر أن علم الساعة لا يعلمه إلا هو. أراد سبحانه أن يذكرهم بما يحدث في ذلك اليوم، فقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: أيْ: يوم القيامة، يناديهم: أيْ: ينادي المشركين.

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾: أين: استفهام عن المكان استفهام مجازي، فهو سبحانه يعلم مكانهم حقيقة، وإنما هو للتبكيت والتقريع.

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم شركاء لله تعالىٰ تزعمون في الدنيا وتزعمون من زعم: وهو قول بلا دليل، وأكثر ما يقع في الباطل.

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّكَ﴾: أعلمناك الآن.

﴿مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾: ما: النافية، منا من: استغراقية، أيْ: لا أحد منا يشهد أن لك شريكاً. وشهيد صيغة مبالغة لشاهد، ولم يقولوا: ما منا من شاهد. الشهيد: هو الذي يعلم بواطن الأمور وظواهرها.

ارجع إلى سورة المجادلة آية (٦) لمزيد من البيان، وسورة البقرة آية (١٣٣) لمعرفة الفرق بين الشاهد والشهيد.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾:

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: أيْ: غاب عنهم ولم يحضر لنصرتهم أو شفاعتهم.

﴿مَّا﴾: للعاقل وغير العاقل نكرة.

﴿كَانُوا يَدْعُونَ﴾: ما كانوا يدعون: يعبدون.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أيْ: في الدنيا.

﴿وَظَنُّوا﴾: الظن هنا بمعنى اليقين (أو الظنِّ الراجح) أو الظن يراد به العلم، أيْ: وعلموا ما لهم من محيص.

﴿مَا لَهُم﴾: ما: النافية، لهم: خاصة لام الاختصاص، ﴿مِّن﴾: استغراقية، أيْ: مخرج أو منفذ يهربون منه أو ملجأ يلجؤون إليه.

﴿مَّحِيصٍ﴾: مهرب أو منفذ من حاص يحيص إذا هرب.

[٤٩] ﴿لَا يَسْـَٔمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾:

﴿لَا يَسْـَٔمُ الْإِنسَانُ﴾: لا النافية لجميع الأزمنة. ولا يمل ولا يفتر والسآمة: هي الملالة والضجر.

﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾: من: ابتدائية، دعاء الخير: طلب العفو والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار والسعة في الرزق والصحة والعافية والعلم والذرية الصالحة.

﴿وَإِن﴾: شرطية تدل على الاحتمال والافتراض.

﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: المس هو أقل اللمس مجرد المس. أو اللمس الخفيف. والشر: الشدة والمرض أو البلاء أو الفقر.

﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾: الفاء: جواب الشرط، يؤوس: منقطع رجاؤه من حصول الخير، أيْ: ظن أن ما أصابه من شر لن يزول وأصابه القنوط: وهو أشد اليأس.

وأما الخيبة: فهي انقطاع نيل الأمل والخائب المنقطع أمله.

[٥٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:

﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: عاطفة، لئن: اللام لام التوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض، بينما لو قال: وإذا التي تدل على حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾: ولئن آتيناه أو أنعمنا عليه وفرَّجنا عنه كربه، أو أغنيناه من بعد فقر، أو شفاء بعد مرض، أو أنزلناه منزل جاهٍ بعد ذلٍّ.

والفرق بين أذقناه وأنعمنا عليه: الإذاقة تكون في الخير والشر والرحمة والضر، أما أنعمنا فتكون فقط في الخير.

﴿رَحْمَةً﴾: نكرة تشكل كل أنواع الرحمة، والرحمة تعني: جلب ما يَسُرُّ ودفع ما يَضُرُّ.

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: ولم يقل: رحمة من عندنا، أو من لدنا؛ لأن رحمة منا تعني: رحمة عامة تعم كل المخلوقات، والصالح والطالح، بينما رحمة من عندنا: تخص أو تأتي في سياق المؤمنين، ورحمة من لدنا: تأتي في سياق الرسل والأنبياء والمقربين خاصة إلى الله سبحانه.

﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: الضراء ما يصيب المجتمعات، وبالتالي الفرد من زلازل وبراكين وأوبئة أو حرائق أو عواصف.

الضُّر: يكون مقصوراً على النفس أو ما يصيب الفرد.

وأما الضَّر: ضد النفع.

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾: اللام لام التوكيد، والنون في يقولنَّ لزيادة التوكيد.

﴿هَٰذَا لِي﴾: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة، أيْ: ما حصل من فرج أو تغير في الحالة من فقر إلى غنى، أو مرض إلى صحة وعافية، أو ما حصل له من جاه بعد ذلٍّ.

﴿هَٰذَا لِي﴾: أيْ: هذا شيء أستحقه بسبب ما فعلته بجهدي وتفكيري وقدرتي على كذا وكذا أو ذهابي إلى الطبيب، أو بسبب ما قمت به من وقاية مثل تركت المكان أو التجأت إلى كذا أو هو إكرام من الله لي، ومن بطر النعمة يغفل عن شكر المنعم، وينشغل بالنعمة، ولا يعلم أنه ابتلاء واختبار من الله تعالى.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: ولا يكتفي بالقول هذا لي، بل يتعدَّىٰ ذلك إلىٰ القول: لا حساب لا جزاء، لا بعث ولا آخرة، أيْ: ينكر كل ذلك بما فيها الساعة.

﴿وَلَئِن﴾: اللام للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك. أيْ: في حال أن هناك حساباً ورجوعاً إلىٰ ربي، ولم يقل: وإذا؛ ارجع إلىٰ مطلع الآية لمعرفة الفرق بين لئن وإذا.

﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي﴾: للتوكيد، ﴿عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾: أي: الجنة واللام في للحسنىٰ: لام الاختصاص والاستحقاق، أي: استحق الجنة؛ لأن الله راض عني أو سيعطيني كما أعطاني في الدنيا.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أيْ: يوم القيامة لننبئنَّ الذين كفروا: لننبئنَّ من النبأ، وهو الخبر العظيم، أيْ: لنخبرنَّهم بالخبر العظيم. واللام والنون في لننبئنَّ: للتوكيد وزيادة التوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والإلزام، ما: اسم موصول بمعنىٰ الذي عملوا أو مصدرية بأعمالهم وما تفيد العموم والشمول كل شيء عملوه.

﴿عَمِلُواْ﴾: في الحياة الدنيا من الآثام والذنوب والسيئات والشرك والكفر.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾: الواو عاطفة واللام والنون في لنذيقنهم للتوكيد وزيادة التوكيد.

﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: من: ابتدائية، عذاب غليظ: نوع من أنواع العذاب ومنها الشديد والمهيمن والعظيم والغليظ، وقد يعني المضاعف.

[٥١] ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾:

﴿ وَإِذَآ ﴾: الواو عاطفة، إذا شرطية تعني حتمية الحدوث وكثرة الإنعام على العباد.

﴿أَنْعَمْنَا﴾: عليه برغد العيش أنعمنا عليه بالمال والولد، وبأسباب الخير من صحة ورزق وجاهٍ، وغيره.

﴿أَعْرَضَ﴾: عن شكر المنعم وتقاعس أو أهمل طاعة الله وعبادته.

ونأى بجانبه كقوله: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ [الحج:٩]، والعطف هو الجانب والجانب هو الناحية والمكان. ونأى بجانبه: أيْ: تكبَّر عن عبادة الله وابتعد بنفسه قليلاً قليلاً، ولم يَعُدْ يمتثِّل أوامر الله ويتجنَّب محارمه. بسبب كونه مشغولاً بالنعمة وناسياً ذكر الله وطاعته.

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: المس هو أخف اللمس يعني: أصابه الشر إصابة طفيفة لا تُذكر مثل المرض العارض أو نقص في المال أو الأهل.

﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: ذو: صاحب، دعاء عريض: أيْ: طويل. والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، في الدعاء تعني: أطال الدعاء وأكثر فيه.

[٥٢] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾:

﴿ قُلْ ﴾: له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير. والمخاطب الكفار والمشركون المكذبون بالقرآن.

أرأيتم: الرؤية هنا رؤية قلبية فكرية.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الافتراض، أيْ: لنفرض أن القرآن كان من عند الله وكفرتم به.

﴿كَانَ﴾: أي: القرآن.

﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: منزلاً من عند الله تعالىٰ، أيْ: تحقَّق وتبيَّن لكم يقيناً أنه منزل من عند الله.

﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾: بعد العلم اليقين أنه منزَّل من عند الله، ثم تفيد الاستبعاد.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: أيْ: تبيَّن لكم أنه الحق من ربكم وكفرتم به، من سيكون أضل منكم. من: استفهام للتوبيخ والتهكم، أيْ: لا أحد أكثر ضلالاً منكم وكفراً وبعداً عن الحق وعداوة ومحاربة لدين الله.

﴿فِى شِقَاقٍ﴾: في مخالفة ومعاداة لله تعالىٰ من الشق وهو الجانب؛ لأن كل واحد من الفريقين يكون في شقٍّ غير شقِّ الآخر.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية (٥٢) من سورة فصلت وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: والآية (١٠) من سورة الأحقاف وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

آية فصلت تعني: إذا تبيَّـن لكم أن القرآن - علماً يقينياً بعد زمن طويل من التجارب والاكتشافات والآيات الكونية والأدلة والبراهين- أنه منزَّل من عند الله وكفرتم به، ثم في هذه الآية تعني: التراخي في الزمن.

آية الأحقاف تعنـي: إذا تبيَّن لكم أن القرآن أنه منزل من عند الله وشـهد علىٰ ذلك شـاهد من بني إسـرائيل. قيل: هو عبد الله بن سلام علىٰ مثله، فآمن واستكبرتم.

في آية فصلـت إذا كفرتم بعد الأدلة والتجارب أنتـم أضل الضالين، أيْ: ليس هناك من هو أضل منكم علىٰ الإطلاق.

أمـا في آية الأحقـاف فأنتم مـن الظالمين لقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

فآية فصلت أشـدُّ، أيْ: درجة كفر الكافرين في آية فصلت أشـدُّ بكثير من درجة كفر الظالمين في آية الأحقاف.

[٥٣] ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾:

﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾: السين للاستقبال القريب، أيْ: سـنريهم في الحياة الدنيا والمخاطـب في هذه الآية الكل عامة وخاصة الكفار المكذبين بالقرآن وضعاف الإيمان وغير المؤمنين.

﴿ءَايَٰتِنَا﴾: الكونية، ولم يقل: سنريهم الآيات، وإنما قال: آياتنا: لعظمة هذه الآيات وأهميتها نسبها سبحانه إليه واستعمل صيغة الجمع للتعظيم.

﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: جمع أفق وتعني: أقطار السموات والأرض، في الكون ونشأته والأرض والسماء وعلوم الفلك وعالم النبات والحيوان.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أيْ: في خلق الإنسان وتطوره ونشأته. وسيرونها قبل أن يؤمنوا أو بعد أن يؤمنوا، وسيستمر ذلك إلىٰ يوم القيامة.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾: أنه: للتوكيد، الحق: أي: القرآن هو الحق وما دعاكم إليه الرسول صلىٰ الله عليه وسلم.

والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغيَّر ولا يتبدل.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ﴾: الهمزة همزة استفهام وتعجُّب وتقرير.

﴿بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: أيْ: مطلع إلىٰ ظاهرهم وباطنهم وعلىٰ أقوالهم وأفعالهم في السر والعلن، وشهيد علىٰ ما يفعلون وكفىٰ بالله شهيداً.

ارجع إلىٰ سورة المجادلة آية (٦) للبيان، والبقرة آية (١٣٣).

لنقارن هذه الآية (٥٣) من سورة فصلت وهي قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ مع الآية (٩٣) من سورة النمل، وهي قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

آية فصلت سنريهم، آية النمل سيريكم: سنريهم لمن جاؤوا من قبلكم للأجيال الماضية، وسنريكم أنتم ومن يجيء بعدكم.

في سـورة فصلت بيَّنت نوع الآيات (في الآفاق وفي أنفسـهم) في سورة النمل الآيات بشكل عام (الكونية وفي أنفسهم والقرآنية والمعجزات).

[٥٤] ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾:

﴿أَلَآ﴾: أداة استفتاح وتنبيه.

﴿إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك من البعث والحسـاب ولقاء ربهم ويوم القيامة بعد ما تبيَّن لهم الحق والمراء هو الجدال بعد ظهور الحق.

﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: يوم القيامة.

﴿أَلَآ﴾: تكرار ألا تفيد التوكيد.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء للإلصاق، كل: للتوكيد.

﴿شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾: بعلمه وقدرته محيط بخلقه وكونه محيط بكل شيء باطنه وظاهره لا تخفى عليه خافية.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الشُّورَىٰ

ترتيبها ٤٢ آياتها ٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ
وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي
الْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ
إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

سورة الشّورى [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٤٢) وترتيبها في النّزول (٦٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿عٓسٓقٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٣] ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: أي: مثل ما يوحي إليك الله سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إلىٰ الّذين من قبلك من الرّسل وسائر الأنبياء، ويوحي بصيغة المضارع تدل علىٰ التّجدد والتّكرار، والوحي لغة: الإعلام بخفاء، وشرعاً: هو ما يُلقي الله إلىٰ أنبيائه ورسله من تكاليف وتعاليم دينية وآيات بطريق الوحي جبريل عليه السّلام. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿ٱللَّهُ﴾: الله: الاسم الدّال علىٰ الذّات الإلهية الّذي تفرد به الحق سبحانه واختصه لذاته العلية، وهو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال والدّال علىٰ أنّه المعبود وحده.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الّذي يَغلب ولا يُغلب ويَقهر ولا يُقهر القوي الممتنع.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه وكونه وشرعه، الحكيم: من الحكمة فهو أحكم الحكماء، والحكيم من الحكم فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٤] ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لام لاختصاص أو الملكية، وتقديم له يعني حصراً وقصراً له ما في السّموات السّبع وما فيهن وما في الأرض نفسها وما فيها، له ما في السّموات والأرض مُلكاً وخلقاً، وهذا يدل على أنّه لا شريك له في خلق السّموات والأرض ولا مُلكهما، وتكرار (ما في) يفيد التّوكيد وفصل كلّ من السّموات والأرض على حدةٍ أو كلاهما معاً.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلْعَلِىُّ﴾: علو الجلال والكمال، العلي بسلطانه وقدرته وعرشه وعلمه، العلي بذاته وصفاته وأسمائه يعلو كلّ مخلوق وكلّ شيء تحته.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صيغة مبالغة من العظم والعظيم بقدرته وصفاته، والعظم هو الفخامة والعز والمجد والكبرياء، لا يدرك أيّ عقل عظمته ورفعته وجلاله، رب العرش العظيم، ذكر هذا الاسم (٦) مرات في القرآن العظيم في آية الكرسي، وهذه الآية، والواقعة الآيتين (٧٤-٩٦) والحاقة الآيتين (٣٣-٥٢).

[٥] ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿تَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشققنّ أو يتصدعن:

١ - من عظمة وهيبة الله مالكهن ومدبرهن.

٢ - أو من قول المشركين: اتخذ الله ولداً.

٣ - أو لكثـرة ما عليهن من الملائكة كمـا ورد في حديث أبي ذر، والذي رواه الترمذي قال: قال رسـول الله ﷺ: «أطَّت السّـماء وحق لها أن تئط من ما فيها موضـع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته سـاجداً لله تعالىٰ»، والمعنىٰ: أطبقت السماء عن عظمة رب العالمين، أو ثقلت السماء من كثرة الملائكة.

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾: من للابتداء، فوقهن: أي كلّ سـماء تنفطر فوق الّتي تليها، أي يبدأ الانفطار في السّـماء السّابعة فالسّادسة فالخامسة وهكذا، أو يتفطرن من فوقهن (أي الأرضين).

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يسـبحون بحمد ربهـم: ينزهون الله تعالىٰ من كلّ عيب ونقص وشـريك وولد، التّنزيه: هو الثّناء، يسـبحون بشكل مستمر متواصل بلا انقطاع، والحمد لله هو الشّكر. ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة الفاتحة لبيان معنىٰ الحمد، وسورة الإسراء آية (١)، والحديد آية (١) لبيان معنىٰ يسبحون.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي لعامـة المسـلمين، وغيرهم من أهل التّوحيد ولمن آمن بالله رباً وإلهاً، واللام في لمن: لام الاختصاص، ومن: بعضية بعض من في الأرض وهم المسـلمون بالله رباً وإلهاً ولا يستغفرون للمشركين والكافرين.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه واستفتاح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعول، من: غفر؛ أي كثير الغفر وهو السّتر؛ أي يستر الذّنوب ويمحوها ويعفو عنها، ومهما عمل المكلفون من أعمال صالحة يبقون مقصرين فهم بحاجة إلى مغفرة ورحمة. وغفور للذنوب الكبيرة إذا تاب العبد وأناب إلى ربه وغفار للذنوب الكثيرة.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل، أي كثير الرّحمة لعباده المؤمنين. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان.

ولمقارنة هذه الآية (٥) من سورة الشّورى وهي قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والآية (٧) من سورة غافر وهي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ارجع إلى سورة غافر الآية (٧) للبيان والمقارنة.

[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: من دون الله سبحانه؛ أي: من غير الله، أو سواه. اتخذوا: شركاء لله تعالى. الّذين: اسم موصول يفيد العموم، اتخذوا من دونه أولياء: أي يعبدونهم، أو ليقربوهم عند الله زلفى أو ليشفعوا لهم أو لمساعدتهم، من: استغراقية تستغرق كلّ الأولياء الآلهة والأصنام وعيسى وعزيراً.

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي الله رقيب على أقوالهم وأفعالهم؛ أي: عليم بها يحفظها ويحصيها لهم؛ ليحاسبهم عليها.

﴿وَمَآ أَنتَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية، والخطاب لرسول الله ﷺ.

أنت: للتّوكيد.

﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: بموكّل للدّفاع عنهم أو مسؤول عن أعمالهم وهدايتهم،

ارجع إلىٰ سورة الأعراف الآية (٨٩) لبيان معنىٰ الوكيل والتوكل، فقط عليك البلاغ المبين، الباء (بوكيل) للإلصاق والتّوكيد. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان.

[٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: أي كما أوحينا إليك هذا القرآن أوحينا إلىٰ الرّسل من قبلك التّوراة والإنجيل والزّبور والصّحف، أوحينا: ارجع إلىٰ الآية (٣) للبيان، وسورة النساء آية (١٦٣). أو: كما أنزلنا الكتب السّماوية السّابقة التّوراة والإنجيل والزّبور والصّحف أنزلنا إليك قرآنا عربياً.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: سمي قرآناً: لأنّه يقرأ من السّطور والتّلقي، عربياً: بلغة عربية، بلسان قومك.

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: اللام للتعليل، تنذر أم القرىٰ؛ الإنذار: هو الإعلام (والتبليغ) والتحذير والتخويف؛ أي: تنذر أهل مكة من عدم مخالفة أوامر الله وتنذره من النّار والعذاب، وسميت أم القرىٰ: لأنّها هي الأصل والأم لكلّ قرية أخرىٰ علىٰ الأرض، ولها أسماء مثل بكة والبلد الأمين، وتسميتها بأم القرىٰ؛ لأنّها كانت أول جزيرة بركانية ظهرت علىٰ قشرة الأرض ثم مدّت الأرض من حولها تدريجياً، حتىٰ شكلت القارة الأم الّتي تشققت إلىٰ القارات الحالية بشبكة من الصدوع الّتي أزاحت القارات عن بعضها كما نراها الآن. فهي أول قرية تشكلت علىٰ اليابسة وهي تقع وسط اليابسة، وكذلك فيها أول بيت وضع للناس فهي أم القرىٰ من حيث النشأة ومن حيث الفضيلة. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٩٢) لمزيد من البيان.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: من: استغراقية تشمل كلّ القرىٰ حولها، الحول هو المحيط، فكلمة (حولها) تشمل كلّ مكان؛ أي: العرب وسائر النّاس، وخصوا بالذّكر لأنّهم أوّل المنذَرين، والخطاب وإن كان موجهاً إلىٰ رسول الله ﷺ فالمقصود به أمته أيضاً.

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾: تكرار (وتنذر) للتوكيد، يوم الجمع: يوم القيامة، وله أسماء كثيرة منها يوم الحشر والجمع والقيامة والتّناد، والفصل والخروج والتّغابن، والصّاخة والحاقة والطّامة وغيرها. وسمي يوم الجمع؛ لأنّ الله سبحانه يجمع فيه الأولين والآخرين من الخلائق كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات:٣٨].

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا: النّافية، ريب فيه: الرّيب: الشّك والتّهمة؛ لأنّهم يشكون في قيامه ويكذبون رسول الله ﷺ وآيات الله.

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: بعد الجمع يحصل الحساب والجزاء والقضاء، ثم الفصل والتّفرق: يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السّعير.

[٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: الواو استئنافية، لو شرطية.

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل، لجعل النّاس جميعاً علىٰ دين واحد وشريعة واحدة.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: أي يدخل هؤلاء الّذين اختاروا طريق الطّاعة

والإيمان بالله وبرسله، في رحمته: في دينه ورحمته ويزيدهم هداية وتوفيقاً لطاعته.

﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المشركون والظّالمون لأنفسهم بارتكاب الكفر والشّرك والمعاصي والذّنوب.

﴿مَا لَهُم﴾: ما النّافية، لهم: لام الاختصاص والملكية، ما لهم في الآخرة من ولي ولا نصير.

﴿مِّن وَلِيٍّ﴾: من استغراقية تعني: ما لهم أيُّ ولي، أيّ قريب يعينهم ويساعدهم ويتولىٰ أمورهم.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: لا النّافية، نصير: ينصرهم من عذاب الله؛ أي ينقذهم أو يدافع عنهم أو يخفف عنهم أو يشفع لهم. وتكرار (لا) يفيد التّوكيد وفصل كلّ من ولي ولا نصير أو كلاهما معاً؛ أي لا هذا ولا ذاك ولا كلاهما معاً.

في هذه الآية لابد أن نذكر بأنّه حين يقول سبحانه: ما لهم من ولي ولا نصير؛ أي في الآخرة؛ لأنّه في الآخرة تنقطع الولاية والنصرة فلا داعي لذكر من دون الله، وحين يقول سبحانه ما لهم من دون الله من ولي ولا نصير هذه تعني في سياق الدّنيا.

وكذلك لا بدّ أن نقارن هذه الآية (٨) وهي قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ بالآية (٢٥) من سورة الفتح وهي قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: في سورة الشّورىٰ قدّم المشيئة علىٰ الرّحمة، وفي سورة الفتح قدّم الرّحمة علىٰ المشيئة. ارجع إلىٰ سورة الفتح آية (٢٥) للبيان.

[٩] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿أَمِ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿اَتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٦) زاعمين أنّ هذه الآلهة تعينهم أو تنصرهم أو تشفع لهم.

﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾: الفاء للعطف والتّوكيد، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد، الولي: المعين لأوليائه القيّم على أمر أوليائه، وتقدير الآية: أي إن أرادوا ولياً فالله هو الولي الحق ولا ولي في الآخرة إلا هو.

﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: وهو وحده (هو للتوكيد والحصر) الّذي يحيي الموتى للحساب والجزاء. ولمعرفة كيف يتم هذا الإحياء ارجع إلى سورة الرّوم آية (١٩).

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي حصراً على كلّ شيء قدير، وتكرار (هو) يفيد التّوكيد، ولكونه سبحانه هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير كلّ هذه الأدلة تدعو إلى الإيمان به وحده وعبادته وطاعته.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) للبيان.

[١٠] ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما مطلقة للعاقل وغير العاقل.

﴿ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾: أي في أمر من أمور الدّين أو الدّنيا (أحكام الدّين) أو (الخصومات) وغيرها مع بعضكم بعضاً أو مع غيركم من غير المسلمين، من استغراقية، شيء: نكرة تشمل أيَّ شيء مهما كان، وسواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي يجب ردُّ حكمه إلى الله وإلى رسوله (إلى القرآن والسّنة)؛ ليفصل بينكم ويحكم بينكم بالحق.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾: ذلكم: اسم إشارة يفيد التّعظيم واللام للبعد والكاف للمخاطب، الله: أي الإله الحق المعبود واجب الوجود، ربي: الخالق المربّي والولي والرّازق.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: تقديم (عليه) للحصر والقصر؛ أي عليه وحده أتوكل: أي أفوّض أموري إليه وحده في الدّنيا ليساعدني على القيام بها. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) للبيان في معنى التوكل.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: إليه تفيد الحصر والقصر، أنيب: أرجع في معرفة بيان الحكم؛ وتعني: الإسراع في التّوبة، وتعني: أرجِع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ وهديه، وتعني: كثرة الرّجوع إليه.

❖ ❖ ❖

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ
وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ربع الحزب ٤٩

سورة الشّورى [الآيات ١١ - ١٥]

[١١] ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾:

عدد من الصّفات الدّالة على كمال قدرته وعظمته على الخلق، والموصوف بكلّ صفات الكمال، وأنّه الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد وحده ويتوكل عليه وأنّه وحده الرّب الرّزاق.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي ابتدأ خلقهما وأظهرهما للوجود، من انفطر: انشقّ؛ أي المظهر لوجود السّموات والأرض، وقيل: فاطر السّموات والأرض: خالقهما على غير مثال سابق؛ أي لأوّل مرة.

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: الجعل يكون بعد الخلق، جعل لكم من جنسكم من الجنس البشري أزواجاً ذكوراً وإناثاً.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾: من ابتدائية، الأنعام (الضأن والماعز والإبل والبقر) أزواجاً ذكراً أو أنثى، أزواجاً للتكاثر.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: الذّرء: يعني التّزاوج بالتّكاثر، يذرؤكم: يكثركم بالتّزاوج فيه: تعود على الذّرء؛ أي: التّزاوج.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ليس للنفي، كمثله: الكاف لتوكيد النّفي والتّشبيه فجاء بأداتين لنفي الشبه، أو المثلية هما ليس والكاف؛ أي ليس مثله شيء، لا نظير لا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله وحكمته وقدرته وعلمه وخلقه، فهو

لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا يشبهُ أحد، فهو الواحد الأحد ليس كمثله شيء ولو من شيء بعيد أو قريب أو مهما كان، فهذه الآية تنزّه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقين؛ أي: خلقه، ولا ننسى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقالوا كل ما يُقال له شيء موجود سبق وجوده عدم والله سبحانه هو الأول والآخر لكل ما سواه بلا بداية وبلا نهاية ولذلك لا يقال لله سبحانه شيء؛ لأنه خالق الأشياء.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: السّميع لأقوال عباده يسمع ما في الكون من قول وسر وعلن ونجوى، البصير: بأعمال عباده وأحوالهم، يبصر كلّ شيء وإن دقَّ وصغر، أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار السّموات والأرض.

[١٢] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

يستمر في ذكر صفات الله الدّالة على كمال قدرته وعظمته ووحدانيته.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مقاليد: جمع أقليد، وقيل: جمع مقلاد؛ أي: يُسند إليه يفوّض إليه تصريف وإدارة وتدبير أمور السّموات والأرض. ارجع إلى الآية (٦٣) من سورة الزّمر. للبيان المفصل في مقاليد السموات والأرض.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي يوسّع الرّزق لمن يشاء من خلقه ابتلاءً، ويقدر؛ أي: يضيّق الرّزق لمن يشاء من خلقه ابتلاءً. ارجع إلى سورة سبأ الآية (٣٦) والآية (٣٩) لبيان معنى آيات بسط الرزق، كقوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]، و﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ:٣٦].

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء للإلصاق والإلزام.

﴿شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: بكل ما يحدث في كونه وما يعمله خلقه، عليم بالغني والفقير، وعليم بكلّ شيء مهما كان نوعه وشكله ولونه وحاله وقدرته. عليم صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم وهو عالم الغيب والشّهادة وهو علّام الغيوب.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾:

شرع: أوضح وأظهر الحق من الباطل، أو أوجب، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة، من الدّين؛ الدّين: يعني الإسلام، والدين: هو الطاعة والانقياد والشريعة والعقيدة، ويعني: الجزاء والحساب والخضوع وحكم الله وقضاؤه. ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنىٰ الدين والملة، ما وصّينا به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ، استعمل (ما) واستعمل (الّذي) فما الفرق بينهما: ما تستعمل للشيء غير المحدد والأكثر شمولاً كالتوراة التي حرفت أو ما وصىٰ به نوحاً وهو غير معروف، وكذلك ما وصينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ غير محدد وأكثر شمولاً، والّذي تستعمل للشيء المحدد المعروف؛ أي: القرآن وتختصّ المفرد المذكر، بينما ما تستعمل للمفرد والمثنىٰ والجمع والمذكر والمؤنث، استعمل (ما) لما وصىٰ به نوحاً واستعمل (الذي) أوحينا إليك: الخطاب إلىٰ محمّد ﷺ؛ ويعني القرآن والتّكاليف والتّعاليم، ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣) لمعرفة معنىٰ: أوحينا إليك.

﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟﴾: وما وصينا به إبراهيم

وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين؛ أن: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد، والوصية هي: أن أقيموا الدّين، ولم يقل وأقيموا الأديان؛ لأنّ كلّ الرّسل والأنبياء لهم دين واحد وهو الإسلام، وإقامة الدّين تعني: تطبيق أحكامه وامتثال أوامره وتجنب نواهيه. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١) لبيان معنىٰ وصينا. فالدين واحد، ولكن ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: لا تنقسموا إلىٰ مذاهب وشيعٍ وطرائق، ولم يقل ولا تفرقوا، وإنما تتفرقوا: إضافة التّاء؛ لتدل علىٰ الكثرة، كثرة الأمم المخاطبة مثل أمة محمّد وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ونوح مقارنة بقوله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] عندما خاطب أمة محمد ﷺ وحدها، ولكونها جزء من الأمم الأخرىٰ ومن أصغرها.

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: أي شقّ وعظم علىٰ المشركين ما تدعوهم إليه من التّوحيد وإقامة الدّين وترك عبادة الأصنام والإيمان بالبعث والحساب والجزاء.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾: يجتبي: يصطفي إليه من يشاء من عباده من اختار لنفسه طريق الطاعة والإيمان.

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾: الإنابة سرعة الرّجوع إلىٰ الله والتّوبة؛ أي يوفّق من يشاء بالرّجوع إليه والتّوبة.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النّافية.

﴿تَفَرَّقُوٓاْ﴾: أي قريش أو أهل الكتاب، وأصبحوا مذاهب وشيعاً وطوائف في دين الله، فآمن بعضهم وكفر بعضهم أو آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ﴾: إلا أداة حصر.

﴿مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾: العلم هو القرآن الكريم والرّسول محمّد ﷺ، بغياً بينهم: تفرّقوا بسبب الحسد وحبّ الجاه والسّيطرة والحرص على الدّنيا.

وتعريف البغي: هو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسُّف.

﴿وَلَوۡلَا﴾: لولا حرف شرط.

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير العقوبة والإمهال وتأخير الحساب ليوم القيامة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: هو يوم القيامة.

﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: حكم بينهم أو فصل بينهم بإنزال العذاب على المكذّبين ونجاة المؤمنين.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: من بعدهم؛ أي من بعد اليهود والنّصارى (أهل الكتاب) هم العرب، الكتاب: التّوراة أو الإنجيل أو القرآن، من بعدهم: من بعد أنبيائهم، أو من بعد الأولين أو الأمم الّتي سبقتهم.

﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾: اللام في (لفي) للتوكيد، شك منه: منه تعود على القرآن الكريم، إذا كان المقصود هم العرب الّذين أورثوا الكتاب فهم في شك من القرآن أنّه منزل من عند الله، وأنّهم يتّهمون النّبي ﷺ بأنّه افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، وإذا كان المقصود هم أهل الكتاب الّذين أورثوا الكتاب؛ أي:

التوراة والإنجيل، لفي شك من القرآن أو التّوراة أو الإنجيل مريب: والرّيب: هو الشّك والتّهمة.

[١٥] ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾: الفاء استئنافية، لذلك: اللام للتعليل والتّوكيد، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ منع التّفرق ونبذه، والكاف للمخاطب.

﴿فَٱدْعُ﴾: الفاء للتوكيد، ادعُ: إلىٰ دين الله الحق وهو الإسلام الدّين الحنيف، ادعُ النّاس إلىٰ التّوحيد ولا إله إلا الله وطاعته وعبادته وترك عبادة الأصنام والشّرك.

﴿وَٱسْتَقِمْ﴾: أي الزم منهج القرآن والسّنة، وأتمَّ الفرائض وتجنّب المحارم، وقيل: الاستقامة: الاعتدال أو الوسطية لا إفراط ولا تفريط في الدّين، والتّوبة تساعد علىٰ الاستقامة، والاستقامة طريق إلىٰ الجنة.

ارجع إلىٰ سورة فصلت آية (٣٠) لمزيد من البيان في معنىٰ الاستقامة.

﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾: بطريق الوحي أو كما ورد في القرآن؛ أي: كما أمرك الله سبحانه.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: لا النّاهية، تتبع أهواءهم: جمع هوىٰ والهوىٰ: لتعريفه ارجع إلىٰ سورة الأنعام الآية (٥٦) وتتبع أهواءهم مثل اتّباع ملّتهم.

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾: الباء للإلصاق، الخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ وأمته، آمنت: صدقت بما أنزل الله: من استغراقية تشمل القرآن

والتّوراة والإنجيل والزّبور، وآمنت بكلّ ما أنزل في الكتاب (القرآن) إيماناً كاملاً فلا أكفر ببعض وأؤمن ببعض.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾: في الحكم والقضاء دون ميل عن الحق.

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: الله الإله الحق واجب الوجود هو ربنا وربكم؛ أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم.

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: أي ثوابها أو وزرها.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا النّافية؛ أي لا حاجة إلىٰ الجدال أو المحاجة والخصومة بيننا وبينكم لإثبات من هو المحقّ ومن هو المبطل بعد الآن؛ لأنّ الحق قد تبيّن وظهر وكذلك الباطل.

﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: أي يوم القيامة أو في أرض المحشر لفصل القضاء وتقديم الفاعل علىٰ الفعل للاهتمام والتّوكيد.

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: إليه حصراً وقصراً لا إلىٰ غيره، المصير: المنتهىٰ والمرجع والوقوف بين يديه للحساب والجزاء.

❖❖❖

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ ٱلۡعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن
نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

سورة الشّورى [الآيات ١٦ - ٢٢]

[١٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾: قال قتادة في مناسبة هذه الآية: إنّ هناك جماعة من اليهود والنّصارىٰ كانوا يقولون للمؤمنين: نبينا خير من نبيكم وكتابنا خير من كتابكم ونحن خير منكم! ليصدوا النّاس عن الدّخول في دين الله، يحاجّون: من الحِجاج هو: إظهار حجة كلّ طرف ومقابلتها بحجة الطّرف الآخر، ويحاجّون: تدل علىٰ التّجدد والتّكرار والاستمرار، في الله: في دين الله أو آيات الله أو ذات الله تعالىٰ، يشككون النّاس بالإسلام أو بالدّين أو بآيات الله؛ لعلهم يردّونهم كفاراً كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة:١٠٩].

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾: له: تعود إلىٰ دين الله أو رسول الله ﷺ؛ أي: من بعد ما استجاب النّاس لدين الله ودخلوا فيه أفواجاً، أو استجاب الله لرسوله بنصره علىٰ أعدائه وإظهار دينه. راح بعض اليهود والنصارىٰ يحاجون بعض المؤمنين.

﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: حجتهم باطلة زائلة، داحضة مشتقة من: ادحاض القدم، والدّحض هو الطّين الأملس الّذي يؤدي إلىٰ زلق القدم عن موضعها، فالّذين يحاجّون في الله ويريدون أن يبطلوا الحق بحجاجهم؛ أي: يزيلوا الحق بالباطل ويأبىٰ الله تعالىٰ ذلك.

﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾: طردٌ من رحمة الله وإبعادٌ عنها.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لهم: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، عذاب شديد في الدّنيا والآخرة.

[١٧] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: سبحانه اسم ذات واجب الوجود المعبود. ارجع إلى الآية (٣) من السّورة نفسها.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم والسّمو.

﴿أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أنزل القرآن جملة واحدة، دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق تفيد المصاحبة والملازمة؛ أي: ما فيه هو الحق، والحق هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل، فالقرآن هو الحق والحق هو القرآن ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، والقرآن لن يتغير إلى يوم القيامة.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: هو العدل، العدل الّذي يحكم بين النّاس، وقيل: هو الميزان الّذي يوزن به، ومعنى إنزاله: هو إلهام بعض النّاس أن يخترعوا آلة الميزان ويستخدموا الوزن، وحذرهم من التّطفيف في الميزان؛ أي: أنزل الكتاب وشرع العدل بين النّاس وأمر النّاس بإقامة الوزن والكيل في البيع والشّراء.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: وما: الواو عاطفة، ما استفهامية، وما يدريك: ولم يقل وما أدراك، يدريك تفيد الحال والمستقبل، أمّا أدراك تفيد الماضي، وما أدراك: تنفي أن أدراه في الماضي فقد يدريه في الحال أو في المستقبل.

أمّا قوله تعالى: (وما يدريك) تنفي الإدراك في الحال والمستقبل وتبقى غامضة إلى أن تقوم السّاعة، وقال ابن عبّاس: ما قال تعالى فيه وما أدراك، فقد

أدراه، ومـا قال تعالىٰ فيه وما يدريك ولم يدره به، وما يدريك: جاءت في القرآن في ثلاث آيات كلّها في سـياق الغيب والساعة كقوله تعالىٰ في هذه الآية: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: وآيـة أخـرىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ التّزكية لا يعلمها إلا الله.

وأمّا (ما أدراك) فقد وردت فـي (١٣) آية كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ ثمّ شـرح ما القارعة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:١-٥].

لعل: تفيد الاسـتفهام، السّاعة قريب: قيام السّـاعة، بدء السّاعة؛ أي: بدء تهدُّم النظام الكوني الحالي، قريب: ولم يقل قريبة؛ لأنّه يجوز التّذكير أو التّأنيث في سـياق الزّمن أو المكان وبما أنّها جاءت في سـياق الزّمن فيجوز تذكيرها أو تأنيثها، أمّا إذا جاءت في سـياق النّسـب والقرابة لا بدّ من أن تؤنث كأن تقول: هذه قريبة لي. وما مناسبة ذكر السّاعة بعد ذكر الكتاب والميزان؟ الجواب: أنزل عليكم الكتاب لتعلموا بما جاء به وتقيموا العدل وتستعدوا للساعة قبل أن تأتيكم بغتة.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾:

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: كقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونـس:٤٨، الأنبياء:٣٨، يس:٤٨]؛ أي: يطالبون بقدومها اسـتهزاءً وإنكاراً وتكذيباً بها؛ لأنّهم لا يصدّقون بقيامها وينكرون البعث والحساب ولا يستعدّون لها؛ لأنّهم لا يخافونها.

لا يؤمنون بها: لا النّافية لكلّ الأزمنة، يؤمنون بها: يصدّقون بها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: كقولـه تعالـىٰ: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ

﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٤٩]، الإشفاق: هو الخوف الممزوج بخشية وحذر من أن تقوم السّاعة سواء كانت (القيامة الصغرىٰ أو القيامة الكبرىٰ، وهم مقصّرون في حق ربهم من طاعة أو عبادة أو ألّا تقبل أعمالهم الصّالحة، أو لا يدرون نتيجة أعمالهم)، ومشفقون: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت؛ أي: إشفاقهم دائم مستمر لا ينقطع.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: أي أنّها آتية لا ريب فيها فهم يستعدّون لها.

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾: ألا: أداة تنبيه واستفتاح، إنّ الّذين: للتوكيد، يمارون في السّاعة: المراء هو الجدال بعد ظهور وتبيُّن الحق أنّها آتية لا محالة، يجادلون في صحة وقوعها بشكٍّ وريبة.

﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: اللام للتوكيد، ضلال بعيد: في تيهٍ وبُعدٍ عن الحق وطريق الهدىٰ لا يرجىٰ معه عودتهم إلىٰ الصّواب أو التّوبة والإيمان.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾:

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: يبرُّ عباده ويواصل نعمه عليهم مؤمنهم وكافرهم برِّهم وفاجرهم، لطيف: صيغة مبالغة علىٰ وزن فعيل: كثير اللطف؛ أي: الرّفيق بعباده يوفّق عباده لفعل الخيرات، والعليم بكلّ شيء مهما دقَّ وصغر، وبمكانه وصفاته وأحواله؛ لأنّه كلما دقَّ الشّيء؛ أي: لطف، أصبح صعب الإيجاد والعثور عليه، فهو يعلم دقائق الأمور وخفاياها مهما دقّت وتناهت في الصّغر، ويحسن إلىٰ عباده ويكرمهم، بعباده: الباء للإلصاق والملازمة.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾: أي يوسع الرّزق علىٰ من يشاء أو يرزق من يشاء بغير حساب.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿ٱلْقَوِيُّ﴾: ذو القــوة المتين، القوة له جميعاً، متين القوىٰ؛ أي: شــديد القوىٰ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القــوي الّذي يَقهر ولا يُقهر ويَغلــب ولا يُغلب والممتنع ولا يحتــاج إلىٰ أحد ولا أحد قادر علىٰ ضره أو نفعه؛ لأنّه هو الضّار النّافع والمعطي والمانع.

[٢٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾:

﴿مَن كَانَ﴾: من شرطية، كان: تشمل كلّ الأزمنة.

﴿يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾: الحرث يعني بذر الحَبّ في الأرض؛ ليصبح زرعاً وثمراً كما قال تعالــىٰ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقــرة:٢٦١]، أي: من كان يريد بأعمالــه ثواب الآخرة، نزد له أو نضاعف له ثوابه.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾: ومن كان يريد بأعمالــه ثواب الدّنيا، نؤته منها ما نريد وما له في الآخرة من نصيب.

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾: من اســتغراقية؛ أي: ما له أيُّ نصيب مهما كان، والنّصيب: هو القســم المعين، ويكون في المحبوب والمكروه، أمّا الحظ يكــون عادة في الخير أو المحبوب، وأما القســط: الحصــة العادلة المبنية علىٰ العدل.

وتكــرار (من كان يريد) مرتين توكيد لفظــي غايته تقرير الحكم في أذهان المخاطبين، وقدّم حرث الآخرة علىٰ حرث الدّنيا لأنّه هو الأفضل والأهم.

[٢١] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام ولتوبيخ مشركي قريش، أم للإضراب الانتقالي.

﴿شُرَكَاؤُا﴾: جمع شريك، من الآلهة والأوثان والشّياطين.

﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾: شرعوا أوجدوا، أو سنُّوا لهم شرائع جديدة: أي طرائق وبدعاً ومناهج في الدّين ما لم يأذن به الله.

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود (امتنع القضاء بينهم لوجود كلمة الفصل).

﴿كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾: بإمهال الكافرين وتأخير العذاب عنهم حتّىٰ يوم القيامة.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الكافرين والمؤمنين وبين المشركين وشركائهم، قضي بينهم في الحياة الدّنيا بدون تأجيل؛ أي: حكم بينهم أو فصل بينهم بإنزال العذاب علىٰ المكذبين وإهلاكهم ونجاة المؤمنين.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: للتوكيد؛ أي: المشركين أو الظّالمين لأنفسهم أو لغيرهم.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، عذاب أليم، نوع من أنواع العذاب ومنها: العظيم المهين والأليم والشّديد.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾:

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾: في الآخرة يوم القيامة (المشركين والّذين ظلموا أنفسهم بالعصيان)، ترىٰ رؤية بصرية بالعين.

﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين حذِرين لا يدرون ما سيفعل بهم.

﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: من: ابتدائية، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي كسبوا، وما: أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية، مشفقين من كسبهم من جزاء ما كسبوا من السّيئات والآثام والشّرك والكفر، كسبوا في الدّنيا، ولم يقل ما اكتسبوا؛ لأنّ كسبهم أصبح أمراً عادياً وسهلاً ولا يحتاج إلىٰ جهد. كسبوا عادة تأتي في سياق المباح وأعمال الخير، اكتسبوا عادة تأتي في سياق الأشياء المحرمة وأفعال الشّر الّتي تحتاج إلىٰ جهد ومشقة، ارجع إلىٰ سورة البقرة الآية (٢٨٦) للبيان.

﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: وهو تعود علىٰ الجزاء والعقاب، واقع بهم؛ أي: نازل بهم لا محالة محيط بهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: جمع روضة، والرّوضة: المكان الكثير الخير والعطاء والبهيج والجميل وأحب الأماكن إلىٰ النّفس.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص، ما يشاؤون عند ربهم: وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، عند ربهم: عند ظرف مكان.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلىٰ روضات الجنات، جنات الفردوس وجنات عدن وجنات النّعيم وجنات المأوىٰ.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: الفضل الإلهي الكبير، والفضل: هو الزّيادة علىٰ الأجر أو ما يستحقه العبد زيادة علىٰ أجره. والفضل الكبير قيل: هو الدّخول في الجنة؛ أي: الفضل الكامل التّام.

❖ ❖ ❖

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ
وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

نصف الحزب ٤٩

سورة الشّورى [الآيات ٢٣ - ٣١]

[٢٣] ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلىٰ الثّواب والنّعيم (روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم).

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يُبشر من البشارة: وهي الخبر السّارّ، وتكرار (الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات) يدل علىٰ التّوكيد، ولم يقل يُبشر به عباده (به) تعني فقط بشارة واحدة، ولم يقل به؛ لأنّ البشارة لا تقتصر علىٰ هذه البشارة، فهناك بشارات أخرىٰ مختلفة لم تذكر في هذه الآية.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أي أجراً علىٰ تبليغ الوحي أو القرآن أو ما أنزل الله، إلا: أداة حصر، المودة في القربىٰ: أي أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم، وقد تعني: ألا تؤذوني في قرابتي؛ أي: تودوا قرابتي حتّىٰ أبلّغ رسالتي، أو تكفّوا عني أذاكم وتمنعوني من أذىٰ النّاس حتّىٰ أبلّغ رسالتي.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: من: بمعنىٰ الذي، وتشمل المفرد والمثنىٰ والجمع، والذكر والأنثىٰ؛ يقترف: أي: ومن يكتسب حسنة (بالقول أو الفعل). ولتعريف الحسنة: ارجع إلىٰ سورة فصلت آية (٣٤). والاقتراف: يعني الاكتساب، ويأتي في سياق الحسنة أو السيئة؛ أي: الحسنات والسيئات.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾: أي نضاعفها له. مضاعفة الحسنات: هي الزّيادة في حسنها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة من غافر: من الغفر؛ وهو السّتر، وكلّ شيء ستره فقد غفره؛ أي: يستر الذّنوب ويعفو عنها، كثير المغفرة يغفر الذّنوب مهما عظمت وكثرت إلا الشّرك والكفر المصحوب بغير توبة.

﴿شَكُورٌ﴾: صيغة مبالغة من شكر: شكور؛ يعني: يثيب عباده على طاعتهم، ويقبل العمل القليل ويعطي الثّواب الكبير.

[٢٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ، وأم للإضراب الانتقالي.

﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: أي الّذين كفروا من قريش يقولون: إنّك تفتري على الله كذباً، كذباً: نكرة لا يدل على شيء معيّن من الكذب، وإنما تشمل كلّ أنواع الكذب، ولو قال تعالى افترى على الله الكذب، فهذا يشير إلى كذب معيّن، وكذباً بصيغة التّنكير تشمل كلّ الكذب.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: فإن: الفاء للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض أو الشّك، يشأ الله يختم على قلبك، الختم: أقل شدة من الطبع، والطبع: يأتي في سياق الشر؛ أي: لو افتريت على الله كذباً مهما كان نوعه لختم الله على قلبك بأن يُنسيك القرآن أو يجعلك غير قادر على الافتراء، وفي آية أخرى مماثلة: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾: أي ولــو افتريت أي باطلاً فإنّ الله قــادر على إزالته ومحوه محواً تاماً وإقامة الحق.

﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾: مــكان الباطل؛ أي: يثبت الحق، والحــق: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير أو يتبدل.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾: بما يُنزل في القرآن أو بالحجج والبراهين وبالآيات.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: إنّه للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة: كثير العلم.

ذات الصدور: ارجع على سورة آل عمران آية (١١٩) للبيان.

[٢٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: تعود على الله سبحانه واجب الوجود، تفيد الحصر والتّوكيد.

﴿ٱلَّذِى﴾: للتعظيم.

﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: القبول: هو أخذ الشّــيء برضــا؛ أي: يقبل التّوبة، وقبــول التوبة كأنها صفة خاصة به ســبحانه، وهي: الكفُّ عــن المعصية وعدم الرّجوع إليها، والنّدم عليها والإكثار من النّوافل وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، عن عباده: ولم يقل من عباده؛ أي: يقبل التّوبة الصّادرة عن عباده؛ أي: يقبل التّوبة نفسها لأنّه سبحانه قد يقبل التّوبة أو يرفضها. وعن: تعني الإبعاد؛ أي: يبعد عنهم ســيئاتهم؛ أي: يمحوها ولو قال تعالى يقبل التوبة من عبــاده لكانت تعني يقبل التوبة من الجهة المصدرة للتوبة؛ أي: من العبد، وحين يقبلها سبحانه يعني يقبلها نفسها، ومن الجهة المصدرة لها؛ أي: من العبد.

﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أي: يعفــو عن أصحاب الســيئات (عفو مطلق)، والســيئات: جاءت معرفة بأل التعريف. قيل: الصّغائر، ومنهم من قال: الصّغائر

والكبائـــر، والعفو: ترك العقوبة؛ أي يمحوها ولا يعاقب عليها. وانظر: إلىٰ كيفية كتابـــة يعفو بالواو في هذه الآية، والآية (٣٠) كذلك من نفس الســـورة، بينما في الآية (٣٤) من نفس الســـورة جاءت (يعف) بدون واو، والســـبب أنها مجزومة بحذف الواو؛ لأنها جاءت معطوفة علىٰ الشرط.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: من خير وشـــر. انظر: كيف انتقل من صيغة الغيبة إلـــىٰ صيغة المخاطب، وقال: ويعلم ما تفعلـــون للتحذير وللفت الانتباه للتوبة، وعدم العودة إلىٰ فعل السيئات.

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾:

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ويســـتجيب الله ســـبحانه دعاء الّذين آمنوا لما طلبوه ودعوه، وقيل: السّين والتّاء في (يستجيب) للتأكيد، بمعنىٰ: أجاب الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات وتدل علىٰ التّجدد والتّكرار.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: أي يجيبُ الله الّذين آمنوا ويعطيهم ما سألوه ويزيدهم من فضله علىٰ ما يستحقّونه تفضّلاً منه وتكرّماً.

﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص والاســـتحقاق. لهم عذاب شديد: نوع من أنواع العذاب الّذي لا يُطاق في جهنم.

[٢٧] ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو استئنافية، لو: شرطية.

﴿بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾: بســـط: وسّع ومدَّ لعباده: اللام لام الاختصـــاص، لَبَغوا في الأرض: اللام لام التّعليـــل والتّوكيد، لَبَغوا: من البغي:

وهو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسُّف؛ ويعني: الظّلم والفسق والفساد في الأرض والكِبر والتّبذير.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك.

﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾: أي بتقدير حسب ما تقتضيه حكمته الرّبانية جلّ شأنّه، كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرّعد:٨]، وكقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١].

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد، بعباده: الباء للإلصاق.

﴿خَبِيرٌۢ﴾: يعلم بواطن أحوالهم، ويعلم ما هو أصلح لهم وأنفع لحياتهم ودنياهم وآخرتهم.

﴿بَصِيرٌ﴾: يعلم ظواهر أحوالهم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣١) في سورة فاطر، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ نجد زيادة اللام في لخبير، التي تفيد التوكيد؛ لأن السياق في آية فاطر في الكتاب وإقام الصلاة والإنفاق، أما في آية الشورىٰ: في بسط الرزق.

[٢٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر، يعود علىٰ واجب الوجود وحده.

﴿ٱلَّذِى﴾: يفيد التّعظيم.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: أي: المطر المنزل من السماء؛ أي: من السّحاب، والغيث الماء المنزل الذي يحمل معه الخير والنّفع وسمي غيثاً؛ لأنّه يغيث النّاس من الجدب والقحط، وأما كلمة المطر في القرآن تأتي في سياق العذاب والشّر

والفيضانات والغرق، وكلمة الغيث تأتي في سياق الخير والنفع، ينزل: بصيغة المضارع الّتي تدل على التّجدد والتّكرار.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾: القنوط هو شدة اليأس، من: ابتدائية، قنطوا من شدة القحط، قنطوا من رحمة الله تعالى.

﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾: الرّحمة قيل: هي جلب ما يسُرُّ ودفع ما يضرُّ وتشمل الغيث والصحة والغنى والأمن وغيرها.

﴿وَهُوَ﴾: يفيد التّوكيد.

﴿ٱلۡوَلِيُّ﴾: القيّم على أمور الخلائق والمدبّر أمورهم، والمعين لأوليائه ومحبّهم.

﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾: مشتقة من الحمد، المحمود بحق في كلّ الأحوال من أهل السّموات والأرض، مستحق الحمد أهل الثّناء له الحمد كلّه لبرّه وخيره وإحسانه ورحمته، وله الحمد على خلقه وشرعه ودينه وهدايته وثوابه. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢).

[٢٩] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ومن: بعضية، آياته الدّالة على أنّه الإله الحق، والدّالة على كمال قدرته وعظمته، خلق السّموات والأرض: ارجع إلى سورة فصلت الآيات (٩-١٢)، وسورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤) للبيان، ونسبة الآيات له تدلّ على عظمتها وتشريفها وكونها آيات كبرى.

﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾: (أي السّموات والأرض)، بثّ: نشر ووزّع خلقه في كلّ أقطار الأرض، ونشر الملائكة في كلّ أقطار السّموات، وإذا قارنا هذه مع الآية

(٤) في سورة الجاثية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ نجد أن يبث: فعل مضارع يدل علىٰ التجدد، والتكرار، والاستمرار في البعث، بينما آية الشورىٰ (بث) فعل ماض تدل علىٰ الماضي؛ أي: ابتداء الخلق؛ أي: ابتداء البعث.

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: من للعاقل، دابّة: كلّ من يدبّ علىٰ الأرض من إنس وجن وحيوان وفي السّماء من الملائكة، وهناك من قال فيهما: تعني في إحداهما من دابّة؛ أي: الأرض، وهذا يسمىٰ نسبة الشّيء إلىٰ الكلّ والمراد البعض، كقوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ والمقصود يخرج من أحدهما وهو المالح، وهناك من قال: دابة تعني الحيوان فقط ولا تعني الإنس والجن.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد ويعود علىٰ الله سبحانه.

﴿عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ﴾: إذا: ظرفية بمعنىٰ حين يشاء؛ أي: في أيّ زمن أو حين يشاء، يوم الجمع: أي يوم الحشر أو يوم القيامة.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة من قادر؛ أي: ذو القدرة، القادر علىٰ كلّ شيء في السّموات وفي الأرض فلا يعجزه شيء، والقادر: أي المسيطر علىٰ الكون وعلىٰ مخلوقاته بقدرته المطلقة.

[٣٠] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو استئنافية، ما شرطية.

﴿أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: من استغراقية تشمل كلّ مصيبة؛ أي: مرض أو حادثة طارئة أو بلاء في الدّنيا بنقص في الأموال والأنفس والثمرات أو الخوف أو عقوبة.

﴿فَبِمَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، الباء سببية أو بدلية، ما بمعنىٰ الّذي.

﴿كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي بسبب السّيئات الّتي اقترفتموهما؛ أي: هي كفارات لذنوبكم. ارجع إلىٰ سورة الحديد الآية (٢٢)، وسورة التغابن الآية (١١) لمقارنة الآيات التي وردت في المصائب مع آية الشورىٰ.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾: عن كثير من المعاصي فلا يعاقب عليها، وقد يكون: ما أصابكم من مصيبة أيضاً بغير ذنب وإنما لزيادة الأجر ورفع درجاتكم وكلّ ما يصيب المؤمن من خير أو شر هو خير له في النهاية؛ لكي تحط عنه خطاياه وترفع درجاته إذا صبر واحتسب.

ولنقارن قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ و:﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشّورىٰ:٤٨]، المصيبة قد تكون نتيجة ما كسبت الأيدي أو قدّمت، كسبت تأتي في سياق آيات الكسب؛ لذلك ننظر إلىٰ ما قبلها وما بعدها من الآيات إذا فيها كسب تأتي: كسبت أيديكم، وإذا ليس فيها كسب تأتي: قدمت أيديهم.

[٣١] ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية أقوىٰ نفياً من ليس وتنفي الحال عادة وقد تنفي الماضي والمستقبل، بمعجزين في الأرض: الباء للتوكيد، معجزين في الأرض: أي بفائتين من العذاب بالهرب أو الاختفاء.

﴿وَمَا لَكُم﴾: تكرار (ما) يفيد توكيد النّفي، لكم: لام الاختصاص.

﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، من سوىٰ الله.

﴿مِن وَلِيٍّ﴾: من استغراقية، وليّ: معين وقريب تلقون إليهم بالمودة.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي، نصير: ينصركم من دون الله بالقوة أو الإمداد أو العدة أو العتاد، أو ينصركم من عذاب الله بالدّفع أو الشّفاعة.

لا ولي ولا نصير ولا كلاهما معاً. لنقارن هذه الآية (٣١) من سورة الشّورىٰ وهو قولـه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، والآية (٢٢) من سـورة العنكبوت وهي قوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

في سورة العنكبوت أضاف السّماء؛ لأن التحدي أشد يشمل من في السماء؛ أي: الملائكة. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت الآية (٢٢) للمقارنة ومعرفة السّبب.

ولنقارن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشّورىٰ:٣١] مع قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشّورىٰ:٨].

الفرق هو حين يضيف (من دون الله) تكون الآية في سـياق الحياة الدّنيا، وحين لا يضيـف (من دون الله) تكون الآية في سـياق الآخرة؛ لأنّه في الآخرة ليس هناك سوىٰ الله تعالىٰ حتّىٰ نتّخذه ولياً أو نصيراً.

❖ ❖ ❖

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

سورة الشّورى [الآيات ٣٢ - ٤٤]

[٣٢] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾: ومن بعضية، بعض آياته الدّالة على كمال قدرته وعظمته وخلقه، وإضافة الآيات إليه بقوله: آياته، تدل على عظمتها وتشريفها وبديع وصفه.

﴿ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: أي السّفن الكبيرة، وسميت (الجوار) لكونها تجري على الماء، توصف بالجاريات، واسمها: العلم الجوارِ، وشبّهها بالأعلام: أي كالجبال، والجبل سمّي علماً؛ لأنّه يستعمل كعلامة يُهتدىٰ بها على الأرض كما أنّ العَلَم يشير إلى الدّولة، وها نحن نرىٰ اليوم السّفن الّتي تضم الطّوابق العديدة والغرف وتحمل آلاف المسافرين، وتحمل الطّائرات الحربية ومدرجاتها كأنّها الجبال الشّامخات والحاملة لآلاف الأطنان من المتاع.

[٣٣] ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

﴿إِن يَشَأْ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض، يشأ: إن يرِدْ سبحانه وتعالىٰ. والمشيئة: هي بدء العزم على الفعل، والإرادة: هي تمام العزم على القيام بالفعل.

﴿يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾: أي يهدِّئ الرّيح فلا تهبّ ولا تعصف، والرّيح لم ترد في القرآن إلا عذاباً؛ أي: في سياق الشّر والأذىٰ، بخلاف الرّياح الّتي تحمل معنىٰ الرّحمة والنّفع.

﴿فَيَظْلَلْنَ﴾: الفاء تدل على التّعقيب والمباشرة، يظللن: تعود على الجوار في البحر.

﴿رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾: تجري بسكون كأنّها لا تتحرك، أو تشعر بحركتها رغم سرعتها العالية، فماء البحر راكد؛ أي: ساكن، والسّفن رواكد على ظهر البحر، ولم يقل مستقرات أو ثابتات؛ لأنّ ذلك يعني أنّهن راسيات على الشّاطئ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: إنّ واللام في كلمة (لآيات) تفيدان التّوكيد؛ أي: هذه السّفن الهائلة الحجم من النّعم الكبيرة الّتي تحتاج لشكر كثير دائم لا ينقطع؛ أي: شكور (مبالغة في الشّكر) شكر المنعم على نعمه الكثيرة فالجري وتسكين الرّيح والسّفن نفسها، وما تحمل من بشر ومتاع كلّها آيات تحتاج إلى شكر كثير، وكذلك إلى صبر وليس صبر عادي (بل صبّار) صبر كثير وذلك حين تعصف الرّيح أو حين صناعتها. وقدم الصبر على الشكر؛ لأن الصبر على الشدائد والكرب يسبق الشكر، والصبر نفسه يحتاج إلى شكر.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾:

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: أو: تعني للتقسيم؛ أي: يسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره، أو يوبقهن: مشتقة من أوْبقه: حبسه أو أهلكه، يوبقهن: يغرقهن.

﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾: الباء باء السّببية أو البدلية، ما: تعني الّذي أو مصدرية؛ أي: يوبقهن بما كسبوا من الذّنوب والآثام؛ أي: ارتكبوا من المنكرات وهم على ظهر تلك السّفن، أو كسبت أيديهم سابقاً حين كانوا في البر.

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ويعفُ: سبحانه فلا

يعاقب على الكثير من الذنوب؛ أي: يعفو عن ذنوبهم وآثامهم فلا يعاقبهم عليها لعلّهم يتوبون، أو يُهلك أناساً ويُنجي أناساً بالعفو عنهم.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾:

﴿وَيَعْلَمَ﴾: الواو عاطفة، يعلم الّذين يجادلون في آياتنا: أي المكذّبون أو المنكرون الجاحدون بالله وآياته.

﴿يُجَادِلُونَ﴾: من الجدال وهو حوار بين طرفين أو أطراف لإثبات حق أو إظهار حجة، أو دفع شبهة، والجدال أشد من الحوار حدّةَ ومخاصمة.

﴿فِي آيَاتِنَا﴾: الكونية أو المعجزات أو الآيات القرآنية أو الدّلائل والبراهين على البعث والحساب والآخرة، وأنّ الله هو الإله الحق المستحق للعبادة، ويعلم الّذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص: والسّؤال متى يحدث هذا العلم؟ قيل: هناك احتمالان: الأوّل: قبل موتهم وغرقهم، والثّاني: إذا عفى عنهم وبقوا أحياء يعلمون قدرة الله وعظمته فيكون هذا تحذيراً لهم وإيقاظاً لهم من سباتهم والتّوبة والرّجوع إلى الله، أو إذا استمروا على ما هم عليه من كفر وجحود يعلمون أن ليس لهم مهرب أو ملجأ إذا يشاء الله أن يهلكهم، سواء كانوا في البر أو البحر.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: ما النّافية، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، من: استغراقية، محيص: مهرب أو ملجأ أو منفذ فمشيئة الله تعالى نافذة لا محالة، وتكون بهلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين، أو هلاك الكلّ أو نجاة الكلّ حسب ما تقتضي الحكمة الإلهية.

[٣٦] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿فَمَآ﴾: الفاء استئنافية، ما شرطية، وإذا قارنا هذه ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ مع الآية (٦٠) في سورة القصص، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾نجد أن الاختلاف في حرف (الفاء) وكلمة الزينة، والسبب يعود إلىٰ أن آية الشورىٰ جاءت في سياق ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فحذف منها وزينتها؛ لأن الذين آمنوا لا يفترون بالزينة، وأضاف حرف الفاء؛ لأن ما قبلها يتعلق بما بعدها، وأما آية القصص جاءت في سياق الذين يفترون بالحياة الدنيا وزينتها، والواو: استئنائية (كلام جديد) أو آية جديدة.

﴿أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أوتيتم من الإتياء؛ وهو العطاء بدون تملّك، ويمكن استرداده، والإيتاء أعمّ من العطاء، من: استغراقية تستغرق كلّ شيء من مال ومسكن وملبس ومركب ونكاح، فمتاع الحياة الدّنيا: الفاء رابطة لجواب الشّرط، متاع الحياة الدّنيا: هو ما ينتفع به الإنسان في حياته، وهو متاع مؤقّت وزائل أو زهيد بالنّسبة لما في الآخرة من نعيم دائم وباقٍ، ارجع إلىٰ سورة القصص الآية (٦٠) للبيان والمقارنة.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: من نعيم، خير وأبقىٰ: لأنّه نعيم دائم لا ينقطع ولا ينفد.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، الّذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي ما عند الله خير وأبقىٰ لهؤلاء الّذين آمنوا بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر وعلىٰ ربهم يتوكلون؛ ارجع إلىٰ سورة

الأعـــراف الآية (٨٩) لبيان معنىٰ التوكل؛ ثم وصفهم بعشـــر الصفات التّالية في الآيات (٣٦-٣٩) وهي:

١ - الإيمان.

٢ - التّوكل.

٣ - اجتناب كبائر الإثم.

٤ - الفواحش.

٥ - عدم الغضب والمغفرة لمن أساء إليهم.

٦ - استجابوا لربهم في كلّ ما دعاهم إليه.

٧ - أقاموا الصّلاة.

٨ - أمرهم شورىٰ بينهم.

٩ - مما رزقناهم ينفقون.

١٠ - إذا أصابهم البغي هم ينتصرون.

آمنوا بربهم وبرسله وملائكته واليوم الآخر.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: التّوكل يعني: رد الأمر إلىٰ من يملك تدبير كلّ الأمور راجياً عونه وتيســـيره وتوفيقه للوصول إلىٰ الغاية. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في التّوكل.

[٣٧] ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو عاطفة، الّذين: اسم موصول.

﴿يَجْتَنِبُونَ﴾: الاجتناب: أشد من التّحريم؛ ويعني ليس فقط عدم فعل الكبائر والفواحش بل حتّىٰ الاقتراب منها، ويجتنبون: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدد وتكرار تجنّبهم وليس فقط مرة واحدة.

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾: جمع كبيرة؛ أي: كلّ ما يوجب الحد كالقتل العمد والسّرقة والقذف والشّرك.

﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: كالزّنىٰ وشرب الخمر، وقيل: كبائر الإثم تعني الفواحش، وهذا يسمىٰ عطف الخاص علىٰ العام.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين.

﴿مَا غَضِبُوا۟﴾: ما للتوكيد، غضبوا من الغضب: هو الانفعال النفسي الناجم عن عدم الرضا عن شيء، أو أمر لحقه من الغير ومعاقبته، ويظهر آثاره علىٰ الجوارح.

﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يعفون ويغفرون لمن أساء إليهم وأغضبهم؛ أي هم من الكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس، ويغفرون بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ الاستمرار والتّكرار والتّجدد.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٣٧) وتكرار (الّذين) يفيد التّوكيد والمدح.

﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾: لما دعاهم إليه من التّوحيد والإخلاص وإطاعة أوامره وتجنّب نواهيه، استجابوا: فيها السّين والتّاء تفيدان التّوكيد؛ أي استجابوا بحرص وتلهّف واجتهاد.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾: أدّوها على أوقاتها وخشوعها وأركانها وشروطها وسننها وطهارتها.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: من التّشاور وهو تبادل الآراء لمعرفة الصّواب والأفضل، وكلمة الشّورىٰ مشتقة من فعل: شار، وشار العسل؛ أي: استخرجه من الخلية فكأن عملية الشّورىٰ عملية لاستخراج أطيب وأفضل النتائج. والشورىٰ عبادة ومنهج تسد باب الخلاف للحفاظ علىٰ وحدة الأمة أو المجتمع. ووردت كلمة الشّورىٰ في آيتين هذه الآية والآية (١٥٩) من سورة آل عمران.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: مما (من + ما) من بعضية، ما بمعنىٰ اسم موصول، ينفقون: أي الإخراج من مال الملك ومن الطّيب ينفقون في سبيل الله، ونرىٰ قوله تعالىٰ: (استجابوا لربهم وأقاموا الصّلاة وأمرهم شورىٰ بينهم) جاء بصيغة الماضي؛ لأنّ الاستجابة وإقامة الصّلاة وأمرهم شورىٰ تحدث في أوقات معينة ومحددة، بينما التّوكل واجتناب الإثم والفواحش والغفران والإنفاق أمور تتجدد وتتكرر فجاءت بصيغة المضارع.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٣٧) للبيان، وتكرار (الّذين) تفيد التّوكيد والمدح.

﴿إِذَآ﴾: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾: الظّلم والجور؛ أي: إذا تعرضوا للظلم والاعتداء كانوا قادرين علىٰ استرداد حقوقهم بدون اعتداء علىٰ حقوق غيرهم ولا يقبلون الذّل والإهانة.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَنتَصِرُونَ﴾: يغلبون باتباعهم الحق وما شرع الله لهم ورسوله وبتأييد الله سبحانه لهم بسلطان القوة أو الحكمة والحلم والصبر.

[٤٠] ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾: الجزاء: العقاب، القصاص وهل جزاء السّيئة؛ السيئة في هذه الآية: لا تعني السيئة الشرعية؛ أي: ضد الحسنة، وإنما تعني: جزاء المسيء العقوبة؛ لأنّه سبحانه يقول: ادفع بالتي هي أحسن، وجزاء السّيئة تكون سيئة بالنّسبة لمن وقعت عليه؛ أي من ارتكب سيئة يجب أن يعاقب عليها بسيئة مثلها أو بما أوجبه الله تعالىٰ كما قال: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ [المائدة:٤٥].

والسّيئة كلّ ما يسيء إلىٰ النّفس مثال: السّارق حين يسرق يرتكب سيئة نضرب علىٰ يديه فذاك يعتبر سيئة علىٰ السّارق، فهو قام بسيئة وعوقب بسيئة مماثلة فهذه هي المرتبة الأولىٰ مرتبة العدل وأحسن وأفضل من ذلك مرتبة الفضل وهي: فمن عفا وأصلح فأجره علىٰ الله.

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فمن: الفاء للتوكيد، من شرطية، عفا وأصلح: عفا عن ظالمه؛ أي: سامحه فأجره إلىٰ الله، فالله سبحانه يعفو عن سيئاته ويثيبه علىٰ عفوه عن أخيه، وأصلح: ما بينه وبين ظالمه بالدّفع بالّتي هي أحسن ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت:٣٤] وغيرها من وسائل الإصلاح.

﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: الفاء جواب الشّرط، أجره علىٰ الله: ثواب عمله علىٰ الله

حتمـاً، وهذا وعد فيه خير وقد يكون الأجر محوَ سـيئاته أو كبائره أو النّجاة من النّار والفوز بالجنة، فالعفو والإصلاح خير لـه وأبقىٰ من مرتبة العدل والانتقام وشفاء لما في الصّدور.

ويجب الانتباه إلىٰ هذه الملاحظة وهي: إذا كان الظّالم أو الجاني لا يستحق العفو؛ لأنّه فعل ذلك سـابقاً مراراً وتكراراً وكانت المصلحة العامة والشّـرعية تفضل ذلك، فعندها لا يعفو عنه والأفضل القصاص منه والعقاب.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إنّـه للتوكيد، والهاء تعود علىٰ الله سـبحانه، لا: النّافية، يحب الظّالمين: أي لا يعاقبون الجاني أو الظّالم بأكثر من جنايته أو بأكثر مما أوجبه الله، فالزّيادة ظلم والله سبحانه لا يحب الظّالمين.

[٤١] ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾:

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾: الـلام في (لمن) للتوكيد، من: اسـم موصول بمعنىٰ الّذي أو شـرطية؛ أي إذا كان الظّالم لا يستحق العفو أو لا ينفع العفو عنه؛ لأنّه لم يتُب في السّـابق ويتكرر ظلمه وفساده عندها يعاقب الظّالم بمثل ما فعل أو قوبل الظّالم بمثل فعله.

والسّـؤال هنا: لماذا سـمي ذلك انتصاراً ومدح المنتصرين؟ لأنّ معاقبة الظّالم والمتكبر والمفسد الّذي يخاف منه النّاس وردعه عن ظلمه أو الانتقام منه يعتبر نصراً، وأفضل من أن يسمىٰ عفواً.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفـاء للتوكيد، أولئك: اسـم إشـارة والـلام للبعد والكاف للخطاب؛ أي: للذين انتصروا بعد ظلمهم ولمن ينصرونهم.

﴿مَاعَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾: أي ما عليهم من حرج أو إثم أو مؤاخذة أو لوم على ما فعلوه.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾: إنما الإثم والمؤاخذة أو اللوم أو العقوبة تقع على الّذين يبدؤون بالظّلم.

﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: البغي هو مجاوزة الحدّ ظلماً أو كبراً أو فساداً، والبغي: هو أخذ حق الآخرين بالقوة والتّعسُّف والقهر وبغير الحق، وهل هناك بغي بحق؟ نقول: نعم إذا كنت وكيلاً أو وصياً على سفيه يبذر وينفق أمواله في المحرمات، عندها تأخذ أموال السّفيه منه وتمنعه من التّبذير. ففي الظّاهر تأخذها بغير الحق وفي الباطن أخذها بحق؛ لأنّه يصبّ في مصلحة السّفيه أو الّذين يفسدون في الأرض بالإجرام والظّلم والشّرك، يظلمون ويبغون بصيغة المضارع؛ أي: أنّ أفعالهم هذه تتكرر وتتجدد ولا يكفّون عن فعل ذلك.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد وتفيد الذّم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي شديد الإيلام لا يطاق يوم القيامة أو في النّار، إذن نفى في الآية (٤١) السّبيل عن المنتصر وأثبت السّبيل؛ أي: الإثم والذنب والعقاب في هذه الآية على نوعين من النّاس الّذين يظلمون النّاس والّذين يبغون في الأرض بغير الحق.

[٤٣] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾:

﴿وَلَمَن﴾: اللام للتوكيد، من شرطية.

﴿صَبَرَ﴾: على الظّلم ولم يؤذِ أخاه المسلم، ولم ينتصر وهو قادر على أن ينتصر لنفسه.

﴿وَغَفَرَ﴾: ستر الظّالم ولم يفضحه ابتغاءَ وجه الله، وفوّض أمره إلى الله محتسباً إلى الله تعالى لعلّ الظّالم يرتدع ويعود إلى صوابه ويتوقف عن غيّه وفساده وظلمه بمعاملتك له بالحسنى.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: إن: للتوكيد، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد، ذلك الصّبر والغفر.

﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: أي من الأمور العظيمة الّتي تحتاج إلى عزم وإرادة وقوة (عزيمة قوية لا تنفد) ولا يستطيع القيام بها إلا أولو العزم وأولو الألباب، والتّدرج يكون من الأدنى إلى الأعلى كما يلي: من أساء إليك وظلمك كيف تقابله:

١ - تعفو عنه.

٢ - وتصبر على أذاه.

٣ - تصفح عنه ولا تذكره بما فعل.

٤ - تدعو له بالإصلاح والهداية.

لنقارن هذه الآية (٤٣) من سورة الشّورى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ مع الآية (١٧) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

﴿ٱلْأُمُورِ﴾: في آية الشّورىٰ ذكر صفتين مطلوبتين: الصّبر والغفران (ولمن صبر وغفر)، في آية لقمان ذكر صفة واحدة مطلوبة وهي: الصّبر (واصبر علىٰ ما أصابك). وكذلك في آية الشّورىٰ ذكر فيها الإساءة والأذىٰ والظّلم الحاصل من الظّالم أو الجاني، بينما في آية لقمان وهي عبارة عن وصية أب لابنه لم يذكر فيها أيّ أذىٰ أو إساءة، ولذلك أكّد في آية الشّورىٰ فقال: إن ذلك لمن عزم الأمور (أكد باللام) بينما في آية لقمان لم يؤكد فقال: إنّ ذلك من عزم الأمور.

[٤٤] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو استئنافية، من شرطية.

﴿يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي من اختار لنفسه طريق الضّلالة وسعىٰ إليها واستمر علىٰ ذلك، وفرح بها ولم يتُب ولم يعد هناك أملٌ في عودته إلىٰ طريق الرّشاد والتّوبة، فما له: الفاء للتوكيد، له: اللام لام الاختصاص، من وليّ من بعده: من استغراقية، وليّ من بعده: أي من بعد الله، قادر علىٰ هدايته؛ أي: لن يجد أيّ وليّ يتولاه، يتولىٰ أمره من قريب أو بعيد ويُعينه علىٰ العودة والإنابة إلا الله.

﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: رؤية بصرية يوم القيامة، الظّالمين: المشركين الكافرين بالله، والمكذبين بالبعث والآخرة والظّالمين أنفسهم بالمعاصي والفساد وصدّ النّاس عن دين الله، ومحاربة دين الله.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين.

﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: رأوا بصيغة الماضي بدلاً من المستقبل، كأنّ العذاب حدث وانتهى.

﴿يَقُولُونَ﴾: عند رؤية العذاب وجهنم.

﴿هَلْ﴾: استفهام يحمل معنى الاستبعاد والنّفي.

﴿إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾: هل إلى مردٍّ إلى الدّنيا من سبيل، من استغراقية؛ أي: أليس هناك طريق أو وسيلة نسلكها للعودة للدنيا لنؤمن بالله ونعمل صالحاً من سبيل تشمل: الملجأ أو سبيل إلى الهداية، كقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٧] وكقولهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧].

❖ ❖ ❖

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

سورة الشّورى [الآيات ٤٥ - ٥١]

[٤٥] ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾:

﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾: تعود على الظّالمين والمشركين والكافرين، وغيرهم من المكذبين بالبعث والحساب.

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: على النّار، والعرض نوعان: هم يعرضون عليها كما في هذه الآية، أو هي تعرض عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف:١٠٠]، والعرض من عرض: أي ظَهَرَ، وعرضته له: أظهرتُهُ له وأبرزته إليه، فهم يعرضون كالسّلعة الّتي تعرض وجهنم المشتري، أو بالعكس جهنم هي السّلعة وهم المشترون.

﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾: الخشوع هو الخضوع من الذّل والانكسار والضّعف أو العجز.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: الطَّرف: العين، ويعني كذلك تحريك الجفن عن الجفن بالانفتاح؛ أي يسترِقون النّظر ويحاولون عدم النّظر إلى النّار بملء أعينهم من شدة خوفهم وذلّهم؛ أي: كأنّهم لا يريدون أن يعرف أحد أنّهم ينظرون إلى النّار، من: ابتدائية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: وقال الّذين آمنوا يوم القيامة حين يرون الظّالمين في تلك الحالة

من الذّل والهوان، وهم يعرضون على النّار: إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم؛ بأن أوردوها النّار بسبب كفرهم وشركهم وأهليهم يوم القيامة فإن كان أهلوهم من أصحاب الجنة، فلم يعودوا يرونهم وحُرموا منهم، فذلك خسارة لكلا الطّرفين، وإن كان أهلوهم من أصحاب النّار؛ فلأنّهم اتبعوهم واقتدوا واهتدوا بهديهم، فالكلّ سواء في النّار.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه واستفتاح، وهذا الجزء من الآية هو تتمة كلام المؤمنين أو تصديق من الله لهم.

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: إنّ للتوكيد، الظّالمين: المشركين والظّالمين لأنفسهم بكسب المعاصي وظلم الآخرين. والخروج عن منهج الله.

﴿عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: عذاب دائم لا ينتهي ولا يخفّف.

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾:

﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾: الواو استئنافية، ما النّافية، كان: تشمل كلّ الأزمنة، لهم اللام لام الاختصاص.

﴿مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم﴾: من استغراقية، أولياء: جمع ولي معين يمنعهم من عذاب الله أو ينقذهم أو يشفع لهم.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله سبحانه.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: من شرطية، يضلل الله: الله لا يُضلّ أحداً أبداً، وتعني: إذا هم اختاروا طريق الضّلال والابتعاد عن دين الله واستمروا في ذلك وتمادوا في ضلالهم، ولم يعُد هناك أملٌ في توبتهم، فعندها لن يجدوا لهم من سبيل يسلكونه إلى التّوبة أو الرّجعة والنّجاة من النّار.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: الفاء جواب الشّرط، ما النّافية، من استغراقية، سبيل: ملجأ أو هاد يهديه أو طريق يوصله إلىٰ الغاية (الهداية أو الجنة).

[٤٧] ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾:

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾: أي أدّوا أو أطيعوا ما أمركم ربكم به ورسوله بالقول والفعل، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله، استجيبوا: السّين والتّاء للتوكيد، واستجيبوا ليس فيها معنىٰ الاختيار (القبول أو الرّفض).

كما لو قال: أجيبوا؛ فيها معنىٰ القبول أو الرّفض، فالاستجابة فيها معنىٰ القبول فقط؛ أي: يجيبك من طلبت منه ما طلبته ويحقّقه لك؛ أي: استجيبوا لربكم لما طلب منكم وحقّقوه، لربكم: اللام لام التّوكيد والاستحقاق؛ أي الاختصاص.

﴿مِّن قَبْلِ﴾: من ظرفية زمانية، قبل: كسر اللام لا تدلّ علىٰ زمن معين، ولو قال من قبلُ بضم اللام تدلّ علىٰ زمن معين.

﴿أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أن للتوكيد، يأتي يوم لا مردّ له من الله: أي هو يوم القيامة الكبرىٰ، أو قد يكون يوم الموت يوم القيامة الصّغرىٰ، لا مردّ له من الله: لا النّافية للجنس، أي لا يردّه الله بعد أن حكم به؛ أي: إذا أتىٰ لا يُردّ، لا يُلغيه، ولا يُوقف، أو لا يقدر أحد علىٰ ردّه؛ أي: منعه.

﴿مَا لَكُم﴾: ما: النّافية، لكم: اللام لام الاختصاص، تكرار (ما) لتوكيد النّفي.

﴿مِّن مَّلْجَإٍ﴾: من استغراقية، ملجأ: اسم مكان يُلجأ إليه عند الحاجة

والضّـــرورة ملجأ للأمن أو ملاذ أو حصن، ما لكم من مكان كالنّفق أو المغارة أو المُدخل تفرّون إليه للنجاة والخلاص من العذاب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة (يوم البعث) أو يوم القيامة الصغرىٰ.

﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: كالسّابقة، من: استغراقية تشمل كلّ نكير، نكير: كالقناع الّذي يوضع علىٰ الوجه فلا يُعرف الفرد الّذي يلبسه؛ أي: لا تجدوا شيئاً تتنكّرون فيه أو تختفوا خلفه مهما كان لا في السّموات ولا في الأرض، أو قادرون علىٰ إنكار أيّ ذنب اقترفتموه أو سيئة.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء عاطفة، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿أَعْرَضُوا﴾: عن الاســتجابة لله وللرســول، أعرضوا عــن الإيمان بالله واختاروا طريق الضّلال، أعرضوا عن طاعة الله ورسوله.

﴿فَمَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، ما: النّافية.

﴿أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: أو موكّلاً بهم ومسـؤولاً عنهــم وعن إيمانهم وهدايتهم، أو تحفظ أعمالهم وتحصيها عليهم؛ لتحاسبهم عليها.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾: إن نافيــة بمعنىٰ: ما عليــك إلا البلاغ، و(إن) أقوىٰ نفيــاً من (ما)، إلا: أداة حصر. البلاغ: يعني إيصال الرّســالة؛ أي تبليغهم ما أنزل إليهم من ربهم وتبيين ذلــك؛ لكي يفهموه كقوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرّعد:٤٠]، ثمّ يضرب لنا

مثلاً علىٰ إعراض الإنسان عن ربّه وكفره لمجرد الابتلاء، وينسىٰ كلّ النّعم الّتي أنعمها الله عليه.

﴿وَإِنَّآ إِذَآ﴾: إنّا للتعظيم، إذ: شرطية تفيد حتمية الحدوث؛ أي لا بدّ أن يحدث هذا الأمر: هو الابتلاء وتفيد الكثرة؛ أي: حدوثه بكثرة.

﴿أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: الإنسان: اسم جنس يشمل المفرد والمثنىٰ والجمع؛ الإذاقة تكون في الخير والشّر، وأنعمنا تكون في الخير فقط، والإصابة: تكون في الحسنة أو السّيئة، رحمة: نكرة تشمل أيّ رحمة، والرّحمة تعريفها: جلب ما يسرّ ودفع ما يضرّ، مثل الصّحة والغنىٰ والأمن والأهل والجاه. وتقديم منّا: للاهتمام، منّا رحمة: هنا الرّحمة تشمل المؤمن والكافر، ولو قال من لدنّا أو من عندنا، لكانت تعني فقط المؤمن أو المقرّبين، (هذا من خصائص القرآن).

﴿فَرِحَ بِهَا﴾: ونسي شكر المنعم، وانشغل بها. ارجع إلىٰ سورة هود آيتين (٩-١٠) لمزيد من البيان. وهذ الآية جاءت في سياق الإنسان (حالة فردية) بينما أذقنا الناس (حالة عامة)، ويستعمل إذا الحتمية الحدوث والكثرة، ويستعمل إن للاحتمال أو الشك في الحدوث كما رأينا في سورة هود آية (٩) ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾.

﴿وَإِن﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض والنّدرة.

﴿تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: سيئة من بلاء وفقر ومرض وجدب، وخسارة أو خوف أو جوع، سيئة؛ أي: تسيء إلىٰ أنفسهم، يكرهونها ولا يطيقونها، بما: الباء سببية أو بدلية ما بمعنىٰ الّذي، قدّمت أيديهم من الذّنوب والخطايا.

﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، إنّ: للتوكيد، الإنسان كفور: اسم فاعل من كفر، وصيغة مبالغة في الكفر؛ أي: كثير الكفر، والجحود

بالنِّعم، وينسى كلّ النِّعم السّابقة، ومقارنة كفور بكفار، كفار: تفيد التجدد والتكرار، وكفور: تعني الثبات والدوام، وليس بعد كفور أشد من ذلك.

انتبه إلى هذا التّدرّج في الكفر والظّلم: ففي هذه الآية (٤٨) من سورة الشّورى قال سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ في سياق الإصابة بالسّيئة، وفي سورة إبراهيم الآية (٣٤) قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: إنّ الإنسان لظلوم كفّار جاءت في سياق الجحد بنِعم الله الكثيرة، وكفّار أبلغ من الكفور.

وفي سورة الزّخرف الآية (١٥) قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ جاءت في سياق الإشراك بالله، وفي سورة الإسراء الآية (٦٧) قال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ جاءت في سياق النّجاة من الغرق والإعراض عن الله تعالى، فهو سبحانه يؤكّد في بعض الآيات بإنّ وأحياناً بإنّ واللام، وكفور وكفّار حسب السّياق.

ولمقارنة قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ارجع إلى الآية السّابقة (٣٠) من سورة الشّورى.

[٤٩] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾:

المناسبة: إذاقة الإنسان بالرّحمة أو الإصابة بالسّيئة هو ابتلاء من الله حاكم السّموات والأرض، ومن مظاهر عظمته وكمال قدرته أنّه يخلق ما يشاء يَهَبُ الإناث والذّكور.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: المُلك: يعني الحكم والملك معاً فهو

الحاكم والمالك للسموات والأرض وما فيهنّ؛ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية، وذكر مثالاً على ذلك كيف يهب الإناث والذّكور.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾: الهبة عطاء بدون مقابل، ارجع إلى سورة ص الآية (٣٠) للبيان، لمن يشاء: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، إناثاً: يخصّ بعض عباده بالإناث فقط.

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾: يخصّ بعض عباده بالذّكور فقط.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾:

أي: يهب لبعض عباده الذّكور والإناث معاً الجنسين في حمل واحد، وهو حمل التّوأم أو الحمل الثّلاثي أو الرّباعي والخماسي.

وما هو الفرق بين: ذُكراناً والذّكور؟.

﴿ذُكْرَانًا﴾: تدلّ على القلة، أمّا الذّكور تدلّ على الكثرة، تشمل الشّيوخ والشّباب والأطفال.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾: فلا يهب لهم أيّ ولد مهما كان سواء كان ذكراً أو أنثى.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾: أنّه للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة: كثير العلم، عليم بخلقه مَن هو عقيم ومَن له أولاد، وعددهم، وذكوراً وإناثاً، عليم بما يصلح عباده من الأولاد، قدير: أن يهب أو يمنع الأولاد لمن يشاء، قدير على أن يرزق عباده

بالتّوأم أو الحمل الثّلاثي والرّباعي أو الأكثر من ذلك، قدير أن يجعل المرأة عاقراً أو عقيماً أو قادرة على الإنجاب.

وسرّ تقديم الأنثى على الذّكر في هذه الآيات قد يكون عائداً إلى كثرة عدد الإنـاث مقارنة بالذّكور، أو للاهتمام بالأنثى لكونهم كانوا في الجاهلية يفضّلون الذّكر على الأنثى، فجاءت آيات الله لترفع من شأن الأنثى وتبطل تلك الأعراف البائدة.

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾:

سـبب نزول هذه الآية كما قال كثيرٌ من المفسـرين أمثال ابن حجر وذكره الواحدي في (أسـباب النّزول): أنّ اليهود قالـوا للنبي ﷺ: ألا تكلّم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً صادقاً كما كلّمه موسـى ونظر إليه؟! فردّ عليهم رسول الله ﷺ بأنّ موسى لم ينظر إلى الله ولم يرَه، ونزلت هذه الآية.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: الواو استئنافية، ما: النّافية، كان: تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، لبشر: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وسواء كان نبياً أو رسولاً أو أيّ بشر؛ أي: ما صحّ وما حقّ لبشر أو استقام.

﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: إلا أداة حصر.

الأوّل: وحيـاً: الوحي لغة: هو الإعلام بالخفاء، شـرعاً: هو ما يُلقي الله سـبحانه إلى أنبيائه ورسـله من التّكاليف والتّعاليم الشّـرعية، والآيات والوعد والوعيد.

الثّاني: من وراء حجاب؛ أي: يكلّمه من وراء حجاب كما كلّم الله سبحانه

رسول الله ﷺ ليلة المعراج من وراء حجاب، وكما كلّم الله سبحانه وتعالىٰ موسىٰ عليه السّلام.

الثّالث: أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء: يرسل رسولاً مثل جبريل عليه السّلام (الرّوح الأمين)، في صورة إنسان، أو بالخفاء فيوحي بإذنه: فيُلقي جبريل ما أرسله الله سبحانه به علىٰ رسوله من تكاليف وآيات فيوحي ما يشاء أن يوحي بإذن الله. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾: إنّه للتوكيد، عليٌّ: علوّ الجلال والكمال، علوّ الذّات والصّفات والأفعال، علوّ القدر، العليّ علىٰ خلقه، حكيم: فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين، الحكيم في تدبير شؤون خلقه وكونه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

وقيل: إنّ الوحي الأوّل غير الوحي الثّاني:

الوحي الأوّل: هو الإلهام: مثل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾..

الوحي الثّاني: هو الإيحاء إلىٰ الرّسل بطريق جبريل.

❖ ❖ ❖

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

سورة الشّورى [الآيات ٥٢ - ٥٣]

[٥٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي كما أوحينا إلىٰ سائر الرّسل من قبلك، أوحينا إليك. ولمعرفة معنىٰ (أوحينا إليك): ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣).

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾: أوحينا إليك قرآناً بأمرنا من شأننا سمّاه (روحاً) فهو الرّوح الحقيقة أو الرّوح الثّانية للإنسان، ويمكن القول: إنّ للإنسان روحين: روح تسري في بدنه وتنفخ فيه حين تشكّله في الرّحم، وروح تحيي القلوب وتهدي إلىٰ خالقها ومبدعها، هذه الرّوح الّتي يغفل عنها كثيرٌ من النّاس وتتمثل في القرآن الكريم.

﴿مَا كُنتَ﴾: ما: النّافية، كنت: قبل الإيحاء إليك، تدري ما الكتاب: تعرف ما القرآن.

﴿تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾: ما استفهامية، ما القرآن، وسمّي الكتاب؛ لأنّه مكتوب في الأسطر. تدري: من درىٰ؛ بمعنىٰ: علم، وهناك فرق بين الدراية، والعلم؛ العلم: أعم من الدراية، فالدراية: تكون بمنزلة الإخبار، وتكون بعد الجهل بالشيء، ولذلك لا تستعمل في حق الله تعالىٰ، أما علم أو العلم: يستعمل في حق الله وغيره.

﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: لا النّافية للجنس؛ أي: ولا تدري؛ أي: تعلم الإيمان بالقول والفعل؛ أي: الشّرائع والتّوحيد والأحكام الرّبانية.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك للتوكيد.

﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: أي القرآن الكريم.

﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: به: أي القرآن؛ لأنّه يهدي من الظّلمات إلى النّور، من نشاء: من ابتدائية؛ أي: من نريد والمشيئة تأتي قبل الإرادة، من عبادنا: المؤمنين، من بعضية.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾: إنك، واللام للتوكيد، الخطاب موجّهٌ إلى رسول الله ﷺ، تهدي هداية عامة؛ أي: ترشدهم إلى، وتبين لهم طريق الهداية أو الحق والخير، هداية دعوة أو هداية دلالة، أمّا هداية الله سبحانه فهي هداية خاصة هداية عون؛ أي: هو سبحانه يدخل الإيمان في قلوبهم، ولست أنت، وهذا يفسر لنا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي تهدي إلى دين الله الإسلام، الصّراط المستقيم الّذي لا اعوجاج له. ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٦) والآية (٧) لمزيد من البيان.

[٥٣] ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾:

في الآية السّابقة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وفي هذه الآية عرف الصراط المستقيم بالقول الذي هو: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾: دين الله، الصّراط المستقيم الّذي هو الإسلام، الصّراط الموصل إلى الغاية العظمى بأقصر زمن ومسافة وبدون عائق.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿لَهُۥ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية، له حصراً؛ أي: لله وحده.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: وله ما في السموات خلقاً وملكاً، وما في السّموات ذاتها وكلّ شيء فيها له وحده.

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: وله ما في الأرض خلقاً وملكاً، وكلّ شيء، وما في الأرض ذاتها وما فيها.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: وحده لا إلىٰ أحد غيره.

﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: أي ترجع وتنتهي جميع الأمور للقضاء فيها والحكم والفصل.

❖❖❖

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

سورة الزّخرف [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٤٣)، وترتيبها في النّزول (٦٣).

وهذه رابع سورة تبدأ بـ حم، فهناك سبع سور متتالية تبدأ بـ حم، وتسمّى الحواميم، أولها سورة غافر، وآخرها الأحقاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾:

﴿وَالْكِتَابِ﴾: الواو: واو القسم، يقسم الله سبحانه، والله غني عن القسم يقسم بالكتاب لعلو شأنه ومكانته عند الله سبحانه، والكتاب: هو القرآن الحكيم، وسمي الكتاب؛ لأنّه مكتوب في السّطور واللوح المحفوظ. ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿الْمُبِينِ﴾: الواضح لكل فرد يقرأه ويطلع عليه، وقادر على فهم معناه، والواضح في أحكامه وشرائعه ووعده ووعيده.

[٣] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾:

﴿ إِنَّا ﴾: للتعظيم.

﴿ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾: أي: صيرناه، وهذه الآية تذكرنا بآية أخرىٰ مشابهة في سورة يوسف وهي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آية:٢]، جعلناه قرآناً عربياً: هناك فرق بين الإنزال والجعل، جعلناه؛ أي: صيرناه قرآناً عربياً قبل إنزاله، ثم أنزلناه قرآناً عربياً، والسياق لا يذكر أي وحي حتىٰ يذكر الإنزال، وإنما هو ﴿ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾، وفي سورة يوسف آية (٢) قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾؛ لأنها جاءت في سياق الوحي ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:٣]، وإنزال قصة يوسف، وفي كلا الآيتين قال تعالىٰ: (لعلكم تعقلون) للتوكيد.

﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: لعل: تفيد التّعليل، تعقلون: تفهمون معانيه، وما تؤمرون به وما تنهون عنه وتعملون آياته وتعملون بما فيه، تعقلون: من عقل الشيء عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه ونتائجه، أيْ: تصلون إلىٰ الحقيقة وهي أن الله سبحانه هو أنزل هذا القرآن، وأنه هو الإله الحق الّذي يجب أن يطاع ويُعبد.

[٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾:

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾: أنّ القرآن مثبت مكتوب.

﴿ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: في اللوح المحفوظ لقوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ [البروج:٢١-٢٢]. وسمي أم الكتاب؛ لأنه مصدر لكل الكتب السماوية.

أو أم الكتاب الأصل وهناك اللوح المحفوظ فهو في كلاهما.

﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا.

﴿لَعَلِيٌّ﴾: اللام للتوكيد، لذو علو شأن ومكانة على الكتب السّابقة ورفيع المنزلة والقدر.

﴿حَكِيمٌ﴾: محكم لا تناقض فيه، ذو حكمة محكم لا يتعارض بعضه مع بعض. ارجع إلى سورة هود آية (١).

[٥] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾:

﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ، ونضرب عنكم الذّكر، أيْ: أننحّيه ونبعده عنكم.

﴿عَنكُمُ﴾: خاصة.

﴿الذِّكْرَ﴾: القرآن.

﴿صَفْحًا﴾: الصّفح: مشتقة من صفحة الوجه، أيْ: جانبه والإعراض بصفح الوجه يعني: أشد الإعراض، ويقال: صفحت عنه، أيْ: أعرضت عنه وصافحين معرضين، أيْ: أنمسك إنزال القرآن عليكم أو نعرض عنكم فلا ننزل عليكم شيئاً فلا توعظون ولا تؤمرون أو نهملكم، فلا ننزل عليكم شيئاً أو نترككم في كفركم.

﴿أَن﴾: أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: مشركين مسرفين بالذّنوب والآثام وفي

الضّلالة والجهالة أو بالإعراض وعـدم الطّاعة، أم ننزله عليكم ونوضّح لكم ما فيه فإن آمنتم فهو خير لكم، وإن تولّيتم فقد قامت عليكم الحُجَّة.

مسرفين: جملة اسمية تدل على صفة الإسراف ثابتة عندهم لا تتغير.

ثم يخبر الله سبحانه رسوله ﷺ بأنّه قد أرسـل الكثير من الرّسل من قبله فاستهزأ بهم قومهم فأهلكهم الله.

[٦] ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾:

﴿ وَكَمْ ﴾: الواو استئنافية، كم الخبرية تفيد أو تدل على الكثرة، أيْ: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم الماضية.

[٧] ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾: الواو عاطفة، ما النّافية.

﴿ يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ ﴾: من ابتدائية استغراقية.

﴿ إِلَّا ﴾: أداة حصر.

﴿ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾: الاستهزاء: هو تصغير قدر الآخر أو الشّيء والتّحقير أو الاسـتخفاف به، أو إلحاق العيب به يستهزئون: تدل على التّجدد والتّكرار أو حكاية الحال بدلاً من اسـتهزؤوا به، يستهزئون كأنّه تقع الآن للدلالة على عظم الاستهزاء بالأنبياء أو كلاهما معاً.

وفي سـورة الحجر آية (١١) قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: الرّسل لم يكونوا أفضل حظاً من الأنبياء، فالكل استهزأ بهم قومهم. ولنعلم أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

ولمعرفة الفرق بين الرّسول والنّبي ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٤).

[٨] ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾:

﴿ فَأَهْلَكْنَآ ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتّعقيب.

﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم ﴾: أيْ: من هو أشد من قومك.

ولمعرفة معنى الهلاك ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤).

﴿بَطْشًا﴾: أيْ: قوةً وسطوةً وعنفاً من قريش من بطش يبطش، أيْ: أخذه؛ أي: عاقبه بقوة وعنف.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: ومضى: سبق في الآيات القرآنية صفة هلاكهم وعذابهم مثل قوم نوح عاد وثمود المؤتفكات وفرعون، أيْ: ذكرت قصصهم الّتي يمكن اعتبارها مثل للآخرين.

[٩] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾:

﴿ وَلَئِن ﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية.

﴿سَأَلْتَهُم﴾: سألت قومك، أيْ: هؤلاء المشركين.

﴿مَّنْ﴾: استفهامية تفيد التّقرير.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: الخلق: الإيجاد والتّقدير.

ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣٠) وفصلت آية (١٠-١١) لمزيد من البيان في خلق السموات، وسورة الأعراف آية (٥٤).

﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام والنّون في يقولنَّ للتوكيد.

﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أيْ: هم لا ينكرون أنّ الله العزيز العليم الّذي خلق السّموات والأرض، العزيز: القوي الغالب الّذي لا يُغلب والقاهر الّذي لا يُقهر الممتنع علىٰ كل شيء.

العليم: بأحوال الكون وأحوال خلقه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض. ورغم اعترافهم بأن خالق السّموات والأرض هو الله، فهم بربهم يعدلون ويشركون، وينسون أنه أيضاً الّذي أنعم عليهم بأن جعل لهم الأرض مهداً وسلك لهم فيها سبلاً، وأنزل من السّماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها، وخلق الأزواج كلها والفلك والأنعام، وكل ما يركبونه، وبدلاً من أن يشكروه يشركوا به، ويجعلون له الولد والبنت، وغيرها، كما سنرىٰ في الآيات القادمة.

[١٠] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: بعد أن خلق الأرض جعلها مهداً (تشبيه بليغ) المهد هو فراش الطّفل (المهاد) كي تستقرون فيها، فلا تشعرون بحركتها،

فهي تدور حول الشّمس بحركة تقدر بـ (٣٠) كم بالثانية، ولكن لا نشعر بذلك؛ لأننا ندور مع الأرض بنفس السّرعة.

﴿مَهْدًا﴾: بساطاً وفراشاً. مريحاً رغم أن الأرض كروية الشّكل.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طرقاً، السّبل أفضل من الطّرق من حيث السّير عليها، وأوسع سبلاً (جمع سبيل) تسلكونها إلىٰ حيث تريدون.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلىٰ مقاصدكم وأسفاركم، ولعل: للتعليل، تهتدون: تفيد التّكرار والتّجدُّد في الهداية للوصول إلىٰ غايتكم.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَٰتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۚ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الزّخرف [الآيات ١١ - ٢٢]

[١١] ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾:

انتهت الآية (٩) بقوله: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ﴾.

تكرار الّذي يفيد التّوكيد وتدل على التّعظيم.

﴿نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ﴾: نزل من السّماء: أيْ: من السّحاب (السحاب الركامي)، وتعريف السّماء: هي كل ما علاك؛ فالسحاب هو من السماء. ماءً: له أسماء أخرى الغيث، المطر، الودق، الطّل، نزل تعني: المرات العديدة بينما أنزل من السّماء تعني: مرة واحدة.

بقدر: بكميات معينة مقدرة كبيرة أو قليلة قد تسبب الفيضانات أو قليلة تسبب الجفاف أو معتدلة حسب الحاجة.

فقد قدر العلماء أن كمية الماء على الأرض لا تتغير في الكمية فهنالك (١،٤٠٠ مليون كم٣) يتبخَّر منها كل عام (٦٠٠،٠٠٠ كم٣) من الماء، و(٥٠٠،٠٠٠ كم٣) يتبخَّر من مياه البحار والمحيطات، و(١٠٠،٠٠٠ كم٣) يتبخَّر من اليابسة، وتنفس الحيوانات والنّاس والأنّهار والبحيرات، ويعيد الله سبحانه على اليابسة (١٦٥،٠٠٠) بزيادة (٦٥،٠٠٠كم٣) يأخذها من البحار والمحيطات، فيُعيد على البحار والمحيطات (٤٣٥،٠٠٠) بدلاً من (٥٠٠،٠٠٠) تلعب هذه الزّيادة دوراً مهماً في تعرية الجبال، وتفتيت الصخور وإعادة تركيز

المعـــادن وإغناء التربة بالمعـــادن الضرورية في عملية الإنبـــات وغذاء الحيوان والإنسان وتلطيف المناخ، فهذا من رحمة الله وكرمه.

﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ الفاء تفيد المباشرة، أنشرنا به: أحيينا به، أيْ: بالماء وتقديم به يفيد التّوكيد والحصر.

بلدة ميتاً: بلدة مجدبة (لا نبات فيها ولا زرع) المراد به بالماء إحياء الأرض بالنّبات والزّرع. وانتبه إلىٰ الفرق بين:

ميْتاً: بسكون الياء التي تدل علىٰ بلدة ماتت بالفعل منذ زمن. وأما لو جاءت الياء مشـــددة فهي تدل علىٰ بلدة ما زالت فيها حياة، وستموت قريباً إذا لم يصلها الماء، كما في سورة فاطر آية (٩)، أو أرض غير قابلة للزراعة علىٰ الإطلاق، وهو سبحانه قادر علىٰ إحياء كلا النّوعين من الأرض.

﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: ارجع إلىٰ ســـورة الـــرّوم آيـــة (١٩)، أيْ: مثل هذا الإحياء للأرض الميْتة بالماء تحيون وتخرجون من القبور.

[١٢] ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِى﴾: تعود علىٰ العزيز العليم، الواو عاطفة.

﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: الـــزّوج هو الصّنف، أيْ: خلـــق الأصناف كلها في زوجيَّة (زوجين) وتشـــمل الإنســـان والحيوان والنّبات، والزّوج: الذّكر والأنثىٰ والسّـــالب والموجب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذّاريـــات:٤٩]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾[النجم:٤٥] ليبقىٰ سبحانه وحده المتفرِّد بالوحدانية في هذا الكون.

﴿كُلَّهَا﴾: للتوكيد.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾: من بعضية، بعض الأنعام مثل الإبل ما تركبون بينما الغنم والماعز لا نركبها.

الفلك: تطلق على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، أي: السّفن.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الّذي تركبون، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَرْكَبُونَ﴾: تدل على التّجدُّد والتّكرار.

[١٣] ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾:

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾: اللام للتعليل والاختصاص، الاستواء: يعني الاستقرار من استوى: استقر وقعد على كرسيه أو مقعده في السّيارة أو الطّائرة أو المركبة أو السّفينة، على ظهوره ولم يقل: على ظهورها.

﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾: التّذكير يفيد القلة فالأنعام الّتي تركب (أي: الإبل) قلة بالنّسبة لعدد الأنعام جميعاً الغنم والبقر والماعز (هذا في القديم) وعلى الاستعلاء الحقيقي أو المجازي والاستقرار، يعني: أيضاً التّمكن من القيادة قيادة السّيارة أو الطّائرة أو المركبة.

﴿ثُمَّ﴾: لا تعني هنا التّراخي من الزّمن، وإنما تعني التّباين بين الاستواء وذكر الله والدّعاء دعاء السّفر والتّسمية الّذي هو أهم من الاستواء، أيْ: تقولوا بسم الله مثلاً سبحان الّذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين عند الرّكوب والاستواء، أو عند الإقلاع.

﴿تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾: نعمة التّسخير والاستواء.

﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: إذا ظرفية تفيد الحتمية، استويتم عليه: إعادة ذكر الاستواء مرة ثانية تفيد التّوكيد.

﴿وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ﴾: أي: تنزهوا الله بالتسبيح والقول سبحان الله عن كل ما لا يليق به من نقص أو عيب في ذاته وصفاته وأفعاله وبديع صنعه وخلقه. ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (١) والحديد آية (١) لمزيد من البيان.

﴿ٱلَّذِى﴾: للتعظيم.

﴿سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾: ذلل لنا هذا المركب الصّعب أو الدابة أو الطّائرة أو المركبة.

﴿وَمَا كُنَّا﴾: الواو واو الحالية تفيد التّوكيد، ما: النّافية.

﴿لَهُۥ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والتّوكيد.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾: أيْ: ما كنا بقوتنا وطاقتنا قادرين علىٰ توجيهه والتّحكم به حيث نريد والسّيطرة عليه كي نقوده، أو نستوي عليه إلا بتسخير الله لنا هذه المراكب.

من أقرن الشّيء: أطاقه وقوي عليه وفلان قرن لقرن: إذا كان مثله في الشّدة والقوة.

[١٤] ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾:

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: إنا: للجمع، إلىٰ ربنا: تقديم إلىٰ ربنا لتدل علىٰ الحصر والتّوكيد، أيْ: إليه وحده، لمنقلبون: عائدون إليه، المصير بعد البعث والقيام.

﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾: راجعون، ولكنه لم يقل: راجعون؛ لأنّ هناك فرقاً بين الرّجوع

والانقــلاب، الرّجوع يعني: العودة إلىٰ المكان الّذي خرج منه وبنفس الحالة من غير تغيُّر.

الانقــلاب: الخروج مــن المكان والرّجــوع إليه بغير الحــال الّذي كان عليها زمن الخــروج أو عدم العودة إلىٰ نفس المــكان، فاختار كلمة الانقلاب؛ لأنّ المســافر أو الرّاكب في السّيارة أو الطّيارة أو غيرها من الوسائل قد تغرق به السّــفينة أو تتحطم به الطّائرة أو يحدث له حادث ولا يرجع إلىٰ داره أو لا يرجع حتّىٰ إلىٰ الدّنيا وإنما ينتقل إلىٰ الآخرة. ويذكرنا بأننا في الدّنيا في حالة سفر دائم إلىٰ الآخرة.

ولم يقل: منقلبون كما في الآية (٥٠) في ســورة الشعراء وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾، وإنما قال: لمنقلبون: جاء بلام التّوكيد حتّىٰ لا ينسىٰ الرّاكب أو المســافر ذكر الله وأنّه في رحمة الله تعالىٰ حتّــىٰ يعود، وأنّه غير منفلت من قضاء الله، وحتّىٰ يكون مســتعداً بقلبه ولسانه للقاء ربه، سواء عاد إلىٰ بيته سالماً أم لا، وأما الآية (٥٠) في ســورة الشعراء فهي آية خاصة جاءت في سياق سحرة قوم فرعون حين هددهم فرعون بالقتل والصلب، بينما آية الزخرف فهي آية عامة لكل من ركب في الفلك أو دابة.

[١٥] ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾:

المناســبة: رغم اعترافهم بأنّ الله هو الخالق العزيز العليم فهم يشركون به ويفترون علىٰ الله ســبحانه الكذب بأشكال شــتىٰ منها أنهم جعلوا له من عباده جزءاً، أي: المشركون والمسرفون جعلوا له، أيْ: لله سبحانه وتعالىٰ، أيْ: زعموا باطلاً.

﴿لَهُۥ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مِنْ﴾: بعضية، بعض عباده وهم الملائكة.

﴿عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾: جعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن، جزءاً: المراد بالجزء في هذه الآية الولد، أيْ: بنات الله؛ لأنّ الفرع جزء من أصله، أي: الولد جزء من الوالد أو الولد جزء من أبيه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: للتوكيد.

﴿لَكَفُورٌ﴾: اللام للتوكيد والتّعليل، كفور: صيغة مبالغة كثير الكفر والجحود والإشراك بالله أو جاحد لنعم الله.

﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر كفره وجحوده لكل فرد أو كفره بيِّن واضح لا يحتاج إلىٰ دليل أو بيِّنة وشرح.

[١٦] ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾:

﴿أَمِ﴾: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ، أم للإضراب الانتقالي، أيْ: أنكر علىٰ المشركين الّذين زعموا أنّ الملائكة بنات الله سبحانه وزعموا زعماً آخر هو أنّ البنات أدنىٰ من البنين درجة وجعلوا لأنفسهم البنين، ويجعلون لله البنات.

﴿ٱتَّخَذَ﴾: من أفعال التّحويل والتّصيير، أيْ: صير.

﴿مِمَّا﴾: (من + ما) من ابتدائية، ما بمعنىٰ الّذي، وهي أوسع شمولاً من الّذي.

﴿يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾: أيْ: صيَّر لنفسه البنات (حيث زعموا أنّ الملائكة بنات الله).

﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾: وآثركم ربكم علىٰ نفسه فخصَّكم بالبنين.

﴿بِٱلْبَنِينَ﴾: باء الإلصاق والملازمة، أيْ: أنّ الله فضلكم علىٰ نفسه بأنّ

أصفاكم بالبنين، واكتفىٰ لنفسه بالبنات، أو أنتم فضلتم أنفسكم علىٰ الله فزعمتم أن لكم البنين وله البنات؟ ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (١٥٣-١٥٩) للبيان.

[١٧] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾:

هذا تتمة الإنكار والتّوبيخ.

﴿ وَإِذَا ﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿بُشِّرَ أَحَدُهُم ﴾: بما ضرب الرّحمن مثلاً، أيْ: بالأنثىٰ، أيْ: بُشر بأن ولدت له بنت أصيب بالغم والكآبة، والبشارة: هي الخبر السار ولأول مرة تسمعه، واستعمل البشارة علىٰ سبيل التهكم والسّخرية.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾: تغيَّر وجهه واغتاظ من شدة الحزن علىٰ سوء ما بُشر به.

﴿ وَهُوَ ﴾: الواو حالية، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿كَظِيمٌ ﴾: ممتلئ غيظاً وغماً؛ لأنّه لا يريد ذلك أو خوفاً من أن يلحق به العار أو كما كان يزعم أهل الجاهلية باطلاً.

وهذه الآية تشبه آية أخرىٰ هي قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ [النحل:٥٨-٥٩]. ارجع إلىٰ آية النحل لمزيد من البيان.

[١٨] ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾:

﴿أَوَمَن ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، من: اسم موصول تشمل المفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿ يُنَشَّؤُا۟ ﴾: أيْ: أَجعلوا لله البنات (اللواتي ينشأن أو يتربَّين في الحلية

والزّينة)، وينشؤا فيها مبالغة في النشأة مقارنة بالقول أومن ينشؤا، وتعني المرور بمراحل مختلفة.

﴿فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾: ظرفية، أيْ: يُربىٰ في الحلية؛ أي: في الزّنية وتضم الذّهب والفضة، والزينة أعم من الحلية، وتشمل كل أنواع الزينة الخارجية والداخلية.

﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: وإذا اشتركت أو دعيت إلىٰ الخصام والجدال والحوار فقد تكون غير قادرة أن تبين وتشرح أفكارها وتوضح ما تريده. وهذا كان سببه الجاهلية (جهل الأمم السّابقة) وظنّهم الخاطئ بشأن الأنثىٰ وحرمانها حقوقها.

وقد يكون سبب كونها في الخصام والجدال غير مبين هو حياؤها وعفتها ووقوفها بين الرّجال يجعلها تشعر بعدم الارتياح في هذا الموقف، فتحاول أن لا تبدي رأيها أو تناقش وتجادل، ولنعلم أنّ هناك كثيراً من النّساء تفوق الكثير من الرّجال في الحوار والجدال والأعمال التّقنية والعلوم والاكتشافات، أما كونها تنشأ في الحلية فهذا شيء أباحه الله لها وليس عيباً.

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾:

﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: أي: المشركين، جعلوا: زعموا باطلاً أنّ الملائكة إناث من دون أيِّ علم أو دليل.

﴿إِنَٰثًا﴾: جمع أنثىٰ أو بنات الله.

فردَّ الله سبحانه عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾: للاستفهام الإنكاري، والجواب طبعاً: لا لم يشهدوا أيْ: لم يحضروا خلقهم حين خلق الله الملائكة فرأوا أنّ الله خلقهم إناثاً.

ومع ذلك ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾: السّين للاستقبال القريب، سنكتب شهادتهم، شهادة الزّور في صحائف أعمالهم.

﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾: يوم القيامة عما زعموا من شهادة الزّور بأنّ الملائكة إناثٌ. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (١٥٠) لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: أي: الّذين أشركوا للذين أنكروا عليهم عبادة الملائكة أو الأصنام.

﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾: أيْ: لو شاء الله ما عبدنا الملائكة، أيْ: مُنعنا من عبادتهم، أو أنزل علينا الرحمن شيئاً يخبرنا بذلك، وهو كلام حقٍّ يُراد به باطلٌ، أيْ: حُجَّة باطلة.

﴿مَا﴾: النّافية، تنفي الحال غالباً.

﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: ما النّافية، لهم: اللام لام الاختصاص، بذلك اسم إشارة يشير علىٰ زعمهم الباطل.

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾: من استغراقية تستغرق أيَّ علم نُقل إليهم أو نُزل عليهم أو سمعوه من رسلهم بطريقة الوحي أو الإلهام.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: إن نافية أقوىٰ نفياً من (ما)، هم: تفيد التّوكيد، إلا: أداة حصر.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: الخرص هو الحزر والخرص من دون تحقيق يشبه الكذب، يخرصون في أقوالهم أنّ الملائكة إناث، أو بنات الله، أو لو شاء الرّحمن ما عبدناهم.

ما هو الفرق بين ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[الجاثية:٢٤].

الآية: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ جاءت في سياق زعمهم أنّ الملائكة بنات الله.

أما الآية: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: فجاءت في سياق إنكارهم للبعث.

ولنعلم أنَّ (إن هم إلا يخرصون) أسوأ وأقبح من (إن هم إلا يظنون)؛ لأنّ الخرص هو حزر وكذب والظّن هو أعلىٰ درجة من الشّك.

[٢١] ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري ينكر عليهم إيتاء أيِّ كتاب مهما كان نوعه (كتاباً: نكرة تشمل أيَّ صحيفة أو كتاب).

﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: من الإيتاء وهو يشمل الأشياء الحسية والمعنوية، ويختلف الإيتاء عن العطاء. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

﴿كِتَٰبًا﴾: مكتوب فيه اعبدوا الملائكة أو اعبدوا غير الله، أو أن الملائكة إناث وبنات الله، أو الأصنام أو الأولياء أو آتيناهم تشمل أيَّ حُجَّة ودليل يحلُّ لهم الشّرك بالله سبحانه وتعالىٰ.

﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل القرآن العظيم.

﴿فَهُم﴾: الفاء للتوكيد، وهم للحصر والتّوكيد.

﴿بِهِۦ﴾: تقديم به يدل علىٰ الحصر، أيْ: فقط به.

﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾: كدليل لهم أو حُجَّة يحتجون بها علىٰ صحة أفعالهم وصدق أقوالهم، مستمسكون جمع مستمسك اسم فاعل تدل علىٰ الثّبوت، ثبوت صفة الإمساك به، وكذلك علىٰ شدة الإمساك به.

[٢٢] ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾:

﴿ بَلْ ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿قَالُوٓاْ﴾: تعود على قريش الذين بعث الله إليهم رسول الله ﷺ الّذين قالوا: الملائكة بنات الله أو إناث، ولو شاء الله ما عبدناهم، ورد الله عليهم بقوله: ما لهم بذلك من علم؛ لأنّهم لم يشهدوا خلقهم ولم ينزل عليهم كتاب من قبل القرآن يدعوهم إلى عبادة الملائكة، أو يكون دليلاً لهم، وكل أقوالهم مجرَّد خرص وكذب، فبعد أن ردَّ الله على كل أكاذيبهم لم يجدوا ملجأ يلجؤون إليه أو مبرِّراً يبرِّر عبادتهم إلا القول: إنما نحن نقلد آباءَنا.

﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: على ملَّة أو طريقة أو مذهب، أمة: مشتقة من الطّريق الّتي تؤم، أيْ: تقصد، يمشي النّاس عليها بكثرة، على: تفيد الاستعلاء.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾: وإنا للتوكيد، على آثارهم: على هديهم أو سنتهم سائرون، وكان الرد عليهم: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الآية:٢٤] من نفس السورة.

﴿مُّهْتَدُونَ﴾: أيْ: هم يزعمون أن آباءَهم على هدىً، وبالتّالي هم على هدىً حين قالوا: إنّ الملائكة إناث، وهم بنات الله وعبادتهم قام بها الآباء والأجداد، ونحن فقط نسير على سيرهم، وهذا اعتراف صريح وحُجَّة عليهم وليس حُجَّة لهم.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصّافات: ٦٩ـ ٧٠].

❖❖❖

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾
قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ
إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ
إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ
مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ
لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ
يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم
بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

سورة الزّخرف [الآيات ٢٣ - ٣٣]

[٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾:

لا بُدَّ من العلم أنّ الآية السّابقة (٢٢) تتحدث عن مشركي قريش، الّذين زعموا أنّ الملائكة إناث، وأنّهم بنات الله، وأنهم يعبدونهم كما عبدهم آباؤهم، وهذه الآية (٢٣) تتحدث عن الأمم السابقة والمترفين الّذين كانوا قبل مجيء مشركي قريش.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أيْ: مثل ما قال مشركو قريش أو مكة: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، قال المشركون والمترفون السّابقون لرسلهم: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون.

فما هو الفرق بين الّذين قالوا: إنا على آثارهم مهتدون؛ أي: مشركي قريش والعرب، والّذين قالوا: إنا على آثارهم مقتدون من جاء قبلهم من الكفار والمقربين.

الّذين قالوا: إنّا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون، أي: المشركون والمترفون من جاءوا قبل قريش، هؤلاء لا يدّعون الهداية لأنفسهم ولا لآبائهم، ولا تهمهم الهداية، وإنما يهمهم إلا التّرف والشّهوات والمعاصي بسبب ضلالتهم وشركهم، أما مشركو قريش أو مكة هم ومن جاء من آبائهم فهم يدعون باطلاً الهداية لأنفسهم وآبائهم، أيْ: أنّ آباءَهم كانوا مهتدين، وهم يقلدونهم، فهم أسوأ وأشد ضلالاً من المترفين الكافرين أو المشركين الّذين قالوا: إنّهم على آثار آبائهم مقتدون.

﴿مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾: ما النّافية، أرسلنا من قبلك: يا رسول الله ﷺ.

﴿فِي قَرۡيَةٖ﴾: في ظرفية قرية.

﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾: من استغراقية، نذير: الإنذار الإعلام مع التّحذير، أيْ: يبلغها ما أرسل إليهم به ويحذرها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾: جمع مترف، والترف: هو التوسع في ملذات الدنيا، وشهواتها والإسراف؛ أي: تجاوز حد الاعتدال، والمترف: هو الغني الذي أطغته النعمة أو الغنىٰ، والمنغمس في ملاذ الدنيا وشهواتها بالتبذير، والإسراف الذي يؤدي إلىٰ فساده. إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون. أيْ: بشرائعهم وبسننهم نعمل.

[٢٤] ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿قَٰلَ﴾: تعني: كل نذير، أيْ: رسول قال لأهل قريته بما فيهم رسول الله ﷺ قال لمشركي مكة:

﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡ﴾: أولو: الهمزة للاستفهام الإنكاري، جئتكم بشريعة أو ملة أهدىٰ من ملة آبائكم وأهدىٰ من شرككم وضلالكم كان هذا رداً علىٰ مشركي قريش.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: مشركو قريش والعرب.

﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: إنا للجمع والتّوكيد، بما: الباء باء الإلصاق، ما تعني: الّذي وهي أوسع شمولاً من الّذي.

أرسلتم به كافرون: أيْ: لا نؤمن ولا نصدق بأيِّ شيء جئتمونا به، كافرون: صفة تدل علىٰ الثّبوت.

[٢٥] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: الفاء السّببية تربط السّبب بالمسبب، انتقمنا منهم: تعود على الكل؛ أيْ: عاقبناهم على كفرهم بأنواع مختلفة من العذاب، فمنهم من أخذته الصّيحة، ومنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الرّجفة ومنهم من أغرقنا.

﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء جواب شرط مقدَّر تقديره: إن كذبك قومك فانظر كيف كان عاقبة المكذبين، انظر: نظرة قلبية فكرية، نظرة تمعُّن واعتبار.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام وتحذير.

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: كيف كان عذاب المكذبين، وتذكير كلمة العاقبة في القرآن كقوله: ﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ يعني: العذاب، وتأنيث كلمة العاقبة في القرآن تأتي في سياق العاقبة الحسنة كالجنة.

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾:

المناسبة: كان أجدر بهؤلاء مشركي مكة الّذين قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، أن يقلِّدوا ويتَّبعوا إبراهيم عليه السّلام وليس آباءهم وأجدادهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾: الواو استئنافية، إذ: أي: اذكر، إذ قال إبراهيم: أو اذكر حين قال إبراهيم لأبيه.

﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾: اللام لام الاختصاص، أبيه: آزر، أو قيل: عمّه. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٤) للبيان.

﴿إِنَّنِى﴾: لم يقل: إني، قال: إنني للتوكيد (نون التّوكيد).

﴿بَرَآءٌ﴾: من برأ منه، أي: تخلَّص منه وتباعد عنه وتبرأت من الأمر أي: تخليت عنه، براءٌ، أيْ: لا أعبد الّذي تعبدون.

براءٌ: مصدر بريء على وزن فعال، وتقال للواحد والاثنين والجمع، إنا براء منك أو منكما أو منكم.

في سورة الأنعام آية (٧٨) ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

في سورة الزّخرف هذه الآية (٢٦) قال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

براءٌ مصدر بريء أو براءة مصدر لفعل برأ يبرأ.

في سورة الممتحنة آية (٤) ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ جمع بريء. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٨) لمعرفة الفرق والبيان.

﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: من ابتدائية استغراقية، ما: اسم موصول بمعنى الّذي وما عامة تشمل كل ما يعبدون إلا الله، كما سيرد في الآية التّالية. ارجع إلى سورة النّحل آية (٧٣) لتعريف العبادة، تعبدون: بصيغة المضارع تفيد التّكرار والتّجدُّد.

[٢٧] ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾:

﴿إِلَّا ٱلَّذِى﴾: إلا: أداة استثناء أو حصر، الّذي: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿فَطَرَنِى﴾: خلقني، أي: الّذي أخرجني للوجود، والفطر هو الإبداع والإيجاد من غير سبق وأصله الشّق، وفطر: طلع وظهر.

﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء تعليلية، إنّه: للتوكيد.

﴿سَيَهْدِينِ﴾: السّين تدل على الاستقبال القريب، وهل يعني أنّ إبراهيم عليه السّلام لم يكن مهدياً (من قبل) الجواب: كلا، كان مهدياً، والدّليل في سورة الشّعراء آية (٧٨) قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ فلا بُدَّ من الجمع بين الآيتين يهدين وسيهدين أيْ: يهدين للحال

وسيهدين للاستقبال، أي: الاستمرار على الهداية والاستقامة عليها، وحذف الياء؛ لأن الهداية لن تخصه وحده بل الهداية تكون له ولغيره من الناس ولو كانت خاصة به وحده لقال سيهديني.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ﴾: أيْ: جعل كلمة التّوحيد لا إله إلا الله، أو ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: في ذريته أو خلفه، أو فيمن يأتي من بعده إلى يوم القيامة، والعقب الولد وولد الولد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل: للتعليل، يَرْجعون بفتح الياء ولم يقل يُرْجعون، يرجعون برغبتهم وإرادتهم بالتوبة إلى عبادة الله وحده، بينما يُرجعون: بالقسر وبغير إرادتهم، لعلهم يَرجعون: إلى ربهم بالإنابة والتّوبة وإليه وحده والإخلاص له، يرجعون إلى توحيد الألوهية والرّبوبية والأسماء والصّفات.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾:

المناسبة: يعود الله سبحانه ليتحدث عن مشركي مكة كيف أمهلهم ولم يعجِّل لهم بالعقوبة، ومتَّعهم بالنّعيم وطول العمر، وأنزل عليهم القرآن وجاءهم رسولٌ مبين، وماذا فعلوا عندها قالوا: هذا سحرٌ، وإنا به كافرون.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾: أي: مشركي مكة وآباءهم، متعت: من المتاع: وهو كلُّ ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه ويتمتع به من أثاث وسلعة وأداة وهو متاع زائل، متعتهم بطول العمر والسّعة في الرّزق والأمن، فاغتروا بالنّعم وأسرفوا في شهواتهم وعبادتهم لأوثانهم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: وهو القرآن العظيم.

﴿وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾: أيْ: محمّد ﷺ بين الرّسالة أو الدِّين، مبين: ظاهر لكلّ فرد منهم أنّه رسول الله وليس بكاهن ولا بشاعر ولا مجنون ولا يحتاج إلىٰ بيِّنة أو حُجَّة، مبين: للحق وما جاءَهم من الأحكام والشرائع.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾ الواو عاطفة، لما: ظرف زماني بمعنىٰ حين، أيْ: وحين جاءهم الحق: القرآن العظيم.

﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ﴾: قالوا: أيْ: كفار قريش، هذا: اسم إشارة للقرب والهاء للتنبيه إشارة إلىٰ القرآن، سحر: اتهموا القرآن بالسّحر لما رأوا تأثيره القوي في القلوب والأنفس، وكانوا يظنون كل شيء خارق للعادة سحراً. ارجع إلىٰ سورة طه الآية (٥٨) لتعريف السّحر، وسورة البقرة (١٠٢) لمزيد من البيان.

﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: ضمير الجمع، به: بالقرآن، وقدَّم به للحصر والقصر، كافرون: لا نؤمن به ولا نصدقه، أيْ: جاحدون، كافرون: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت، أيْ: صفة الكفر عندهم ثابتة لا تتغيَّر أو تتبدَّل.

[٣١] ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَقَالُواْ﴾: الواو عاطفة، قالوا: أيْ: كفار مكة.

﴿لَوۡلَا﴾: أداة حضٍّ وحثٍّ.

﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾: نُزل، أيْ: بشكل منجم، أي: علىٰ دفعات ولو قالوا: أنزل لكان يعني ذلك علىٰ دفعة واحدة، هذا القرآن: كما في الآية السّابقة.

﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾: علىٰ تفيد الاستعلاء، ولم يقل: إلىٰ رجل

التـــي تفيد الانتهاء، نُزل من اللوح المحفوظ، أيْ: هم اســـتنكروا أن يُنزل القرآن علىٰ محمّد ﷺ وهو ليس من زعمائهم وســـادتهم، رجل من (ابتدائية) القريتين عظيـــم: رجل من القريتين مكة أو الطّائف. كما قـــال ابن عباس والرجل العظيم من مكة هو الوليد بن المغيرة القرشـــي، وقيل: عتبة بن ربيعة والرّجل العظيم من الطّائف، قيل: هو حبيب بن عمرو بن عمير الثّقفي، وقيل: غيره من الأسماء مثل مسعود بن عمرو، رجل عظيم: يعني: ذا جاه ومال وسيد في قومه.

[٣٢] ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾:

المناسبة: يرد الله سبحانه علىٰ اعتراضهم بإنزال النّبوة علىٰ رسول الله ﷺ بقوله: أهم يقسمون رحمة ربك.

﴿ أَهُمْ ﴾: الهمزة: اســـتفهام إنكاري وتحمل معنىٰ التّعجب والضّمير يعود علىٰ كفار قريش، أهم يقسمون رحمة ربك أهم الّذين يختارون من يكون رسولاً أو نبياً لهم؟

﴿يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: أي: النّبوة، وكما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: نحـــن: للتعظيم، قســـمنا بينهم معيشـــتهم في الحياة الدّنيا: أيْ: قســـمنا: وزعنا أرزاقهم بينهـــم في الحياة الدّنيا فمنهـــم الغني ومنهم الفقير ومنهم التّاجر ومنهـــم المزارع ومنهم الطّبيب ومنهم الصّانع.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: في الرّزق والغنىٰ والفقر والعلم والجاه والصّحة والعافية والقوة والمهن والحرف والوظائف وغيرها.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: اللام لام التّعليل، سخرياً: أيْ: ليساعد بعضهم بعضاً في سُبل العيش والخدمة، هذا بماله وهذا بعمله، فالطّبيب يحتاج إلىٰ الخباز، والخباز يحتاج إلىٰ الطّبيب، فلو تساوىٰ النّاس في الغنىٰ وفي الحِرف ولم يحتاج بعضهم إلىٰ بعض لتعطّلت سبل معاشهم وحاجتهم لغيرهم، وهناك فرق بين سُخرياً بضم السين، وسِخرياً بكسر السين، كما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون:١١٠] التي تعني: السخرية والاستهزاء، وأما سُخرياً بضم السين: من التسخير؛ أي: يخدم بعضهم بعضاً، والتسخير له معنىٰ آخر هو التذليل كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٦٥].

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: رحمة ربك، أي: النّبوة أو الهداية والقرآن ونعمة الإسلام والإيمان أو الجنة، خير: أيْ: أفضل من، ما: ابتدائية استغراقية، ما (الّذي) يجمعون من المال ومتاع الدّنيا، يجمعون بصيغة المضارع لتدل علىٰ التّكرار والتّجدُّد.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾:

﴿وَلَوْلَآ﴾: لولا: حرف امتناع لامتناع.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أمة واحدة: علىٰ ملة واحدة هي ملة الكفر، أيْ: لولا الخوف أن ينقلب كلّ النّاس كفاراً.

لجعلنا (لحقارة الدّنيا) لكلّ كافر بيوتاً سقفها من فضة ومعارج عليها يظهرون ومصاعد عليها يرتقون وأبواباً من فضة وسرراً وزخرفاً في الدّنيا ؛ لأنّ ليس لهم في الآخرة من نصيب؛ لأنّ الدّنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة؛ كما

ورد في الحديث عن سهل بن سعد الساعدي والذي رواه الترمذي، وهي عاريَّة زائلة مهما طال الأجل.

﴿لَجَعَلْنَا﴾: اللام لام التّعليل، جعلنا: الجعل بعد الخلق والجعل يعني: صيرنا.

﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، سقفاً من فضة والبيت كلّ بناء يتشكل من أربع جدران وعليها سقف قائم والبيت وهو مأوىٰ الإنسان بالليل سواء نائم فيه أو لم ينم.

﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾: فقد تبين من الدراسات الحديثة: أن الفضة هي أفضل العناصر الكيميائية كلّها في القدرة علىٰ نقل الحرارة وتوصيلها، وهي أفضل من الذّهب لصنع السّقف؛ لأنّ السّقف الفضية توفِّر جوّاً من الدّفء، وخاصة في المناطق الباردة، فيمكن للصحائف الفضية امتصاص حرارة الشّمس وتوصيل الحرارة إلىٰ الماء المستخدم في تدفئة المنازل وغيرها أو طهي الطّعام وأقل مقاومة لمرور التّيار الكهربائي وعدم إصدار شرر وتفيد في منع التّلوث بكونها تساعد علىٰ قتل البكتريا.

وهذه من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الدّالة علىٰ أن هذا القرآن مُنزل من الإله الحق.

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: أيْ: مصاعد كهربائية يصعدون بها إلىٰ أعالي المباني وسطوحها.

❖ ❖ ❖

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

سورة الزّخرف [الآيات ٣٤ - ٤٧]

[٣٤] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾:

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، البيت: مأوى الإنسان بالليل، وبات: أقام بالليل سواء نام أم لم ينم.

﴿أَبْوَابًا﴾: من فضة أو من ذهب وفضة.

﴿وَسُرُرًا﴾: من فضة أو من ذهب وفضة، وسُرُراً: جمع سرير.

﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾: يجلسون، أو الاضطجاع قليلاً.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَزُخْرُفًا﴾: الزّخرف: هو الذّهب والزّينة، أيْ: لجعلنا لهم زخرفاً ذهباً وزينةً في تلك السّقف والسّرر والأبواب، وليست فقط فضة، بل نزينها بالذّهب والنّقوش والحلي.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الواو استئنافية، إن: نافية تعني ما كلّ ذلك، ذلك: اسم إشارة إلى السّقف والأبواب والسّرر والمعارج والذّهب والحلي، لما: للحصر بمعنى إلا متاع الحياة الدّنيا، متاع الحياة الدّنيا: ما يمتع به وينتفع به من أثاث ومسكن وأدوات وغيرها من متاع الحياة الدّنيا: متاع زائل وفانٍ.

﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ﴾: الواو عاطفة، الآخرة عند (ظرف مكاني) أو زماني.

﴿رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

[٣٦] ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو استئنافية، من شرطية.

﴿يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: يَعْشُ: من مرض العشى: هو ضعف البصر أو عدم الرّؤية الجيدة في الليل، والأعشى: هو الّذي لا يبصر جيداً بالليل، أيْ: يُعرض أو يتغافل ويتعامى عن ذكر الرّحمن، ذكر الرّحمن: هو القرآن أيْ: يعرض عن القرآن، ولا يتعظ به، ولا يعمل به، ولا يتدبَّره، ولا يخاف وعيده.

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾: هيئنا له أو أعددنا له شيطاناً (نكرة) وجواب الشّرط، شيطاناً تعني: عموم الشّياطين، وليس واحداً، أيْ: نقيِّض له شياطين كثراً؛ لأنّ النّكرة الواقعة بعد الشّرط (ومن) تفيد العموم، والدّليل على ذلك جاء بعدها وإنّهم (بالجمع) ليصدونهم عن السّبيل.

﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: الفاء للتوكيد، هو: لزيادة التّوكيد، قرين: مصاحب له يلازمه ولا يفارقه يوسوس ويزين له ويغويه ويضله، والفرق بين القرين والصّاحب: الصّاحب يمكن الانتفاع منه، أمّا القرين فلا فائدة منه ولا منفعة منه، بل ضرر.

[٣٧] ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: أي: الشّياطين.

﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد، يصدون: يمنعون والصّد هو المنع عن بلوغ الغاية بسبب الوسوسة والتّزيين والإغواء والإضلال.

﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن: للمجاوزة والمباعدة، السّبيل: هو دين الله تعالىٰ والهدىٰ والحق.

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: من حسب: أي: اعتقد، أيْ: يعتقدون اعتقاداً راجحاً.

﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾: أنهم: للتوكيد أنهم علىٰ طريق الحق والصّواب، مهتدون: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت، أيْ: صفة الهداية ثابتة عندهم.

[٣٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾:

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَآءَنَا﴾: يوم القيامة، والمجيء فيه معنىٰ المشقة والجهد، ولم يقل: أتانا، أتىٰ فيها معنىٰ السّهولة، والضّمير يعود علىٰ العاشي عن ذكر ربه، وفي قراءة: جاءَانا: أيْ: كلاهما العاشي والقرين.

قال: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: يقول العاشي للقرين: يا ليت: يا: للنداء البعيد والتّنبيه، ليت: أداة تمني للأمور المستحيلة الحصول أو الحدوث، يتمنىٰ لو أنّ بينه وبين قرينه أقصىٰ مسافة بحيث لا يعد يراه أو يلتقي به أبداً. قرينه: (الشّيطان) بعد المشرقين، أيْ: بُعد ما بين المشرق والمغرب وغلب المشرق علىٰ المغرب، فقال بعد المشرقين كما نقول الأبوين (الأب والأم ونغلب الأب)

أو بعد مشرق الشّمس في أقصر يوم من السّنة ومشرقها في أطول يوم، وتعني أنّه يحاول أن يتبرأ من قرينه الّذي أضلّه في الدّنيا وأغواه.

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾: الفاء للتوكيد، بئس: من أفعال الذّم، أي: بئس القرين، القرين: ارجع إلى الآية (٣٦) من نفس السّورة لبيان معنى القرين.

[٣٩] ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾:

يقال لهم يوم القيامة توبيخاً لهم أو لبث القنوط في أنفسهم:

﴿وَلَن﴾: الواو استئنافية، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَنفَعَكُمُ﴾: ندمكم أو تمنيكم أو تبرؤكم ولا الاعتذار ولا الشّفاعة ولا الصّديق الحميم ولا أنسابكم.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾: إذ: ظرف للزمن الماضي، أي: إذ تبيَّن ظلمكم، ظلمتم: أنفسكم بالخروج عن منهج الله بالشّرك والكفر والمعاصي والصّد عن سبيل الله وعن ذكر الله.

﴿أَنَّكُمْ﴾: أنّ: للتوكيد، أي: أنتم وقرناءكم.

﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: أي: كونكم في العذاب مشتركون لا يعني: تخفيف العذاب عن أيٍّ منكما، ولن ينفعكم أن يواسي أحدكم الآخر ظناً أنّ ذلك يخفف عنه من العذاب، كما يحدث في حال الدّنيا، فلا مواساة بينكم ولا يسئل حميمٌ حميماً.

[٤٠] ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: للاستفهام التّعجبي والإنكار، والفاء للتوكيد، والخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ.

﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: (استعارة) شبه الكفار بالصّم والعمي ؛ لأنّ آلة السّمع والبصر معطلة عندهم فآذانهم لا تعي ولا تنتفع بما تسمع من الآيات والموعظة والوعد والوعيد، وأعينهم لا ترىٰ الحق ولا طريق الهداية، فهم قد فقدوا البصيرة ولا يرون إلا الباطل، فيسيرون وراءَه، فبعد أن وصفهم بالعشي المصابين بمرض العشىٰ، ووصفهم بالصّم والعمي وفي ضلال مبين، فإنّك يا أو رسول الله ﷺ لن تستطيع أن تُسمع هؤلاء الكفار أو تهديهم مهما حاولت وأجهدت نفسك ؛ لأنّهم قد ضلوا ضلالاً بعيداً من الصّعب أن يرجعوا منه.

﴿وَمَن﴾: بمعنىٰ الّذي تشمل المفرد والمثنىٰ والجمع، والذكر والأنثىٰ.

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في: ظرفية، ضلال مبين: ضلال بين واضح لكلّ فرد وضلال غير خفي ولا يحتاج إلىٰ تبيان.

[٤١] ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾:

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء استئنافية، إما (إن + ما) إن: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض والشّك، ما للتوكيد.

﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: أيْ: نذهبنَّ بك من بينهم بالهجرة، أو الانتقال إلىٰ الرّفيق الأعلىٰ والنّون في نذهبنَّ للتوكيد، والخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ، نذهبنَّ بك قبل الانتقام منهم وإنزال العذاب بهم.

﴿فَإِنَّا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، إنا: للتعظيم.

﴿مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾: أيْ: سننتقم منهم بعد الذّهاب بك من بينهم، فوجودك بينهم رحمة بهم، ويؤيِّد ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣].

[٤٢] ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾:

﴿أَوْ﴾: للتقسيم أو الاختيار.

﴿نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: نرينك: نون التّوكيد، الّذي وعدناك بالنّصر عليهم وأنت علىٰ قيد الحياة وهزيمتهم.

﴿فَإِنَّا﴾: للتعظيم، الفاء رابطة لجواب الشّرط.

﴿عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾: مقتدر علىٰ وزن مُفْتَعِل أبلغ من قادر، مقتدرون أبلغ وأعظم من قادرون، مقتدرون علىٰ عذابهم وإهلاكهم.

[٤٣] ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾: الفاء للتوكيد، استمسك: ولم يقل: فأمسك، استمسك: السّين والتّاء للطلب والتّوكيد والحضِّ، أي: ابذل قصارىٰ جهدك أو ما بوسعك بالتّمسك بالقرآن.

﴿بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، الّذي: للتعظيم، أوحي إليك: أيْ: بالقرآن أوحي إليك من ربك. ولمعرفة معنىٰ أوحي إليك ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣).

﴿إِنَّكَ﴾: إنّ للتوكيد، والكاف للخطاب: إنّك يا رسول الله ﷺ.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: على تفيد الاستعلاء والمشقة، صراط مستقيم هو دين الإسلام الحق، الصّراط المستقيم الّذي لا عوج فيه والموصل إلى الغاية القصوى، والصراط: هو الطّريق الواسع السّهل المستقيم الموصل إلى الغاية بأقصر مسافة وأقل زمن.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: تعود على الّذي أوحي إليك، أي: القرآن وتفيد التّوكيد.

﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾: اللام للتعليل والتّوكيد، ذكر لك: شرف عظيم لك ولقومك أنّه نزل إليكم وبلغتكم وعلى رسولكم، وذكر تعني: تذكرة لك ولقومك بالآخرة بالاستعداد لها.

﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿وَسَوْفَ﴾: للاستقبال البعيد (فيه تراخٍ في الزّمن).

﴿تُسْـَٔلُونَ﴾: عنه يوم القيامة عن العمل به وتطبيق شرائعه وأحكامه وإبلاغه، وتدبره، وعن حقه وشكره.

[٤٥] ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾:

السّؤال وإن كان المخاطب رسول الله ﷺ، وإنما المقصود به خطاب أمته؛ لأنّ رسول الله ﷺ غنيٌّ عن مثل هذا السّؤال ولم يشك ولم يسأل.

والرّسل قد ماتوا وقد يعني: اسئل أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا أيْ: مؤمني أهل الكتاب، سؤال غايته التّقرير ليكون عليهم حُجَّة أو حُجَّة لهم.

ونظير هـذه الآية قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤].

﴿أَجَعَلْنَا﴾: الهمزة استفهام إنكاري ونفي، الجعل: أيْ: صيرنا.

﴿مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: من غير الرّحمن.

﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾: أيْ: هل أذن الرّحمن بعبادة أحد غيره، أو سوغ ذلك لأحد من البشر.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾:

المناسبة: بعد بيان موقف كفار قريش لما جاءهم الحق قالوا: هذا سحر وإنا به كافرون، يقص الله سبحانه على نبيه أنّ ما يحدث له من قومه حدث لموسى وعيسى عليهما السّلام من قبله، وبيَّن ذلك في عدد من الآيات فقال:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، واللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: الباء للإلصاق، بآياتنا: أي: التّسع آيات ومنها العصا واليد، والّتي تدل على عظمة الله وقدرته تعالى وعلى وحدانيته وتدعو إلى الإيمان، ومنها الطّوفان والجراد والقمل والضّفادع والدّم والسّنين والثّمرات.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: فرعون ملك مصر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. والملأ هم وجهاء القوم والأعيان الّذين يمثلون القوم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧٥) لمزيد من البيان.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد، رسول رب العالين. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لبيان معنى رب العالمين.

﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وفي سورة الشعراء آية (١٦) قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كيف نفسر ذلك؟ بالقول أن كلمة رسول في اللغة يمكن أن تطلق على المفرد والمثنى، وعلى الجمع؛ لأن الرسول يمثل الرسل، أو الرسل يمثلهم رسول واحد.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء عاطفة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿جَآءَهُم﴾: موسى بآياتنا التّسع.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿هُم﴾: للتوكيد.

﴿يَضْحَكُونَ﴾: جاء بصيغة المضارع لتدل على حكاية الحال كأنّهم أمامك يضحكون للدلالة على قبح ضحكهم، فبدلاً من أن يؤمنوا بها وبالله وحده استهزؤوا بها وسمّوها سحراً.

❖ ❖ ❖

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن
تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا
خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

ربع الحزب ٥٠

سورة الزّخرف [الآيات ٤٨ - ٦٠]

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: النّافية لنفي الحال.

﴿نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾: أيْ: معجزة من المعجزات التّسع، أو الآيات التسع.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر (لوقوعها بعد النّفي).

﴿هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: أيْ: هي أكبر من الآية الّتي قبلها، أيْ: سبقتها أو كلّ آية حين تحدث يشعرون بعظمتها وتبهر عقولهم، ويظنون أنّ كل آية حصلت في السّابق دونها، أي: يذهلون بعظمتها ولا يستطيعون التّمييز بينها، بل هي أشد من الأخرىٰ.

﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: ولم يبيِّن نوع العذاب هنا، وقيل: بالسّنين ونقص من الثمرات، كما بيَّنته آية أخرىٰ. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٣٠) للبيان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل للتعليل، يرجعون: إلىٰ ربهم بإرادتهم واختيارهم بالتّوبة والإنابة إليه، يرجعون إلىٰ الإيمان والتّوحيد وترك الشّرك.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّٰحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾:

السّؤال كيف يسمُّون موسىٰ السّاحر ويطلبون منه أن يدعوَ ربه بما فضله الله عليهم أن يكشف عنهم العذاب، ووعدوه بأن يهتدوا ويرجعوا عن

غيِّهم وضلالهم؛ لأنّهم كانوا يطلقون على العالم الماهر أو البارع ساحر؛ لأنّه جاء بأمور خارقة للعادة مثل العصا واليد، وكل أمر خارق للعادة ومؤثر في أنفسهم كانوا يشبهونه بالسّحر، وكان السّحرة لهم مكانتهم وسلطانهم آنذاك فقولهم: يا أيها السّاحر فيه معنى المدح وليس العيب بالنسبة لهم.

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: أن يكشف عنا العذاب.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة أو باء السّببية، ما: مصدرية أو اسم موصول.

﴿عَهِدَ عِندَكَ﴾: من الإيمان والطّاعة والنّبوة أو الدّعوة المستجابة أو عهد عندك أنّه يكشف العذاب عمن آمن أو بما أوصاك أن تدعوه به.

﴿إِنَّنَا﴾: للتوكيد.

﴿لَمُهْتَدُونَ﴾: اللام للتوكيد، لمهتدون بشرط أن يكشف عنها العذاب، مهتدون: جمع مهتدٍ، جملة اسمية تدل على ثبات صفة الهداية، أيْ: إذا اهتدوا لن يتخلوا عن الهداية أبداً بعدها.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾:

اللهُ سبحانه هو يعلم منذ الأزل أنّهم سوف ينكثون، فلماذا كشف عنهم العذاب واستجاب لهم الجواب؛ ليقيم عليه الحُجَّة وينكثون بعهدهم ويزدادوا غياً وضلالاً وعذاباً في نار جهنم.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين متضمن معنى الشّرط.

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾: رفعنا أو أزلنا عنهم خاصة العذاب، وسمَّاه الرّجز، كما ورد في سورة الأعراف آية (١٣٥).

﴿إِذَا هُمْ﴾: إذا الفجائية، هم للتوكيد.

﴿يَنكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم ويستمرون على كفرهم لا يوفون بعهدهم، ورجعوا عن عهدهم وتخلوا عنه.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

بعد أن كشف الله سبحانه الرّجز عن فرعون وقومه بدعوة موسى ونكث فرعون وقومه العهد وهو إننا لمهتدون، خاف فرعون أن يتبع قومه موسى ويؤمنوا له فنادى فيهم فقال:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾: نداء فيه حنان واستعطاف حتّى يجلب أنظارهم إليه.

﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾: الهمزة همزة للتقرير، أيْ: أقروا بذلك، لي: تقديم لي، أيْ: لوحدي لا يشاركني فيه أحد، لام الاختصاص والملكية أو الاستحقاق، ملك مصر: مصر، أيْ: بلاد مصر.

﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾: نهر النّيل بفروعه العديدة، من تحتي: أيْ: تحت قصوره أو قصوره المطلة على نهر النّيل.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير، والفاء للتوكيد، ألا أداة تنبيه وحضٍّ وحثٍّ على الإبصار (الرّؤية بالعين).

[٥٢] ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾:

﴿ أَمْ ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري، أم للإضراب الانتقالي.

﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ ﴾: أنا أفضل.

﴿ مِّنْ هَٰذَا ﴾: من ابتدائية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى موسى عليه السّلام.

﴿ ٱلَّذِى هُوَ ﴾: الّذي: اسم موصول يفيد الذّم، ذم موسى، هو: للتوكيد.

﴿ مَهِينٌ ﴾: ذليل ضعيف حقير.

﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾: أيْ: لا يفصح بلسانه، ويبيِّن ما يريده بكلامه. ارجع إلى سوره طه آية (٢٧ – ٢٨).

[٥٣] ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾:

﴿ فَلَوْلَآ ﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حثٍّ وحضٍّ.

﴿ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾: أسورة جمع سوار، أسورة جمع قلة بينما أساور جمع كثرة، كما ورد في سورة الحج آية (٢٣) والكهف آية (٣١) وفاطر آية (٣٣) والإنسان آية (٢١).

وقدَّم عليه؛ لأنّ سياق الكلام على موسى، أيْ: إذا كان رسولاً حقاً لِمَ لا يُلقي عليه أسورة من السّماء من ذهب: من اسم جنس، كما قالوا لرسول الله ﷺ: ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ [الفرقان:٨].

﴿ أَوْ ﴾: تعني: وجاء معه الملائكة مقترنين أو للتخيير.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: جمع مقترن اسم فاعل من فعل اقترن على وزن مفتعل: متتابعين يعينونه على رسالته أو يشهدون له بالرّسالة ويشهدون أنّه نبي مرسل.

[٥٤] ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾:

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾: الفاء عاطفة، استخف: استصغر عقول قومه واستهان بها وظن أنّه قادر على حملهم على طاعته والاستجابة لما دعاهم إليه من الضّلالة وعدم اتّباع موسى.

﴿قَوْمَهُۥ﴾: أي: القبط أو الأقباط.

﴿فَأَطَاعُوهُ﴾: الفاء للتوكيد، أطاعوه: فرعون في تكذيب موسى وعدم الإيمان له.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: إنّهم للتوكيد، كانوا فاسقين خارجين عن طاعة الله ورسوله أو أطاعوه لكونهم قوماً فاسقين، فقوم فرعون لهم ميزتان الأولى: خفة في عقولهم وضعف، والثّانية: فاسقون، فاسقون: أي: صفة الفسق ثابتة عندهم لا تتغير.

[٥٥] ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء عاطفة تفيد التّوكيد، لما: ظرف زمان بمعنى حين أسفونا.

﴿ءَاسَفُونَا﴾: أسِفَ عليه غضب عليه وآسَفَه أغضبه، الأسَف يعني أيضاً: شدة الحُزن، ويمكن القول: الأسَف حسرة + غضب (أو غيظ) أو الأسَف معناها غضبان على شيء ومتلهف عليه. آسفونا قد تعني: طردناهم من رحمتنا وانتقمنا منهم.

﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: الانتقام نقيض الإنعام، أيْ: سلب النّعمة بالعذاب، كانوا في نعمة فأغرقناهم.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة، أغرقناهم في اليم (البحر الأحمر).

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد، فرعون وجنوده، لم ينجُ منهم أحدٌ.

[٥٦]. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾:

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾: الفاء عاطفة.

﴿سَلَفًا﴾: من سَلَف: أيْ: تقدَّم ومضى، أيْ: سبق غيره في الوجود، والأسلاف: المتقدِّمون.

﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾: أيْ: عبرة ومثلاً لغيرهم، أيْ: لمن جاء من بعدهم، لكي لا يقوموا بما قاموا أو يسيروا على دربهم فينتقم الله منهم، فصار يضرب بهم المثل كيف أهلكهم ودمَّرهم الله سبحانه بسبب عصيانهم وفسقهم فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، للآخرين: اللام لام الاختصاص، الآخرين: بكسر الخاء الأجيال الّتي جاءت من بعدهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾: أي: عيسى ابن مريم، والسؤال: لماذا لم يُذكر المسيح عيسى ابن مريم، وقال ابن مريم؟ لأن المسيح ليس اسماً، بل لقب، وعيسى اسم يأتي في سياق التكليف والثناء، وعامة، وابن مريم (كنيته) لا تأتي

في سياق التكليف؛ لا بُدَّ من معرفة سبب نزول هذه الآية لتساعد على فهم هذه الآية:

روي عن ابن عباس، وجاء في أسباب النّزول للواحدي أنّه لما نزلت الآية (٩٨) من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ شق ذلك على قريش وقالوا: شتم آلهتنا فجاء ابن الزّبعرى إلى رسول الله ﷺ فقال: أهذا لآلهتنا خاصة أو لكلّ من عُبد من دون الله قال ﷺ: لا بل لكلّ من عُبد من دون الله، فقال ابن الزّبعرى: خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أنّ الملائكة عباد صالحون، وأنّ عيسى عبد صالح وأنّ عزيراً عبد صالح، فهذه بنو مليح تعبد الملائكة وهذه النّصارى تعبد عيسى وهذه اليهود تعبد عزيراً، فإن كان كلّ هؤلاء في النّار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فضج مشركو مكة فرحاً وصخباً.

ضرب ابن مريم مثلاً: أيْ: ضرب كفار قريش ابن مريم مثلاً لما يُعبد من دون الله، فإذا كان في جهنم فلا مانع أن يكونوا هم وآلهتهم معه، أيْ: مع عيسى في جهنم.

﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: إذا الفجائية، قومك: الّذين أشركوا، قومك منه يصدون: انتبه إلى كلمة يصدون، هناك من يقرأ يصِدون بكسر الصاد وهناك من يقرأ يصُدون بضم الصاد، يصِدون: بكسر الصّاد تعني يصخبون يضجون، أي: الصّخب والضّجيج، يصُدون: بضم الصاد تعني: يُعرضون ويعدلون عن عيسى أو عن القرآن، ويقولون في القرآن تناقض، آية تقول: عيسى في النّار وآية تقول: عيسى مستثنى من النّار، قومك منه: هاء الضّمير قد تعود على عيسى عليه السّلام، وقد تعود على القرآن ويجوز كلا التّفسيرين معاً.

[٥٨] ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾:

﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾: أي: الّذين أشركوا.

﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾: الهمزة همزة استفهام وفيها معنى التّسوية: أيْ: آلهتنا ليست خيراً من عيسى، فإذا كان عيسى في النّار فقد رضينا أن نكون معه بمنزلته، أي: نرضى أن نكون معه سواء.

﴿أَمۡ هُوَ﴾: أم للإضراب الإبطالي طبعاً هو أفضل من آلهتنا. هو: للتوكيد فإذا عيسى سيكون في النّار فأمر آلهتنا هو أمر هين.

﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾: ما النّافية، أيْ: ما ضربوا ذلك المثل لك يا محمّد ﷺ.

﴿إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾: إلا أداة حصر، جدلاً: يجادلونك بالباطل، الجدال: هو الحوار الّذي يحدث فيه اختلاف في الآراء ومشادة في الحوار لدفع شبهة أو إثبات حق.

﴿بَلۡ هُمۡ﴾: للإضراب الانتقالي، هم: ضمير فصل للتوكيد.

﴿قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾: شديدوا الخصام، أي: الجدال والعداوة وصفة الخصام صفة ثابتة عندهم.

[٥٩] ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾:

﴿إِنۡ هُوَ ﴾: إن: نافية وأشد نفياً من ما، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾: أي: عيسى ابن مريم أنعمنا عليه بالنّعم الكثيرة، ومنها النّبوة والقرب، أيْ: من المقربين والحكمة والعلم والصّلاح.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾: مثلاً: آية أو أمراً غريباً نادراً من كونه خُلق

من غير أب، دليلاً على قدرة الله إذا أراد شيئاً، فإنما يقول: كن فيكون، مثلاً لبني إسرائيل: اللام لام الاختصاص. ثم خاطب كفار مكة بقوله:

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿نَشَآءُ﴾: للتعظيم.

﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾: نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة.

﴿يَخْلُفُونَ﴾: لها عدة معانٍ:

١ - يخلف بعضهم بعضاً كما قال ابن عباس.

٢ - يخلفونكم ليكونوا بدلاً منكم.

٣ - يخلفون الرّسل فيكونون رسُلاً إليكم بدلاً منهم.

٤ - أو من يموت منكم نأتي بمَلَك بدلاً منه.

ولمعرفة الفرق بين يخلفون (الخلافة) والاستبدال، ارجع إلى سورة التّوبة آية (٣٩) والأنعام آية (١٣٣).

❖❖❖

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

سورة الزّخرف [الآيات ٦١ - ٧٣]

[٦١] ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أيْ: عيسىٰ ابن مريم.

﴿لَعِلْمٌ﴾: اللام لام التّوقيت.

﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أيْ: شرط من أشراط الساعة، أيْ: تُعلم السّاعة بنزوله فهو علامة من علامات وقوع السّاعة والسّاعة تعني: ساعة تهدم النّظام الكوني.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية، تمترن بها: من المراء وهو الجدال بعد ظهور أو معرفة الحق.

﴿وَاتَّبِعُونِ﴾: اتبعوا هداي وشرعي.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: أيْ: هذا الدّين القيم، أي: الإسلام هو الصّراط المستقيم. ارجع إلىٰ الآية (٤٣) من نفس السّورة.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو استئنافية، لا النّاهية.

﴿يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: الصّدُّ هو المنع من الوصول إلىٰ الغاية أو القصد يصدنكم بوساوسه وإغوائه وتزيينه عن اتباع دين الله تعالىٰ وعن التّوحيد، ويصدنكم: النّون للتوكيد.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: عدو ظاهر العداوة لكلّ إنسان، عدواته ظاهرة بنفسها لا يخفيها ولا تحتاج إلىٰ من يظهرها.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرف زمان بمعنىٰ حين.

﴿جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، البينات: المعجزات مثل إحياء الموتىٰ، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطّين كهيئة الطّير فينفخ فيه فيكون طيراً وينبئهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم.

﴿قَالَ قَدْ﴾: للتحقيق.

﴿جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالنّبوة، وقد تعني: الإنجيل والشّرائع والأحكام.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمُ﴾: اللام للتوكيد والتّعليل، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: بعض تعني: جزءاً: أيْ: بعض الّذي تسألون عنه، وقد تعني البعض: الكل لأن البعض يشير إلىٰ الكل أو الكل يشير إلىٰ البعض، أيْ: لأبين كلّ ما تختلفون فيه من أمور دنياكم وآخرتكم؛ أي: الاختلاف في الآراء في أمور العقيدة بين أهل الملل المختلفة أو أهل الملة الواحدة.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط المقدر، اتقوا الله: أطيعوا أوامره وتجنبوا نواهيه، وأطيعون: أيْ: عيسىٰ عليه السّلام، وأطيعون ولم يقل:

وأطيعوني لقلة عدد الطّائفين أو أطيعون بالإيمان أوّلاً والدّخول في الإسلام أو أطيعون، ولو بعض الطّاعة أو كل ما تستطيعون.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر، ربي وربكم: أي: الّذي خلقني وخلقكم ورزقني ورزقكم هو ربي وربكم، وإضافة هو بدلاً من القول: (إن الله ربي وربكم): جاءت في سياق الحديث عن عبادة عيسىٰ، واتخاذه إلهاً، ولذلك أضاف هو ضمير الفصل الدال علىٰ التوكيد والحصر كما قلنا.

﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: الفاء للتوكيد، اعبدوه وحده وهذه صفة الألوهية فإنّه الإله الحق المعبود الذي أعبده ولا أشرك به شيئاً.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: هذا سبيل ثابت وبيِّن لا عوج فيه أن الإله الحق هو ربي وربكم، وأني عبدُ الله ورسوله ولست ربكم، وأن اتقوا الله واعبدوه ذلك هو الصّراط المستقيم الموصل إلىٰ الغاية.

ولنقارن هذه الآية (٦٤) من سورة الزّخرف مع آية آل عمران (٥١) وآية (٣٦) من سورة مريم، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ نرىٰ زيادة كلمة هو في آية الزّخرف الّتي تدل علىٰ التّوكيد. ارجع إلىٰ سورة مريم آية (٣٦) لمعرفة الفرق.

[٦٥] ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿فَٱخْتَلَفَ﴾: الفاء عاطفة، وتدل علىٰ التّرتيب والمباشرة.

﴿ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾: جمع حزب: الأحزاب مثل الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس والحزب جماعة تتحزب على أمر ما، أيْ: تتعاون، فيما بينهم: من ابتدائية، بينهم: النّصارى حيث اختلفوا في شأن عيسى فمنهم من قال أنّه إله أو ابن الإله أو ثالث ثلاثة، اختلفوا في عقائدهم وشرائعهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء عاطفة، ويل: تعني الهلاك أو العذاب. وتعني: تهديد ووعيد للذين ظلموا.

﴿لِّلَّذِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والإخلاص.

﴿ظَلَمُوا۟﴾: أشركوا بالله وصدقوا أنّ المسيح هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة أو هو الإله.

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: يوم القيامة.

لنقارن هذه الآية (٦٥) من سورة الزّخرف وهي قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مع الآية (٣٧) من سورة مريم، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

آية الزّخرف تحذر الذين ظلموا (أشركوا) من العذاب وآية مريم تحذر الذين كفروا من المشهد (يوم القيامة)، والكفر أشد من الظلم حيث في آية مريم جاءت في سياق اتخاذ الولد، وفي آية الزخرف اختلف الأحزاب فمنهم من أشرك ومنهم من لم يشرك فوصفهم بالظلم لاختلافهم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام تفيد النّفي، أيْ: ما ينظرون.

﴿يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾: الضّمير هنا عائد للأحزاب (الّذين ظلموا) وقد يعود لقريش، ينظرون إلا: حصراً وقصراً، والسّاعة: لحظة تهدم النّظام الكوني.

﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾: أن للتعليل، تأتيهم بغتة: فجأة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يشعرون بوقت مجيئها وهم غافلون منشغلون بأمور دنياهم أو بغتة وهم نائمون أو وهم يخصمون.

[٦٧] ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿الْأَخِلَّاءُ﴾: جمع خليل، أي: الأحباء وهو الصّديق الحميم في الدّنيا خلة قائمة على الكفر ومعصية الله. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٢٥) لمزيد من البيان في معنى الخليل.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة.

﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: تنقطع الخلة بينهم ويصبحون أعداء.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: أي: الّذين امتثلوا أوامر الله وتجنبوا نواهيه فهؤلاء مودتهم وخلتهم تستمر ولا تنقطع؛ لأنّ خلتهم كانت قائمة لوجه الله تعالى وتقوى الله سبحانه ومرضاته.

[٦٨] ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾:

﴿يَا عِبَادِ﴾: ينادي الله سبحانه عباده المتقين بياء النّداء يوم القيامة، وفيها معنى الحنان والرّحمة. يا عباد: الكل يطلق عليه عباد في الآخرة بعد أن كانوا في

الدنيا يطلق عليهم عبيد، عبادي، عباد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦)، وسورة الزمر آية (١٧) للبيان.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾: لا النّافية، خوف: الخوف أن تتوقع شراً مقبلاً أو ضرر مشكوك فيه، لا خوفٌ بالتّنوين: أيْ: لا خوف واقع عليكم الآن ولا في المستقبل، لا خوف عليكم: أي: أثبت لهم عدم الخوف ولم ينفِ عن الآخرين عدم الخوف.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَآ أَنتُمْ﴾: تكرار النّفي يفيد التّوكيد.

﴿تَحْزَنُونَ﴾: الحَزَن: هو أن يفوتك شيء تحبه وتتمناه، يكون لأمرٍ ماضٍ فهو قد نفى الخوف ونفى عنهم الحزن، ونفى عنهم كليهما معاً، ولا أنتم تحزنون: نفى عنهم الحزن ولم ينفِ عن غيرهم الحزن.

[٦٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: أيْ: صدقوا بآياتنا أيْ: بآيات القرآن، والآيات الكونية والأدلة والمعجزات على وحدانيته.

﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾: كانوا في الدّنيا مخلصين موحِّدين.

[٧٠] ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾:

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾: أنتم: للتوكيد، وأزواجكم: أيْ: نساءكم المؤمنات.

﴿تُحْبَرُونَ﴾: تنعمون في الجنة، ويسمّى السّرور حبوراً، وقيل: الحبور

الكرامة أو النّعمة الحسنة، والحبور: قيل: هو السّرور الّذي يظهر أثره على الوجه فهو أشد السّرور تحبرون تدل على التّجدُّد والتّكرار.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾: أيْ: تُقدَّم لهم الأطعمة في أوانٍ من ذهب. وإذا قارنا يطاف بكلمة يطوف نجد أن كلمة يطاف يقصد بها الآنية أو المشروب، وأما يطوف تأتي في سياق الغلمان أو الولدان المخلدون الذين يقدمون الشراب.

﴿بِصِحَافٍ﴾: الباء للإلصاق، صحاف: جمع صحفة كالقصعة إناء يوضع فيه الأكل يكفي خمسة أشخاص.

﴿مِّن ذَهَبٍ﴾: من ابتدائية لبيان الجنس وهو الذّهب.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾: جمع كوب وهو إناء لا عروة له يشرب منه الشّارب حيث يشاء، أما الكوز: فله عروة تحدِّد جهة الشّرب.

﴿وَفِيهَا﴾: أيْ: في الجنة.

﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾: الشّهوة تتعلق بما يلذ بالحواس والشّهوة ميل النّفس إلى ما يلذ ويسر.

﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾: برؤيته ومشاهدته واللذة تعريفها هي: توقّان النّفس أيْ: ميلها إلى نيل ما تحب رؤياه ومشاهدته، الأعين جمع عين: أيْ: آلة البصر.

﴿وَأَنتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِيهَا﴾: ظرفية، أيْ: في الجنة.

﴿خَالِدُونَ﴾: البقاء والاستمرار إلى ما لا نهاية ويبدأ من وقت محدد هو

زمن دخولهم الجنة بعد الحساب والعرض، خالدون تدل على صفة الخلد الثّابتة عندهم.

[٧٢] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ وَتِلْكَ ﴾: الواو عاطفة، تلك: اسم إشارة واللام للبعد وتحمل معنى المدح.

﴿ ٱلْجَنَّةُ ﴾: معرفة بأل التّعريف، أيْ: جنات عدن أو الفردوس أو النّعيم أو المأوى ودار السّلام.

﴿ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا ﴾: الميراث: لغة: هو البقاء: أيْ: بقية الشّيء الّذي يتركه المورث وراءه، هو ما يأخذه الفرد من دون عوض أو ما يستحقه الوارث من مورثه أو خلافة الحي للميت في ماله أو ما تركه من عقار أو متاع. فكيف نوفّق بين قول رسول الله ﷺ: (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله) وقوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٣٢].

الأعمال الصالحة: هي سبب من أسباب دخول الجنة، والجنة لن تكون عوضاً عن أيِّ عمل صالح أو أعمال صالحة مهما عظمت؛ لأن العوض لا بُدَّ أن يكون مساوياً للمعوض، فالأعمال الصالحة وحدها لا تكفي للدخول، ولكنها سبب من الأسباب.

أما الأسباب الحقيقية فهي رحمة الله تعالى. أو الأعمال الصالحة توصل إلى رحمة الله ورحمة الله توصل إلى الجنة، أما وراثة الجنة؛ فالمقصود بها كما قال ابن عباس: يرث المؤمن مقعد من أدخل النّار ويرث الكافر مقعد من أدخل الجنة ؛لأن لكل منهما مقعداً في الجنة ومقعداً في النّار، فالمؤمن تصبح له جنتان

والكافر يصبح له مقعدان في النّار، الجنة الأولىٰ أو المقعد الأول بسبب عمله، والثاني ما ورثه من غيره.

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: الباء للإلصاق، باء السّببية أو التّعليل، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: كنتم في الحياة الدّنيا، تعملون: العمل يضم الأقوال والأفعال.

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة، فيها: يعود إلىٰ الجنة.

﴿فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾: فاكهة: اسم جنس اسم عام يشمل المفرد والمؤنث والجمع، بينما فواكه: تعني الجمع فقط، فاكهة أعم من فواكه، والفاكهة في الجنة فقط للأكل، وليس لصنع الأشياء الأخرىٰ، فاكهة كثيرة: متعدِّدة ومتنوِّعة.

﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: ولم يقل: ومنها تأكلون، كما ورد في سورة المؤمنون آية (١٩)؛ أيْ: لا حاجة بها إلا إلىٰ الأكل وليس لغرض آخر، ولذلك قال منها تأكلون؛ أما في سياق الدّنيا قال تعالىٰ: منها تأكلون؛ أي: تأكلون منها وتصنعون من الفاكهة مأكولات أخرىٰ، وتأكلون تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار.

❖ ❖ ❖

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

سورة الزّخرف [الآيات ٧٤ - ٨٩]

[٧٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المتقين وما أعد الله لهم في جنات النّعيم يذكر المجرمين وما أعد الله لهم في الجحيم.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: إنّ للتوكيد، المجرمين: تشمل الكفرة والمشركين والعصاة، والجرم أصله القطع، ويعني: الذّنب العظيم، والمجرم هو من قطع كلّ الصّلات بالله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمين.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: جهنم: ارجع إلىٰ سورة الرّعد الآية (١٨) لبيان معنىٰ جهنم. خالدون: باقون باستمرار بلا انقطاع يبدأ من زمن دخولها.

[٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: من فتر يفتر سكن بعد حدة وفَتَر الماء: سكن حره فهو فاتر، أيْ: لا يسكن عنهم العذاب ولا يخفف والضّمير يعود إلىٰ المجرمين.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿فِيهِ﴾ ظرفية.

﴿مُبْلِسُونَ﴾: جمع مبلس والإبلاس هو شدة اليأس المختلط بالحزن والسّكوت، واليأس النّاشئ من انقطاع رجائهم في النّجاة، والإبلاس: أصبح صفة ثابتة عندهم، ارجع إلى الآية (٧٧) من سورة المؤمنون لمزيد من البيان.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النّافية لنفي الحال.

﴿ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بإنقاص حسنة أو زيادة سيئة.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم بما ارتكبوا من الشّرك والكفر والمعاصي، وخرجوا عن منهج الله. هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

[٧٧] ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾:

﴿وَنَادَوْا﴾: أيْ: نادى المجرمون.

﴿يَا مَالِكُ﴾: خازن النّار، يا: النّداء للبعد نداء استغاثة.

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: اللام للتوكيد، يقضي علينا ربك: قضى عليه: أيْ: أماته لكي يتخلصوا من العذاب المطبق عليهم الدّائم الّذي لا يُفتر لعلهم يرتاحون، إذا أماتهم الله تعالى.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾: قال مالك رداً على ندائهم إنّكم: التّوكيد، ماكثون: مقيمون منتظرون، المكث: يعني: الإقامة والانتظار غير المحدد بزمن أو أمد، ماكثون: تدل على الثّبوت في العذاب.

[٧٨] ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾:

هذا من كلام الله تعالىٰ:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أيْ: تحقيق مجيئكم بالحق.

﴿جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾: لقد أرسلنا إليكم رسولنا بالحق: بالدّين الحق وبالقرآن والتّوحيد وبما ينجيكم من عذاب الله تعالىٰ، الباء للإلصاق والملازمة، والحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل كالقرآن، وكما قال تعالىٰ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الرّوم:٣٠].

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف الاستدراك وتوكيد، أيْ: علة إقامتكم في النّار أنّكم كرهتم دين الله وأعرضتم عنه.

﴿أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾: أكثركم لدين الله تعالىٰ، أيْ: للإسلام وأحكامه وشرعه كارهون، تفيد الثّبوت علىٰ الكراهية، للحق: لام الاختصاص، والكراهية ضد الإرادة وقد تستعمل في نفور الطّبع، وأما الأقلية فيريدون الحق ويميلون إليه.

[٧٩] ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾:

المناسبة: أيْ: هم لم يكتفوا بالإعراض عن دين الله وكراهيته، بل ذهبوا إلىٰ أبعد من ذلك فأبرموا أمراً في دار النّدوة بمكة ليقتلوا رسولَ الله ﷺ أو يحبسوه أو ينفوه بعيداً في الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠].

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾: الإبرام: الإتقان والإحكام مشتق من الفتل المحكم، يقال:

أبرم الحبل إذا أتقن فَتْله، أي: اتخذوا قرارهم وعقدوا العزم للتخلص من رسول الله، أمراً: مكراً أو كيداً.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: فإنا للتعظيم، أيْ: ونحن كذلك محكمون كيدنا ومكرنا بهم، وكان مثال ذلك يوم بدر باستئصال صناديد قريش.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿يَحْسَبُونَ﴾: من حسب: اعتقد وتعني: الظّن الرّاجح أو الرّأي الرّاجح وتشمل حساب حسي وحساب قلبي قائم على النّظر والتّجربة والحساب.

﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾: لا: نافية للجنس تنفي كلّ الأزمنة، نسمع سرهم: أي: ما يسرونه من قول أو شر أو كيد أو مكر أو نجوى للضرر بالرّسول ﷺ، أو بالمؤمنين أو للصد عن دين الله تعالى.

سرهم: أيْ: ما حدثوا به أنفسهم وأخفوه حتّى لا يطلع عليه أحد غيرهم.

﴿وَنَجْوَاهُم﴾: النّجوى: لا تكون إلا كلاماً سراً بين اثنين أو أكثر بحيث لا يسمعه غيرهم.

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب للاستفهام المنفي، أيْ: بلى نحن نسمع ما يسرون وما يعلنون ونعلم سرهم ونجواهم، وليس فقط ذلك بلى ورسلنا لديهم أيضاً يكتبون ويسمعون، أي: الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين لكلّ ما يصدر منهم من قول أو فعل، كما قال تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧-١٨].

﴿لَدَيْهِمْ﴾: معهم.

﴿يَكْتُبُونَ﴾: أقوالهم وأفعالهم، ويكتبون تدل على التّجدُّد والتّكرار والاستمرار.

[٨١] ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾:

المرجَّح هنا ﴿إِن﴾: ليست شرطية ولا تعني: الافتراض أو الاحتمال ؛لأنّ الافتراض والاحتمال لا يجوز بحق الله تعالى، وإنما تعني النّفي، أيْ: قل ما كان للرحمن ولد؛ فأنْ يكون للرحمن ولد هذا مستحيل وممتنع في حقه؛ لأنّ الولد فيه معنى العجز والحاجة لغيره، أو مهما كانت غايته، وإذا قلنا على سبيل الفرض أنّ له ولداً، فهذا فرض محال والمعلَّق على المحال محال.

﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾: الفاء للتوكيد أنا أوّل العابدين: أي: الموحدين، أيْ: ما كان للرحمن ولد، وأنا أوّل العابدين على يقين أنّه ليس له ولد.

[٨٢] ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أيْ: أنزه الله تنزيهاً عن كونه له ولد أو نقص أو عيب في ذاته أو صفاته أو أفعاله، رب السّموات والأرض: خالق ومالك السّموات والأرض ومدبرهما.

﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾: الّذي هو أعظم من خلق السّموات والأرض.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: عما: عن + ما، عن: تفيد المجاوزة والبعد، ما: تشمل العاقل وغير العاقل وأوسع من الّذي، يصفون: بأنّ له ولداً أو شريكاً أو ندّاً أو مثيلاً أو صاحبة أو ولياً.

[٨٣] ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾:

﴿فَذَرْهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، ذرهم: اتركهم دعهم.

﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾: الخوض في الباطل بأنّ يقولوا: اتخذ الله ولداً أو شريكاً أو نـدّاً أو ولياً ويخوضوا في ضلالتهم وغيهم، والخوض: أصله هو الدّخول في الماء دون معرفة عمق الماء أو فيما ستزل قدمه أو لا، ويلعبوا: في دنياهم بإضاعة الزمـن، وعدم امتثال أوامر الله، وتجنب نواهيه، واللعب هو شـغل لا يُلهي عن واجب ويتحول إلى لهو إذا أشغل الإنسان عن واجبه، أو ما هو مطلوب منه، فأيُّ أمر أو فعل يشغل الإنسان عن الصّلاة مثلاً فلا يؤديها يعتبر لعباً بحقِّه، والخوض واللعب في الدنيا من باب الغفلة والجهل.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: أيْ: يوم القيامة يوعدون فيه بالعذاب وفي الآية تهديد ووعيد للخائضين في الباطل، وفي دين الله عبثاً.

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: الواو استئنافية، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾: أيْ: هـو الإله المعبـود الموحد بحق في السّـماء، وهو الله الإلـه المعبود الموحد بحق فـي الأرض، ولو قال: وهو في السّـماء والأرض إله لكان يعني: هو إله فقط فـي الأرض، ولو قال: وهو الّذي في الأرض والسّماء إله لكان يعني: هو إله فقط في السّماء فلا بُدَّ من إعادة القول (إله)؛ أي: لا إله إلا هو في السماء، ولا إله إلا هو في الأرض.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير للتوكيد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في صنعه وتدبيره لخلقه وكونه، فهو أحكم الحاكمين وهو أحكم الحكماء. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بأحوال خلقه وكونه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض.

وقدَّم في هذه الآية الحكيم علىٰ العليم أيْ: قدَّم الحكمة علىٰ العلم؛ لأن السياق في التشريع، والحكم؛ لأنه الإله في السماء والإله في الأرض، وفي آيات أخرىٰ يقدِّم العلم علىٰ الحكمة، فيقول: العليم الحكيم، والسّياق هو الّذي يحدد التّقديم والتّأخير، فإذا كان السّياق في التّشريع والجزاء يقدِّم الحكمة، وإذا كان السّياق في العلم يقدِّم العلم علىٰ الحكمة، ولنعلم أن ليس كلّ عالم هو حكيماً، أو ليس كلّ حكيم هو عالماً (عليماً).

[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَتَبَارَكَ﴾: تعالىٰ قدره وتعاظم وتنزَّه وتقدَّس عن شبه ما سواه، ودام خيره وعمَّ إحسانه لخلقه وثبت إنعامه. ارجع إلىٰ سورة المُلك (تبارك) آية (١) لمزيد من البيان.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: الحَكم فهو الحاكم حاكم السّموات والأرض وما فيهنَّ، وهو مالك من المُلك، أيْ: له ما في السّموات والأرض.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: من مخلوقات.

﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: قدَّم الظّرف (عنده) ليفيد الحصر، أيْ: يعلم أيان مرساها زمن حدوثها، ولا يعلم ذلك ملك ولا نبي ولا رسول ولا أحد من خلقه.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: قدَّم إليه للحصر، أيْ: إليه وحده ترجعون، إليه تُرجعون بضم التّاء، أيْ: قسراً وقهراً، ومن دون إرادة ترجعون يوم البعث للحساب والجزاء.

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: ولا: الواو استئنافية، لا: النّافية لكلّ الأزمنة، يملك الّذين يدعون: يعبدون، من دونه: من غير الله أمثال الأصنام والأولياء والطّاغوت وأمثال عيسىٰ والعزير والملائكة، لا يملكون الشّفاعة: تعريف الشّفاعة: هي التّوسط بالقول أو الفعل للوصول إلىٰ منفعة دنيوية أو أخروية أو الخلاص من مضرة، ومن دون أجر أو عوض. ارجع إلىٰ الآية (٨٥) من سورة النّساء لمزيد من البيان.

وللشفاعة شرطان: **الأوّل**: الإذن من الله، للشافع والمشفوع له، **والثّاني**: أن يكون المشفوع له من أهل التّوحيد يشهد لا إله إلا الله (يرضىٰ له قولاً).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر أو استثناء.

﴿مَن﴾: ابتدائية.

﴿شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾: بأنّ الله واحد لا إله إلا هو، أيْ: شهد بوحدانية الله ألوهيته وربوبيته وصفاته وأسمائه، وشهد لرسله بالنّبوة، وشهد بأنّ القرآن حق والبعث والآخرة حق والجنة والنّار.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: معنى الوحدانية، ولا إله إلا الله بقلوبهم وألسنتهم، ويعلمون أنّ الله هو الّذي خلق عيسى ابن مريم والعُزير والملائكة وما يعبدون.

[٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿وَلَئِن﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾: سألت المشركين من: ابتدائية، خلقهم: لأقروا أنّه وحده الخالق.

﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: اللام لام التّوكيد والنّون في يقولنَّ لزيادة التّوكيد.

﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء جواب الشّرط، أنى: تعني: كيف ومن أين، وللاستفهام الإنكاري والتّعجُّب من شركهم.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: أي: كيف يصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، يصرفون عن توحيده إلى الشّرك به، يؤفكون مشتقة من إفكه عن الشّيء، أيْ: صرفه وقلبه. والإفك هو الكذب المتعمَّد من دون دليل أو سلطان.

[٨٨] ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾:

وقِيلِهِ: بكسر القاف واللام والهاء، قيل: مصدر قال والضّمير في قيلِهِ يعود إلى النّبي ﷺ لطول ما دعا النّبي ﷺ قومه إلى الإيمان، وهم معرضون عن الحق، ومكذبون بالقرآن وبالرّسول. فقال ابن عباس: شكا النّبي تخلُّف قومه عن الإيمان إلى ربه بقوله: قيله يا رب.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾: إن: للتوكيد، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة تشير إلى قومه وتفيد الذّم.

﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النّافية لجميع الأزمنة، لا يؤمنون: بالله ورسوله وكتبه والبعث والآخرة وقيله.

اختلف المفسرون في قِيلِهِ: فمنهم من عطف (قِيلِهِ) على السّاعة: أيْ: عنده علم السّاعة وعلم قِيلِهِ، ومنهم من عطف (قِيلِهِ) على سرهم ونجواهم: أيْ: أم يحسبون أنا لا نسمع سرَّهم ونجواهم وقِيلَهُ.

ومنهم من اعتبر (قِيلِهِ) مصدرَ قال: أيْ: وعنده علم السّاعة وعلمُ قول الرّسول ﷺ: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

ومنهم من اعتبر (وقِيلِهِ): الواو واو القسم وجواب القسم: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

ويمكن قراءتها بالحركات الثلاث:

١ - نصب اللام وتكتب وقيلَه: فتصبح مرتبطة بالآيات السّابقة، كما يلي:

- أم يحسبون أنا لا نسمع سرَّهم ونجواهم وقيلَه.

- وتبارك الّذي له ملك السّموات والأرض وما بينهما، وعنده علم السّاعة، ويعلم قيلَه.

٢ - بكسر اللام والهاء قِيلِهِ فتصبح وعنده علمُ السّاعة وعلم قِيلِهِ.

٣ - برفع اللام قِيلُهُ: أيْ: نداؤه: يا رب إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون.

فجاء الجواب من الحق سبحانه بقوله: فاصفح عنهم وقل: سلام.

[٨٩] ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَاصْفَحْ﴾: الفاء للتوكيد، اصفح: ترك اللوم ترك التثريب كقوله تعالى

على لسان يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢]، الصّفح هو أبلغ من العفو فالصّفح: العفو وترك اللوم، وأما العفو هو ترك العقوبة على الذّنب.

﴿عَنْهُمْ﴾: عن هؤلاء الّذين لا يؤمنون عن أقوالهم وأفعالهم الّتي يؤذونك بها.

﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾: سلام مفارقة، أيْ: ترك (لا سلام تحية)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:٦٣].

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد (للتراخي والتّرتيب).

﴿يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة كفرهم وعدم إيمانهم ووبال إعراضهم وجرمهم.

❖❖❖

سُورَةُ الدُّخَانِ

ترتيبها ٤٤ آياتها ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ
﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى
النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٥٠

سورة الدّخان [الآيات ١ - ١٨]

ترتيبها في القرآن (٤٤)، وترتيبها في النّزول (٦٤). نزلت بعد سورة الزّخرف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾:

﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: الواو: واو القسم، يقسم الله سبحانه بالكتاب، والله غني عن القسم، ولا يقسم إلا بالأمر العظيم؛ أي: بالقرآن لعظمته ورفعته، وسمي كتاباً؛ لأنّه مكتوب في الأسطر وفي اللوح المحفوظ. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: الواضح لكلّ من يقرأه، المبين للأحكام ولكلّ ما يحتاجه الإنسان من أمور الدّنيا والدّين، والمظهر للحق والباطل والحلال والحرام، وافعل ولا تفعل، ارجع إلى سورة النّمل الآية (١) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾:

﴿إِنَّآ﴾: جمع التّعظيم.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: دفعة واحدة؛ أي: كاملاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى

السّماء الدّنيا، ولو قال نزلناه، لكان يعني: نزلناه منجّماً؛ أي: مفرّقاً على دفعات وخلال (٢٣) سنة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾: ليلة: مفرد جمعها ليالي، وفي اللغة: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر التّالي. في: ظرفية، ليلة مباركة: هي ليلة القدر؛ أي: الّتي ابتدأ فيها إنزال القرآن، مباركة؛ لأن القيام فيها لرب العالمين بالعبادة الذكر والدعاء خير من عبادة ألف شهر، وتنزل الملائكة والرّوح فيها بإذن ربهم من كلّ أمر، تنزل بالرّحمة والبركات، ولأن الله سبحانه اختارها من بين الليالي، ومن قامها إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدّم من ذنبه (رواه البخاري ومسلم).

﴿إِنَّا﴾: تكرار إنَّا للتوكيد.

﴿كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: من الإنذار وهو الإعلام مع التّحذير والتّرهيب، منذرين من عدم طاعة الله سبحانه واتباع أوامره ومخالفة آياته، منذرين النّاس من الشّرك والكفر والمعاصي.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾:

﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾: فيها: تعود على ليلة القدر المباركة، يفرَق: يفصل أو يقدّر فيها الأرزاق والآجال والمقادير والأحداث في الكون من زلازل وخسف وفيضانات وصواعق، وغيرها من الأمور، فهي ليلة القضاء والحكم يوزّع على الملائكة تدبير العام القادم من موت ورزق وإحياء وخير وشر.

﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: كلّ أمر صادر عن الله سبحانه هو أمر حكيم، مبني على الحكمة، هناك أمور محكمة لا تبديل فيها ولا تغيير، وهناك أمور يمكن أن تتغير وتتبدل.

[٥] ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾:

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾: بما يجب أن يُفعل؛ أي: كما اقتضاه علمنا وحكمتنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: أي محمّد ﷺ ومن جاء قبله من الرّسل بالكتب والرّسالات إلىٰ عبادنا؛ لأجل أن ندلّهم ونهديهم إلىٰ ما يصلح شؤون حياتهم الدّنيوية والأخروية، مرسلين: تدل علىٰ الثّبوت والاستمرار، مرسلين بالرّسل وبالكتب وبالوحي.

فكلّ أمر صادر عن السّميع العليم هو أمر حكيم، ولا بد أن يتم ويطبّق، وهو نوع من رحمة الله بعباده ولتستقيم الخلافة في الأرض.

[٦] ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: هذا الإرسال بالرّسل والوحي والقرآن والكتب السّماوية هو نوع من رحمة ربك بعباده، والرّحمة تعريفها: هي كلّ ما يجلب ما يسرّ ويدفع ما يضرّ بالوقاية.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال عباده، وسميع لدعواهم ونجواهم وسرّهم وعلنهم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحال عباده وكونه وما يجري فيه، فلا تغيب عليه غائبة، والعليم بأعمال عباده وخفايا صدورهم وحاجاتهم ونواياهم، والعليم: صفة مبالغة مشتقة من علم؛ أي: كثير العلم.

[٧] ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾:

رحمة من ربك ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: أي خالقهما ومبدعهما ومالكهما وحاكمهما.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض، وجواب الشّرط محذوف؛ ليتضمن كلّ ما يخطر على الفكر.

﴿كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: جمع موقن، موقنين: من اليقين، واليقين هو: العلم بالحق الذي لا يتغير ولا يتبدل، ومصدق في عالم الواقع وبالقلب، ولا يحتاج إلى تفكير من جديد أو لينظر فيه مرة أخرى.

إن كنتم موقنين: بأنّه رب السّموات والأرض وما بينهما؛ أي: خالق ومدبّر السّموات والأرض، إذن فآمنوا به وحده واعبدوه وأطيعوه واشكروه، وكونوا موقنين بالبعث والحساب.

[٨] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا: النّافية للجنس، إله: لا معبود بحق في الوجود إلا هو.

إلا: أداة حصر وقصر، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد، لا إله إلا هو تفيد النّفي وتفيد الإثبات، فقوله: (لا إله) تفيد النّفي، (إلا هو) : تفيد الإثبات أو تؤكد النّفي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: هو وحده الذي يُحيي ويُميت لا يشاركه أحدٌ في الإحياء والإماتة.

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: فهو رب السّموات والأرض وما بينهما،

وهـو ربكم ورب آبائكم الأولين؛ أي: هو خالق السّـموات والأرض وخالقكم وخالق آبائكم الأولين ورازقكم ومدبّر أموركم والمنعم عليكم، فهو المسـتحق للعبادة لا غيره.

[٩] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾:

هذا جواب سـؤاله: إن كنتم موقنين؛ أي: هم غير موقنين بل هم في شـكٍّ يلعبون.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد، والضمير يعود على الغير موقنين بالبعث والحساب.

﴿فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: فبـدلاً من الإيمـان به وتوحيـده وطاعته والإيمان بالبعث والحسـاب، هم في شكٍّ: الشّك هو تساوي طرفي الإثبات والنّفي، فهم لا زالوا في تردّد وحيرة بين التّصديـق والتّكذيب في ربوبية الله تعالى وألوهيته وتوحيده، يلعبون: اللعب هو اللهو الّذي يصرف العبد عن واجباته؛ أي: يلعبون بدنياهـم ويلعبـون بدينهم وعقيدتهم ويقلـدون آباءهم، أو حسـب ما تقتضيه شهواتهم وأهواءهم.

[١٠] ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾:

﴿فَارْتَقِبْ﴾: الرّقيـب هـو الّذي ينتظـر ويراقب بكلّ الوسـائل؛ لكي لا يخفى عليـه أيُّ عمل من أعمال المُراقـب أو المراقبة، والخطـاب موجّهٌ إلى رسول الله ﷺ.

ارتقب السماء ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: اختلف في هذا الدّخان فقد قيل: إنّه لم يحدث بعد وأنّه من أشـراط السّـاعة كما بيّنت الأحاديث الصّحيحة والحسـنة، ويمكث في الأرض (٤٠) يوماً فيصاب المؤمنـون منه كهيئة الزّكام

ويصاب الكافرون منه بعذاب أليم، كما ورد في الآية التّالية رقم (١١)، وقيل: إنّ الدّخان قد حدث حين دعا النّبي على كفار ومشركي مكة بعد أن رأى منهم إدباراً عن دين الله تعالى فقال: اللهم اعنّي عليهم بسنين كسني يوسف، فأصيبوا بالجوع حتّى أكلوا الجلود والميتة، وصاروا يرون بين السّماء والأرض كهيئة الدّخان وليس بدخان، ولكنه من شدة نقص التّغذية والفيتامينات.

إذن هو ليس بدخان حقيقةً، ويحتمل أن يكون قد وقع أو لم يقع بعد ويمكن الجمع بين الحديثين والقول: إنّ كلاهما صحيح دخان قد حدث زمن الرّسول ﷺ وكان يشبه الدّخان من شدة الفقر والمجاعة، ودخان آخر قادم من أشراط السّاعة.

﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: دخان ظاهر وبيّن لكلّ فرد، وإنّه لا يخفى على كلّ أحد يصاب به، ظاهر بنفسه لا يحتاج إلى دليل.

[١١] ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾: أي الدّخان يحيط بهم ويغطّي النّاس.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلى الدّخان.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: لكونه يسبّب لهم ضيقاً في التّنفس كالّذي يتنفس غاز أوّل أكسيد الكربون فيشعر بألم شديد.

[١٢] ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾:

يقول النّاس عندما يتنفّسون الدّخان ويشعرون بالألم الشّديد:

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾: أي ارفع عنا العذاب أو أزِله عنا.

﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: إنّا مصدّقون بك وبرسولك، ومؤمنون بما أرسلت إلينا؛ أي: نعدِك بالإيمان إذا رفعت عنا الدّخان.

[١٣] ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾:

﴿أَنَّىٰ﴾: كيف لهم الذّكرىٰ؛ أي: أن يتذكّروا ويتّعظوا ولا ينسوا ما حلّ بهم، وكيف يكشف الله عنهم العذاب، ومن أين لهم الذّكرىٰ، يراد به الموضع؛ أي: من الّذي سيذكّرهم، أو من أين تأتي لهم الذّكرىٰ؟ وكلاهما استفهام وتعجّب.

﴿وَقَدْ﴾: للتحقيق والتّوكيد.

﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾: جاءهم: جاء أهل مكة، رسول مبين: هو رسول الله ﷺ ظاهر الصّدق والأمانة لكلّ فرد من قريش وغيرهم، ومبين: في التّوراة والإنجيل اسمه وصفاته يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ورسول مبين: كامل الرّسالة ورسالته بيّنة واضحة لكلّ فرد.

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذّكري أو العددي.

﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: ابتعدوا عنه وأعرضوا عنه.

﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: أي يعلّمه بشرٌ.

﴿مَجْنُونٌ﴾: لا عقل له فيما يدّعي من النّبوة، وأن الإله إلهاً واحداً والبعث والحساب.

[١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾: أي رافعو العذاب عنهم زمناً قليلاً لعلّهم يتوبوا ويرجعوا إلىٰ صوابهم.

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿عَآئِدُونَ﴾: إلىٰ الشّرك والكفر، عائدون إليه كالسّابق، عائدون: تدلّ علىٰ الثّبوت والاستمرار، وما كشف العذاب إلا لإقامة الحُجة عليهم فهو سبحانه يعلم سابقاً أنهم عائدون.

[١٦] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة؛ للتهويل والتّعظيم، قيل: يوم القيامة، وهناك من قال: إنّه يوم بدر.

﴿نَبْطِشُ﴾: من بطش يبطش؛ أي: نعاقبهم وننتقم منهم؛ أي: نأخذهم بشدة وقوة.

﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: يوم القيامة أو يوم بدر.

﴿إِنَّا﴾: للجمع والتّعظيم.

﴿مُنتَقِمُونَ﴾: إنّا معاقبوهم أشدَّ العقاب بسلب النّعمة منهم، أو الهلاك أو القتل. منتقمون: تدل علىٰ الثبوت.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾:

بعد أن بيّن الله سبحانه حالة المشركين في مكة وإصرارهم علىٰ الكفر والشّرك والتّكذيب، يخبر الله تعالىٰ رسوله ﷺ ويذكّره بحالة موسىٰ عليه السلام وما فعل به قوم فرعون، فنصره الله عليهم وأغرقهم باليمِّ وجعلهم عبرة لغيرهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: حدث ذلك وتحقّق.

﴿فَتَنَّا﴾: من الفتنة، ارجع إلى سورة العنكبوت الآية (٢) للبيان.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: الضّمير على كفار ومشركي قريش.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: الأقباط.

﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: هو موسى عليه السلام ووصفه بالرّسول الكريم: كريم حسن الخلق، أو كريم على ربّه أو كلاهما.

[١٨] ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾: أي أرسلوا معي بني إسرائيل، وصفهم بعباد الله، أو ادفعوا إليّ بني إسرائيل وأطلِقوا سراحهم، أو أدّوا: ارجعوا إليّ وآمنوا بي واتّبعوا سبيلي.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: على الرّسالة والآيات والتّوراة أو على الوحي.

❖ ❖ ❖

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ
بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

سورة الدّخان [الآيات ١٩ - ٣٩]

[١٩] ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَأَن﴾: الواو عاطفة، أن: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: أي: لا تستكبروا عن عبادته أو ألا تقبلوا الحق، وما أنزل إليكم وتؤمنوا به، والعلو: هو الغرور بالقوة أو القدرة.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: السّلطان: هو البرهان ويمثل أعلىٰ درجات الإثبات: إمّا أن يكون سلطان قوة وقهر، أو سلطان حُجة ودليل، والسّلطان هنا سلطان حجة وبيان، ويعني: آية العصا واليد وغيرهما، سلطان مبين: سلطان ظاهر لكلّ فرد، ومبين لا يُخفي نفسه، وعندما قال ذلك توعّدوه بالقتل ولذلك قال: وإنّي عُذت بربي وربكم أن ترجمون.

[٢٠] ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾:

﴿وَإِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: اعتصمت بربي وربكم (خالقي وخالقكم) والتجأت إليه من كيدكم، وعياذ موسىٰ بالله: إنما هو عياذ في الحقيقة من أذىٰ فرعون وملئه.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾: أن تقتلوني بالرّجم أو القتل والرّجم بالحجارة كان نوعاً

سائداً من أنواع القتل، والرّجم قد يكون بالقول أو يكون بالقتل أن ترجمون ولم يقل ترجموني؛ لأن الرجم إذا حديث سيحدث من قلة من الإفراد وليس من الكل والتعوذ مؤقت من فرعون وقومه حتىٰ يهلك فرعون وقومه بالفرق وليس دائم.

[٢١] ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾:

﴿ وَإِن ﴾: الواو عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض أو الشك.

﴿ لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى ﴾: لم: للنفي، تؤمنوا لي: تصدّقوا أنّي رسول الله إليكم.

﴿ فَٱعْتَزِلُونِ ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، اعتزلون: خلّوا سبيلي واتركوني: اتركوا أذاي أو الوقوف في طريقي، أو لا تتعرّضوا لي بسوء، أو لا تقربوا مني ولا أقرب منكم، واقطعوا أسباب الصّلة معي.

[٢٢] ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾:

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ ﴾: الفاء عاطفة، دعا موسىٰ ربه:

﴿ أَنَّ ﴾: للتعليل، والتّوكيد، هؤلاء: الهاء للتنبيه والقرب، أولاء: اسم إشارة للجمع.

﴿ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾: مشركون كافرون ظالمون يستحقون الهلاك، دعا موسىٰ ربّه حين كذّبوه وهمّوا بقتله، دعا ربه: ربّنا اطمِس علىٰ أموالهم، واشدُد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتّىٰ يروا العذاب الأليم، فردّ الله تعالىٰ عليه: قد أُجيبت دعوتكما [يونس:٨٨-٨٩]، وارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمون.

[٢٣] ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾:

أي: أجاب الله سبحانه دعاءه وأمره أن يسري بقومه ليلاً، وفي الآيات

الأخرىٰ قال تعالىٰ: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [طه:٧٧]، وفي الشعراء آية (٥٢) قال تعالىٰ: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيَ﴾ ولم يقل ليلاً.

﴿فَأَسْرِ﴾: من السُّرىٰ؛ وهو السّير ليلاً، مبنيّ علىٰ السّتر والخفاء؛ فلماذا أضاف ليلاً في هذه الآية؟ لأن في آية طه والشعراء لم يحدد أي ليلة، أو تلك الليلة، وفي آية الدخان حدد تلك الليلة بعينها.

﴿لَيْلًا﴾: تعني في تلك الليلة المحددة المعينة، وثانياً: في جزء من الليل ولا تعني كلّ الليل، ولو قال فأسرِ بعبادي الليل؛ يعني: كلّ الليل، ولو قال فأسرِ بعبادي فقط فهو لم يحدّد ليلة معينة؛ أي: أسرِ بعبادي في المستقبل، كما في قوله تعالىٰ في سورة طه آية (٧٧) وسورة الشّعراء آية (٥٢) حين خاطب الله سبحانه موسىٰ عليه السلام فقال: أن أسرِ بعبادي، فقط ولم يقل ليلاً إلا في سورة الدّخان آية (٢٣).

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: ولم يُبين في هذه الآية بمن يتبعهم، ولكنه بينه في آية أخرىٰ في سورة طه الآية (٧٨): ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾، وفي آية أخرىٰ سورة يونس الآية (٩٠): ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾.

إذن: أسرِ بعبادي ليلاً: أي أسرِ ليلاً في هذه الليلة المحددة، بينما أسرِ بعبادي تعني: في المستقبل، وفيها متّسع من الوقت حتّىٰ يجهّز نفسه وقومه للخروج.

[٢٤] ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾:

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾: ساكناً علىٰ هيئته الّتي هو عليها بعد أن ضربته بعصاك فانفلق فكان كلّ فرقٍ كالطَّود العظيم:

١ - اتركه رَهواً ساكناً حتّىٰ يدخله فرعون وجنوده، فقد أراد موسىٰ عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه حتّىٰ يرجع البحر كما كان قبل أن ينفلق، فلا يستطيع

فرعون وجنوده أن يلحق بهم، ولكن الله سبحانه طلب من موسىٰ أن يتركه قارّاً علىٰ حاله؛ حتّىٰ يدخله فرعون وجنوده، فإذا دخلوا فيه أطبقه الله عليهم حتّىٰ يهلكهم بالغرق.

٢ - وقيل الرَّهو: هو الفجوة الواسعة أو الفُرجة بين القدمين، أو الرَّهو: الفجوة بين سنامين، من رها: إذا فتح، (فرّج بين رجليه).

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ﴾: للتوكيد، جند: اسم جنس تشمل المفرد والمثنىٰ والجمع. ارجع إلىٰ سورة يس آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين جند وجنود.

﴿مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بإغراقهم، جملة اسمية تعليلية، أخبر الله سبحانه موسىٰ بهذا الخبر ليطمئنّ قلبه في ترك البحر علىٰ حاله؛ لأنّه كان خائفاً أن يُدرَك.

[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿كَمْ﴾: الخبرية تفيد التّكثير؛ أي: كم تركوا الكثير من الجنات والعيون.

﴿تَرَكُوا﴾: أي فرعون وجنوده تركوا بعد أن أُهلكوا بالغرق.

﴿مِن﴾: ابتدائية.

﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين وحدائق غناء.

﴿وَعُيُونٍ﴾: ينابيع جارية، عين جمعها: أعين وعيون، أعين: جمع عين؛ أي: آلة البصر، أما عيون جمع عين: عين الماء.

[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿وَزُرُوعٍ﴾: جمع زرع: وهو ما ينبت علىٰ غير ساق والشّجر ما له ساق، والنّبات يطلق علىٰ الجميع.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مجالس ومنازل مريحة فاخرة، وفي سورة الشعراء آية (٥٧-٥٨) قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ بدل الزروع بكلمة الكنوز؛ قيل: الكنوز ما كانوا يدخرونه من الأموال والذهب والفضة، ولأن ما تركوه كلا الأمرين الزروع والكنوز؛ لذلك أخبر في الآيتين ما تركوه، وليس هناك تعارض فضلاً عن الجنات والعيون والمقام الكريم في كلا الآيتين.

[٢٧] ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾:

﴿وَنَعْمَةٍ﴾: انتبه إلى لفظ النَّعمة ولم يقل نِعمة، نَعمة بفتح النّون في هذه الآية، وكما جاء في سورة المزمل آية (١١) وهي قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ هذه النعمة تعني: نعمة لا تحمل معنى الخير، بل هي نعمة مذمومة فيها شر لهم، وتشمل: سعة العيش والرّخاء والبطر والترف، وتحمل معنى الذّم أو: بئس النَّعمة.

نِعمة بكسر النّون: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ تعني: سعة العيش والشّكر وعدم الإسراف والبطر، تحمل معنى المدح؛ أي: نِعمَ النّعمة نِعمة تحمل معنى الخير والبركة.

﴿كَانُوا۟﴾: في الحياة الدّنيا.

﴿فَٰكِهِينَ﴾: مترفين متنعمين مستلذين بأكل الفاكهة. ارجع إلى سورة الطّور آية (١٨) وسورة يس لمعرفة الفرق بين فاكهين وفاكهون.

[٢٨] ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾:

أي: كما تركوا الجنات والعيون والزّروع والمقام الكريم؛ أي: كذلك وأورثناها قوماً آخرين.

اختلف في هؤلاء: القــوم الآخرين (بعد هلاك فرعون وجنوده)، قيل: هم بني إسرائيل الذين لم يخرجوا مع موسىٰ، وقيل: هم من الأقباط من أهل مصر.

وقيل: القوم الآخرين هم بنو إســرائيل من بعد موسىٰ بعد انتصارهم علىٰ العمالقة دخلوا مصر مرة ثانية وحكموها، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٥٩]. ارجع إلىٰ سورة الشعراء آية (٥٩) للبيان المفصل.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما: النّافية.

﴿بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾: اســتعارة؛ أي: لــم تحزن أو تبكِ السّــماء والأرض علىٰ هلاكهم وموتهم.

أي: لــم تكترث السّــماء والأرض لموتهم، ولم نقم لهــم وزناً؛ لهوانهم علىٰ الله بسبب كفرهم وظلمهم.

شبّه السّماء والأرض بالإنسان وأسند إليهما البكاء، وقال علي وابن عبّاس رضي الله عنهما بما معناه: إنّ مصلّىٰ العبد ومصعد عمله يبكي عليه بعد موته.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾: ممهَلين أو مؤخَّرين إلىٰ أن يتوبوا أو إلىٰ يوم القيامة، بل عجّل لهم العذاب في الدّنيا بإغراقهم.

[٣٠] ﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾:

﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو اســتئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قــد: للتحقيق، وقد حصل ذلك.

﴿نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: ولم يقل أنجينا، نجّينا؛ أي: زمن نجاتهم استغرق زمناً طويلاً من فرعون وقومه نجيناهم.

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: أي العذاب الأليم الذي قام به فرعون وجنوده المختلط بالإهانة؛ لأنّه كان يخالطُه المذلّة، وكان يتمّ أمام أعين النّاس أو على مرأىٰ منهم حيث كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم ويسومهم سوء العذاب.

[٣١] ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾: نجّينا بني إسرائيل من فرعون الطاغية الذي يأمر جنوده بالقيام بعذاب بني إسرائيل.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: من المستكبرين ومن المسرفين في العذاب؛ لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم.

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَلَقَدِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٠) للبيان.

﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾: الاختيار: من بين الأمم الّتي كانت في ذلك الزّمن فقد كانوا أفضل أمم زمانهم، ولم يستمر ذلك طويلاً فقد انقلب أكثرهم إلىٰ فاسقين، وضُربت عليه الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أي لم يكن اختيارهم منا أمراً سريّاً أو مخفيّاً الكلّ يعلم به من عالمي زمانهم، أو اخترناهم علىٰ علم؛ لأنهم كانوا أفضل من غيرهم في ذلك الزمان.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم؛ أي: علىٰ النّاس جميعاً وهم الإنس والجن في ذلك الزّمن وليس كلّ الأزمنة، وقيل: اختيارهم علىٰ النّاس؛ لكثرة الأنبياء منهم.

[٣٣] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾: أرسلنا الآيات إليهم؛ أي: المعجزات الخارقة مثل فلق البحر والغمام والمنّ والسّلوىٰ وانفجار الحجر.

﴿مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: من المعجزات، ومن التّكاليف الشّرعية القاسية، والسّيئات والحسنات.

﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾: أي بلوناهم ما فيه الكفاية بالخير والشر والابتلاءات المبينة؛ أي: الظاهرة الجليّة مثل: رفع الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة، والقرية الّتي كانت حاضرة البحر، واتخاذ العجل، والمنّ والسّلوىٰ، ودخول القرية وغيرها، وتشريدهم في الأرض، وجعل قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشد.

[٣٤] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر قصة فرعون وقومه مع موسىٰ؛ ليتّعظ بها كفار قريش، يعود الآن ليتمَّ الحديث عن كفار قريش وأنّهم في شك من البعث والقيامة، وهم في إصرارهم علىٰ الكفر مثل قوم فرعون الّذين أهلكهم الله وأنجىٰ بني إسرائيل، فيذكر الله سبحانه أنّه قادر علىٰ بعثهم، ثمّ توعّدهم بالهلاك كما أهلك قوم تُبَّع وفرعون وقومه.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب؛ تعني: كفار قريش.

﴿لَيَقُولُونَ﴾: اللام للتوكيد.

[٣٥] ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾:

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ﴾: إن: نافية بمعنىٰ ما؛ أي: ما هي إلا موتتنا

الأولىٰ، إلا: أداة حصر؛ أي: نهاية الأمر بعد الحياة الدّنيا الموت، وليس هناك بعد الموت حياة أو نشور مرة أخرىٰ. وإذا قارنا هذه الآية بقوله تعالىٰ في الآية (٥٨-٥٩) من سورة الصافات: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ جاءت (موتَتُنا) في آية الدخان مرفوعة، وفي آية الصافات منصوبة؛ لأن (موتَتَنا) في آية الصافات استثناء، و(موتَتُنا) في آية الدخان خبر، وإذا نظرنا إلىٰ السياق نجد (موتَتُنا) في آية الدخان جاءت في سياق الدنيا؛ أي: الذين قالوها وهم لا زالوا أحياء، و(موتَتَنا) في آية الصافات كانت في سياق الآخرة من قالها كان من أهل الجنة.

﴿بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثين أحياء بعد الموتة الأولىٰ، أنشر الله الميت؛ أي: أحياهُ أو بعثه حياً، وما نحن بمنشَرين: بمبعوثين أحياء، كقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [عبس:٢٢]، أنشره: أي أحياه.

[٣٦] ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

سؤال من المكذّبين بالبعث والحساب إلىٰ رسلهم وأنبيائهم.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: أحيوا لنا من مات من آبائنا وأجدادنا.

إن: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض، إن كنتم صادقين في وعدكم بالبعث والحساب، وحذف جواب الشّرط؛ أي: نشكّ أنّكم صادقون، أو أنتم لستم صادقين.

[٣٧] ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾:

﴿أَهُمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿خَيْرٌ﴾: أي أفضل. أم: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: يعني في القوة والمنعة، وليس في العمل الصّالح وعمل

الخير والطّاعة؛ لأنّ الكلّ كان كافراً، قوم تبّع وكفار قريش. انتبه الذّم يخصّ قوم تبّع.

أهم: كفار قريش أقوىٰ وأشد من قوم تبّع الحميري: أحد ملوك التّبابعة كانوا في بلاد اليمن، يطلق عليهم قوم تبّع، وتبّع لقب لملوك اليمن.

أقوام تبّع، سمّوا التّبابعة؛ أي: الأقيال، ينامون يتقيّلون في الظّل الذي هو تبعاً يتبع الشّمس.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: من الأمم الكافرة مثل عاد وثمود.

﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾: قضينا عليهم بكفرهم ودمّرناهم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُمۡ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾: بالكفر والشّرك والمعاصي والابتعاد عن الله. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ مجرمين.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النّافية.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾: لاعبين: أي عبثاً أو باطلاً؛ أي: لا فائدة منهما ولا نفع لمجرد اللعب.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾:

﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾: ما: النّافية، خلقناهما إلا بالحق: إلا تفيد الحصر، والحق هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل؛ أي: خلقهما دليل وبرهان لإظهار عظمة الله وقدرته، وأنّه الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد وحده

بلا شريك أو ندٍّ أو مثيل، وخلقهما بالحق: أي دورانهما وجريهما وعدم تغيرهما دليل على الحق وعلى قدرته على البعث والنّشور، والباء (بالحق) تدل على الإلصاق؛ أي: الحق لا ينفصل عنهما أبداً.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يجري في السّموات والأرض من حقائق علمية خارقة لعقل البشر، وإنّ هذا يدل على قدرة الله تعالى وعظمته، ويدل على حكمته وعلمه، أو: لا يعلمون عاقبة أمرهم وكفرهم وشركهم.

❖ ❖ ❖

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

ترتيبها ٤٥ آياتها ٣٧

سورة الدّخان [الآيات ٤٠ - ٥٩]

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: إنّ للتوكيد، يوم الفصل: أي يوم القيامة، وسمّي يوم الفصل؛ لأنّ الله سبحانه يفصل فيه بين العباد، بين المؤمن والكافر، يفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون من التّوحيد والشّرك والحق والباطل، ويوم القيامة له أسماء كثيرة نذكر منها: يوم الفصل يوم الدّين اليوم الآخر يوم البعث يوم الحشر يوم الجمع يوم التّغابن يوم الآزفة وغيرها من الأسماء.

﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾: ميقاتهم الزّمني والمكاني، والميقات: ظرف، ظرف زمان أو ظرف مكان. ميعادهم للحشر والحساب والجزاء (زمن حسابهم وزمن عرضهم على ربهم).

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد؛ أي: الكلّ حاضر في أرض المحشر وزمن واحد، أجمعين: الجميع الكلّ حاضرون ومجتمعون.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة؛ للتهويل والتّعظيم؛ أي: يوم الفصل يوم الحساب.

﴿لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾: لا النّافية، يغني: ينفع، مولى: يطلق على القريب كابن العم وغيره: لا ينفع القريب قريبه، شيئاً: نكرة؛ أي: شيئاً قليلاً أو كثيراً من شفاعة أو مساعدة، تفيد المجاوزة والمباعدة، والشيء: هو أقل القليل، وسواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿وَلَا﴾: تكرار «لا» يفيد توكيد النّفي.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يُنصَرُونَ﴾: لا القريب ينصر قريبه أو يساعده ولا البعيد، ولو بزيادة حسنة أو دفع سيئة أو ينصره من العذاب بأي شيء مهما كان.

[٤٢] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء أو حصر.

﴿مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾: من ابتدائية استغراقية، وتشمل المفرد والمثنى والجمع، رحم الله: بالإذن له بالشفاعة، وأن يكون كفؤاً لذلك، ويشفع بعضهم في بعض؛ لأنّ رحمة الله واسعة، أو من رحم الله فلا يحتاج إلى مولى ولا إلى نصير؛ لأنه سبحانه نعم المولى ونعم النّصير، فهو غني عن شفاعة الآخرين، وتكفي رحمة الله فهي حسبه.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد

﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي الّذي لا يُغلب ولا يُقهر، وممتنع على عباده.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بعباده المؤمنين المتقين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾:

شجرة خبيثة مرة الطّعم مُنتنة لا يوجد لها مثيل في الدّنيا، وليست شجرة واحدة، بل ﴿شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة:٥٢].

﴿ٱلزَّقُّومِ﴾: مشتقة من التّزقّم: وهو البلع بصعوبة؛ لكراهية الطّعم ونتن الرّائحة.

لماذا خلقت؟ فتنة للظالمين (سورة الصّافات الآية ٦٣) وطعام الأثيم.

أين تنبت؟ في أصل الجحيم؛ أي: قعر الجحيم (سورة الصّافات الآية ٦٤).

ماذا تشبه؟ تشبه رؤوس الشّياطين (سورة الصّافات الآية ٦٥).

وتسمى الشّجرة الملعونة، ذكر اسم هذه الشّجرة ثلاث مرات في:

سورة الصّافات الآية (٦٢): ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾.

وفي سورة الدّخان الآية (٤٣): ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾.

وفي سورة الواقعة الآية (٥٦): ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾.

[٤٤] ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾:

الأثيم: كثير الإثم، صيغة مبالغة، المبالغ في ارتكاب الآثام والذّنوب؛ أي: الكافر والمجرم، الأثيم: مثل أبي جهل وغيره، فقد كان يأتي بالزّبد والتّمر ويقول لأولاده وغيرهم: تزقّموا فهذا هو الزّقّوم الذي يعدكم به محمّد ﷺ.

[٤٥] ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾:

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: الكاف للتشبيه؛ أي: طعامها يشبه المهل: هو دردي الزّيت الأسود؛ أي: عكر الزّيت الرّديء، وقيل: هو النّحاس المذاب أو القطران أو ما ذاب من معادن الأرض. وقيل: المهل مشتقة من الأشياء الّتي تمهل في النّار لتذوب.

[٤٦] ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾:

يغلي في البطون: بطون الكفار، كغلي الحميم: الماء الحارّ المتناهي في الحرارة؛ أي: وصل درجة الغليان.

[٤٧] ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾:

يقال للملائكة: خذوا هذا الأثيم.

﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾: الفاء للمباشرة، جرُّوه أو احملوه بشدة وعنف، العتل: هو الأخذ بمجامع الشّيء وجرُّه بقهر وعنف.

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسط الجحيم، الجحيم: اسم من أسماء النّار أو دركة من دركاتها، مشتقة من الجحوم: وهو التّأجّج فلا تخمد. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تعني التّراخي في الزّمن، وإنما لتباين الصّفات أو الدّرجة بين الأخذ بعنف والعتل وصبّ الحميم فوق رأسه، أو للترتيب الذكري أو العددي.

﴿صُبُّوا۟﴾: من الصب؛ أي: سكب العذاب فوق رأسه؛ حذف من فوق رأسه؛ لأن (من) تعني القريب؛ أي: هو واقف مباشرة تحت الماء الحميم، أما حذف (من) تحتمل البعيد والقريب.

﴿ٱلْحَمِيمِ﴾: هو المصبوب فإذا صبّ عليه الحميم فقد صبّ عليه عذابه، فهو شبّه العذاب بالشّيء السائل (الحميم) الّذي يصبّ عليه، ويدل علىٰ شدة وكثرة الصّبّ؛ أي: الصّبّ الكثير المتواصل بلا انقطاع.

وصبّ العذاب: يعني بكلّ أنواعه، ومنها: صبّ الحميم؛ وهو نوع واحد من أنواع كثيرة من العذاب كالزّمهرير والحريق.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية استغراقية: من كلّ أنواع العذاب.

ولنقارن هذه الآية (٤٨) من سورة الدّخان وهي قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ والآية (١٩) من سورة الحج وهي قوله تعالىٰ: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾.

سورة الحج الآية (١٩) يُصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم من فوق رؤوسهم مباشرة ليس هناك فاصل بين الرّأس والصّبّ، من ابتداء الغاية، من فوق يعني: حتّىٰ لا تضيع درجة حرارته؛ لأنه يراد به أن يصهر ما في بطونهم.

سورة الدّخان الآية (٤٨): ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم، فوق

رأسه يتحمّل القريب والبعيد، الغاية هنا التّحقير والاستهزاء والسّخرية من الّذي ادّعىٰ أنّه هو العزيز الكريم؛ أي: أبي جهل أو غيره.

[٤٩] ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾:

أي قولوا له:

﴿ذُقْ﴾: للتوبيخ والإهانة والسّخرية لكلّ من يستنكف عن عبادة ربه ويستكبر.

وقيل: نزلت هذه الآية كما أخرج الطّبريّ عن قتادة: في أبي جهل؛ حيث كان يظن أنّه لا أكرم منه ولا أعزّ وأمنع ما بين جبلَي مكة، فقتله الله سبحانه يوم بدر وعيّره بكلمته فقال: ذق إنّك أنت العزيز الكريم، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب، ذق: العذاب.

﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾: أنت للتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾: بزعمك؛ وتعني: ذق إنّك أنت الذّليل الحقير يا من كنت تظن أنّك أنت العزيز الكريم.

[٥٠] ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾:

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إنّ: للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير للعذاب.

﴿مَا كُنتُم بِهِ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، كنتم به؛ أي: الدّنيا، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَمْتَرُونَ﴾: مشتقة من: المراء وهو الجدال بالباطل بعد تبيّن وظهور الحق؛ أي: ما كنتم تجادلون به، وتستبعدون وتشكّون في حدوثه بعدما بيّناه لكم وحذّرناكم منه في الكتاب وعلىٰ لسان رسوله ﷺ.

[٥١] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ: للتوكيد، المتقين: الّذين امتثلوا أوامر الله فأطاعوه وتجنّبوا نواهيه.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾: بفتح الميم؛ تعني: المنزلة والمكانة الآمنة يأمن صاحبها من كلّ المخاوف، وبضمّ الميم تعني: المكان، مكان الإقامة، ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٢٥) للمقارنة بين مَقَام ومُقام، ومقام أمين: من كلّ المخاوف بما فيها الموت والتّغيّرات والطّوارئ والمرض.

[٥٢] ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿جَنَّٰتٍ﴾: منها الفردوس وعدن والنّعيم والمأوى ودار السّلام وغيرها.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جمع عين، عيون: الكافور والسّلسبيل والزّنجبيل والتّسنيم: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرّحمن:٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرّحمن:٦٦]. وعيون تختلف عن أعين (أعين تعني: أدوات البصر).

[٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾:

﴿يَلْبَسُونَ مِن﴾: أي لباسهم، من: ابتدائية للجنس.

﴿سُندُسٍ﴾: هو ما رقَّ من الحرير (الحرير الرّقيق النّاعم).

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ من الحرير.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: على مجالسهم أو سُرُرهم؛ ليستأنس بعضهم ببعض ولينظر بعضهم إلى بعض.

[٥٤] ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾:

أي كما ألبسناهم السّندس والإستبرق، أو كما أكرمناهم بدخول الجنة كذلك وزوّجناهم بحور عين، أو: كما زوّجناهم في الدّنيا نزوّجهم في الآخرة بالحور العين.

﴿بِحُورٍ﴾: الباء للإلصاق، الحور العين: زوجات غير زوجاتهم في الدّنيا، الحور: جمع حوراء، وهي الّتي يكون بياض عينيها شديد البياض وسواده شديد السّواد. والعِيْن: جمع عيناء؛ أي: واسعات الأعين يحار الطّرف بجمالهن، وفي آيات أخرىٰ وصفهن: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣٣]، ﴿أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٦-٣٧].

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾:

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة يطلبون أو يأمرون بإحضار ما يشتهون من الفاكهة؛ أي: تقدّم لهم كلّ أنواع الفاكهة، فاكهة: اسم جنس يشمل كلّ أنواع الفاكهة.

﴿ءَامِنِينَ﴾: في سلام وأمن كامل من الموت، ومن كلّ مرض وضرر وأذىٰ وهمٍّ وغمٍّ، وفقر ومطعم ومشرب وملبس ومأوىٰ، آمنين من تغيّر أحوالهم ومن أيّ خوف أو حذر أو إنذار.

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿لَا يَذُوقُونَ﴾: لا النّافية.

﴿يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: فيها: في الجنة لا يذوقون أو يذاقون الموت، خلود بلا موت، إلا: أداة حصر واستثناء، الموتة الأولىٰ: الّتي كانت في الدّنيا وانتهىٰ أمرها، والموتة الأولىٰ: توكيد للنفي؛ أي: لا يذوقون في الجنة الموت سوىٰ الموتة الّتي ذاقوها في الدّنيا.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: ووقاهم ربهم عذاب الجحيم: اسم من أسماء

النّار، والجحيم من الجحوم: هو التّأجّج بلا خمود أو انقطاع. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٥٧] ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

أي: ما أعطى المتقين من جنات وعيون وسندس وإستبرق وحور عين وغيرها من نعيم الجنة والوقاية من عذاب الجحيم كلّه، تفضلاً من ربك وليس بما عملوه من الأعمال الصّالحة والحسنات.

والفضل: هو الزّيادة عما يستحقّ العبد من الأجر أو حقّه، والفضل لا يكون واجباً وإنما هو تفضّل من الله سبحانه بغير سبب.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام للبعد، ويفيد التّعظيم والمدح.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: الفوز الذي لا يعلوه فوزٌ، مقارنةً بالفوز المبين أو الفوز الكبير مقارنة بقوله تعالى في الآية (١٢) من سور الصف ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بدون إضافة هو؛ لأن الفوز العظيم درجات أعظمها: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وأوسطها: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وأدناها: ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، والفوز العظيم أعلى درجة من الفوز الكبير، والفوز الكبير أعلى درجة من الفوز المبين، والله أعلم؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنى الفوز وأنواعه ودرجاته.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد استئنافية، إنما: كافة مكفوفة تفيد زيادة التّوكيد.

﴿يَسَّرْنَاهُ﴾: هاء الضّمير تعود للقرآن العظيم، يسّرناه للحفظ والفهم والتّدبّر والقراءة.

﴿بِلِسَانِكَ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، بلسانك: بلغتك العربية ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨].

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعلّ للتعليل، لعلّهم يتذكرونه ولا ينسونه.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: خالقهم ورازقهم ووليّهم، يتذكّرون نعمه وإحسانه وفضله، ويتذكّرون وعده ووعيده، ويتذكّرون آياته وأحكامه وحدوده.

يتذكّرون: ولو لزمهم الزّمن الطّويل أو احتاجوا إلى زمن طويل مقارنةً بقوله: يذكرون؛ أي: تذكّرهم لا يحتاج إلى زمن طويل.

[٥٩] ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾:

﴿فَارْتَقِبْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر؛ أي: إن كفروا وأعرضوا فارتقب هلاكهم، ارتقب: من الارتقاب: وهو الانتظار مع المراقبة (بكلّ الوسائل) حتّى لا يفوته أيُّ شيء مما يفعله المُرَاقب، أو ارتقِب: ما وعدناك من النّصر والفوز عليهم.

﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: إن: للتوكيد، مرتقبون؛ أي: وهم كذلك مرتقبون ما يحلّ بك من الدّوائر، ومرتقبون: جمع مرتقب: اسم فاعل من الفعل الخماسي: ارتقب.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
ثلاثة أرباع الحزب ٥٠
۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن
فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

سورة الجاثية [الآيات ١ - ١٣]

ترتيبها في القرآن (٤٥)، وترتيبها في النّزول (٦٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة الزّمر للبيان.

[٣] ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي﴾: إنّ: للتوكيد، في ظرفية.

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾: اللام للتوكيد، آيات كونية كثيرة تدل علىٰ عظمة الخالق ووحدانيّته وحكمته وقدرته، وأنّه الإله الحق الّذي يستحق أن يعبد وحده.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، للمؤمنين، أيْ: تنفع المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ويزدادوا هدىٰ وتقوىٰ مع تقواهم.

[٤] ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾: أيْ: في خلق الإنسان وأطوار خلقه وتسويته وتصويره وتركيبه. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٥)، وسورة المؤمنون آية (١٢-١٤) للبيان.

﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ﴾: البث هو النّشر والتّفرق في الأرض والعيش في الجبال

أو الصّحارىٰ أو الوديان والسّهول والمدن والقرىٰ والأرياف، من دابة: من استغراقية، دابة: كلّ ما يدب علىٰ الأرض من إنسان وحيوان وجن.

﴿ءَايَٰتٌ﴾: في الخلق والنّشر والتّفرق والعيش آيات، أيْ: دلائل وبينات علىٰ عظمة الله وقدرته وحكمته ووحدانيّته، وأنّه هو الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يوقنون: اليقين لا يوجد إلا بعد الإيمان والإيمان حين يزداد يرتقي إلىٰ اليقين، واليقين: هو العلم بالحق الّذي ليس هناك غيره لا يتغير ولا يتبدل، والمستقر في القلب ولا يحتاج إلىٰ مراجعة أو تفكير به من جديد. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

فهذه الآيات الكونية وآيات الخلق إذا فكر الإنسان بها وتدبرها وعقلها تكفي للإيمان، وأن يرتقي الإيمان بالله إلىٰ درجة اليقين، لقوم يوقنون: بأنّ الّذي خلق الخلق وبثّهم ونشرهم لا يقدر عليه إلا الله سبحانه واجب الوجود، وأنّه الحق له وحده الألوهية والرّبوبية والصّفات والأسماء الحسنىٰ، يوقنون تدل علىٰ تجدُّد وتكرار يقينهم كلما شاهدوا ورأوا تلك الآيات.

[٥] ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: الدّال علىٰ كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشّمس الّذي ينتج عنه تبادل الليل والنّهار والولوج والتكوير من أعظم الآيات الدّالة علىٰ قدرة الخالق. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٣٣) للبيان.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾: أي: الغيث والطاقة الحرارية والرّياح والمعادن كالحديد وغيره وبعض الأشعة وغيرها من مصادر الطّاقة.

أنزل: تعني :مرة واحدة، نزل: تعني مرات كثيرة.

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾: بالماء، وهذه الآية تشير إلى دورة الماء على الأرض. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨).

﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بزمن قصير أو طويل، ولم يقل: من بعد موتها: أيْ: مباشرة من بعد موتها، كما يحدث في كلّ عام. ارجع إلى سورة الحج آية (٥، ٦٣)، وسورة فصلت آية (٣٩) وسورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: تغيرها من حال إلى حال، يحولها من ريح طيبة لينة إلى ريح عاصفة مدمرة، ومن ريح حارة إلى باردة إلى سامة (ريح السّموم)، ومن ريح باردة إلى ريح صرصر عاتية، وتصريفها باتجاهات مختلفة تحمل معها السّحاب أو الغبار، والرياح في القرآن تأتي في سياق الخير، وأما الريح تأتي في سياق الضر أو الشر والدمار.

﴿آيَاتٌ﴾: كونية.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يعقلون: إذا فكروا بهذه الآيات لأدركوا الحقيقة أنّ الّذي أنزل من السّماء رزقاً وصرف الرّياح وبثَّ فيها من كلّ دابة هو الإله الحق الخالق المدبر الواحد الّذي يجب أن يُعبد ويُطاع.

[٦] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: تلك: اسم إشارة، واللام للبعد للدلالة على علو شأنها وعظمتها، وتشير على الآيات المتقدمة الّتي ذكرها في الآية (٣، ٤، ٥).

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: نتلوها: من التّلاوة أصل التّلاوة اتباع الشّيء بالشّيء نتلوها آية بعد آية: والتّلاوة لا تكون إلا من كتاب الله، والتّلاوة قراءة وليس كلّ قراءة تلاوة، والتّلاوة لا تكون إلا بكلمتين بالحق: الحق هو الشّيء الثّابت

الّذي لا يتغير، بالحق: الباء للإلصاق والمصاحبة، بالحق: بالصّدق يتلوها عليك جبريل عليه السلام.

﴿فَبِأَيِّ﴾: الفاء رابطة لجواب مقدَّر، بأيِّ: استفهام إنكاري.

﴿حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾: أيْ: إذا لم يصدقوا بالقرآن وهو الحق، ولم يصدقوا بآيات الله الكونية أو المعجزات التي تشير إلىٰ نبوة الرسل. لم يصدقوا بالله تعالىٰ وآياته فمن سيصدقون، وإذا لم يصدقوا بتلك الآيات فأيُّ آيات الله الأخرىٰ سيصدقون بها، و من لم يؤمن بكلام الله تعالىٰ ويصدق بآياته، فلن يؤمن من بعد القرآن بأيِّ شيء، ولن يصدق بأيِّ آية أخرىٰ.

[٧] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾:

هذا تهديد ووعيد لكلّ من كذَّب بالله وآياته، ثمّ أصر علىٰ كفره.

﴿وَيْلٌ﴾: كلمة عذاب، أو الهلاك والعذاب.

﴿لِّكُلِّ﴾: اللام لام الاستحقاق، والاختصاص، كلّ: للتوكيد.

﴿أَفَّاكٍ﴾: كثير الإفك صيغة مبالغة، والإفك هو الصّرف عن الحق إلىٰ الباطل، أيْ: قلب الحقائق والإفك نوع من الكذب.

وقيل: نزلت هذه الآية في النّضر بن الحارث، كان يشتري من أحاديث العجم، ويشغل النّاس عن الاستماع إلىٰ القرآن، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الإثم والذّنوب، قدمه راسخة في الإثم.

[٨] ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: أيْ: يسمع هذا الأفاك الأثيم: هذه الآيات الّتي تدعوه إلىٰ الإيمان والتّوبة.

﴿ثُمَّ﴾: ثمّ لا تعني الترتيب والتّراخي في الزّمن، وإنما للترتيب العددي، أو تباين الدّرجة بين الاستماع والإصرار علىٰ الكفر.

﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾: يستمر ويقيم علىٰ كفره وضلاله ويلازمه ويقال: صر الفرس أذنيه، أيْ: ضمها إلىٰ رأسه.

﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: عن الإيمان والتّوبة، معجباً بنفسه ومظهراً عظم شأنه رغم أنّه لا يملك مقومات الكبر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) للبيان.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: كأن من أفعال المقاربة، متظاهراً بعدم سماع تلك الآيات، فهو لا يذكرها أبداً أو يسأل عما تعني؛ أي: يتجاهلها أمام النّاس كأنّه أصمُّ أو في أذنيه وقراً مع العلم أن آلة السّمع (أذنيه) غير معطلة.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: الفاء عاطفة تربط السّبب بالمسبب، والبشارة إذا أطلقت عادة لا تكون إلا في الخير والخبر بشيء سار، فإذا استعملت البشارة لشيء سيِّئ فهي تعني: التّهكم والسّخرية، بعذاب أليم: مؤلم لا يستطيع أن يتحمله أحد.

[٩] ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

﴿عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾: أيْ: إذا بلغه شيئاً من آياتنا عن طريق الآخرين، أيْ: لم تُتْلَ عليه مباشرة، وإنما سمع تلك الآيات من أناس آخرين.

﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: أخذ يستهزئ بها أيْ: يستخف بها ويعيب عليها ويحط من شأنها، ولم يقل: اتخذه هزواً الهاء تعود علىٰ العلم، وإنما اتخذها: أيْ: لم

يقتصر استهزاؤه بما سمع، بل راح يستهزئ بكل الآيات الّتي سمعها والتي علم بها. والاستهزاء: قد يكون بالأشخاص أيضاً، أو بغير الأشخاص كالاستهزاء بالآيات، والاستهزاء عام أعم من السخرية؛ لأن السخرية خاصة بالأشخاص.

كما فعل أبو جهل حين نزلت آية ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٤] دعا بتمر وزُبد وقال: تزقموا فما يعدكم محمّد إلا هذا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يفيد التّحقير، وتشير إلى الأفّاكين.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق (الاختصاص).

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: هو العذاب الأليم مع الإهانة، عذاب على مرأى النّاس وفيه إذلال وتصغير.

[١٠] ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾: من ابتدائية، ورائهم: أيْ: أمامهم جهنم ولفظ الوراء هنا يقصد به الأمام، فهي من الألفاظ المشتركة في معنيين أو أكثر، أو الكلمات المتضادة.

﴿وَلَا يُغْنِى﴾: الواو عاطفة، لا النّافية، أيْ: لا ينفعهم، الغنى هنا يعني النّفع، وهناك الغنى: ضد الفقر.

﴿مَّا﴾: حرف مصدري أو اسم موصول بمعنى الّذي و(ما) أوسع شمولاً، وللعاقل وغير العاقل.

﴿كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾: من الأموال والأولاد والمتاع الدّنيوي، يوم القيامة لا

يجلب لهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضـــرّاً؛ أي: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٠].

﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوٓاْ﴾: الواو عاطفة، لا للتوكيد توكيد النّفي، ما اتخذوا: ما بمعنىٰ الّذي أو مصدرية.

﴿مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾: من الأوثان أو الآلهة والأولياء جمع ولي، وهو القريب، أيْ: لا يشـــفعون لهم ولا يقربونهم زلفـــىٰ ولا ينصرونهم ولا يخففون عنهم من العذاب شيئاً.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: اللام لام الاختصاص والاســـتحقاق، عذاب عظيم: أشـــد أنواع العـــذاب علىٰ الإطلاق، يشـــمل كلّ أنواع العذاب مـــن حيث الكم والكيف والدّوام، ويشمل الأليم والمهين والشّديد.

[١١] ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلىٰ القرآن ويفيد التّعظيم.

﴿هُدًى﴾: مصدر هدىٰ أو ســـبب للهداية يهدي للحق ويهدي للغاية أو هو الهدىٰ نفسه يهدي إلىٰ الصّراط المستقيم وسعادة الدّارين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، أي: الاستحقاق.

﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: الرّجـــز فـــي اللغة تتابـــع الحـــركات والقلقلة أو الاضطراب.

عذاب مـــن رجز أليم: الرّجز: هـــو العذاب، كما قال ابـــن عباس، وقيل: العقـــاب، وقيـــل: الطاعون، أو أيُّ عـــذاب كالرّيح والطاعـــون، وقيل: الغضب ووساوس الشّيطان وشره.

وهناك فرق بين الرّجز والرّجس: الرّجس هو القذارة والنّجاسة، كما قال ابن منظور في لسان العرب، وقيل: الرّجس إظهار الفساد أو أمر مستقبح شرعاً مثل الخمر والأصنام والأزلام، وقيل: الذّنب والإثم والفسق والشّرك.

عذاب من رجز أليم: أيْ: عذاب من السّماء أليم متتابع. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩) للبيان المفصل.

[١٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: تقديم الفاعل علىٰ الفعل يفيد الاهتمام.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: التّسخير هذا التّذليل، سخر البحر اسم جنس، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿لِتَجْرِىَ﴾: اللام لام التّعليل.

﴿ٱلْفُلْكُ﴾: السّفن وتطلق علىٰ المفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾: فيه ظرفية، بأمره: الباء للإلصاق والمصاحبة، بأمره: بإذنه، وقدَّم فيه؛ لأنّ الكلام عن البحر. ارجع إلىٰ سورة لقمان آية (٣١) لمزيد من البيان.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: الواو هنا تشير إلىٰ منافع أخرىٰ لم تذكرها الآية، واللام في لتبتغوا: للتعليل، لتبتغوا من فضله: لتسافروا في طلب الرّزق من مكان إلىٰ آخر وتستخرجوا منه حلية تلبسوها وتأكلوا منه لحماً طرياً، من ابتدائية، فضله: أيْ: زيادة علىٰ ما تستحقون من كلّ هذه النّعم الّتي هي من كرمه وإحسانه لكم، وليست بقوتكم أو ما أوتيتم من العلم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلكم تفيد التّعليل، تشكرون المنعم علىٰ ما أنعم عليكم من الرّكوب وأكل لحمه واللؤلؤ والمرجان، وغيره من الفوائد.

لنقارن هذه الآية (١٢) من سورة الجاثية، وهي قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، مع الآية (١٢) من سورة فاطر، وهي قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

في سورة فاطر من دون واو، أيْ: ليس في هذه تعداد أو تذكر بالنّعم الأخرىٰ فقط يريد في هذه الآية الإشارة علىٰ النّعم المذكورة في هذه الآية وحدها. وأما في سورة الجاثية يراد بها كل النعم المذكورة في الآية وغيرها مما لم يُذكر.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾: لكم اللام لام الاختصاص، أيْ: لكم خاصة.

﴿مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ما للعاقل وغير العاقل، ما في السّموات: الشّمس والقمر والنّجوم والكواكب والسّحاب والرّياح، وما في الأرض: الجبال والأنهار والبحار والفلك والأنعام ووسائل النّقل.

﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾: جميعاً للتوكيد منه لا من غيره، أي :من فضله سبحانه وتعالىٰ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: إنّ واللام في كلمة لآيات للتوكيد.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يتفكرون في هذه الآيات، فإذا نظرنا فيها توصلنا إلىٰ عظمة قدرة الخالق وعلمه، وأنّ الله هو الإله الحق، وما من إله غيره ولا شريك له، له الملك، أي: الحكم وهو الإله الّذي يستحق العبادة والطّاعة.

❖ ❖ ❖

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ
قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ
﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الجاثية [الآيات ١٤ - ٢٢]

[١٤] ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: قل يا رسول الله ﷺ للذين آمنوا، اللام لام الاختصاص.

﴿يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ في مكة يعانون من أذىٰ المشركين، وكانوا في حالة ضعف قبل أن يؤمروا بالجهاد، فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت في غزوة بني المصطلق حين اختلاف غلام عمر مع غلام عبد الله بن أُبَيٍّ، وقال عبد الله بن أُبَيٍّ تلك المقولة الشّهيرة: سمِّن كلبك يأكلك، فنزلت هذه الآية تطلب من الصّحابة أن يغفروا لهؤلاء الّذين لا يرجون أيام الله.

وهناك من المفسرين من قال: نسخت هذه الآية بآية الجهاد.

﴿يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: يتجاوزوا ويعفوا ولا يعاقبوا، للذين: اللام لام الاختصاص، لا يرجون أيام الله: لا النّافية، لا يؤمنون بلقائه أو بالبعث أو الحساب والجزاء، أو لا يرجون أيام الله: أيْ: لا يصدقون ولا يؤمنون بما وقع وما حدث للأمم السّابقة مثل قوم نوح وعاد وثمود، أن يحدث لهم أو يصيبهم مثل ما أصاب غيرهم من المشركين.

وقيل: لا يرجون أيام الله: لا يَدْرُون أو يعلمون كثرة أنعم الله عليهم ولا يشكرون الله عليها.

وقال تعالىٰ: يغفروا ولم يقل: ليغفروا: لم يجئ بلام التّوكيد، أيْ: لا تردوا السّيئة بالسّيئة، وإنما ادفعوا السّيئة بالّتي هي أحسن.

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام لام التّعليل، الجزاء: أعم من الأجر ويكون مقابل العمل الصّالح أو السّيِّئ.

﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: فالأجر يأتي في سياق العمل الصّالح والخير والجزاء يأتي في سياق العمل الصّالح أو السّيِّئ، قوماً بما كانوا يكسبون: بما: الباء سببية أو للتعليل، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، قوماً: أيْ: ليجزي كلاً من الفريقين، أي: الّذين غفروا والذين لا يرجون أيام الله، بما كانوا: في الحياة الدّنيا، يكسبون: من الأعمال الصّالحة أو الأعمال السّيئة.

ولمعرفة الفرق بين يكسبوا أو اكتسبوا: ارجع إلىٰ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة.

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾: من شرطية، عمل صالحاً: نكرة لتشمل أيَّ عمل صالح مهما كان، فلنفسه: الفاء رابطة لجواب الشّرط، واللام في لنفسه لام الاختصاص والاستحقاق، أيْ: أجر أو ثواب ذلك العمل الصّالح يرجع بالفائدة إليه ولا يذهب إلىٰ غيره.

﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾: ومن أساء فعاقبة ذلك العمل السّيِّئ والذّنب يقع علىٰ نفسه ليذوق وبال أمره، علىٰ تفيد الاستعلاء، استخدم اللام فلنفسه في سياق الثّواب، واستخدم علىٰ في سياق الإثم والذّنب والعقاب.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّراخي في الزّمن، أيْ: يوم القيامة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: للحساب والجزاء، تُرجعون: بضم التّاء الّتي تدل

على القسر والقهر، أيْ: سواء رضيتم أم أبيتم، ولم يقل: تَرجعون بفتح التّاء الّتي تدل على الرّجوع بإرادتهم ورغبتهم، وتقديم إلى تفيد الحصر، أيْ: إلى ربكم وحده ترجعون.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن عدد الله نعمه العامة على عباده يذكر عدداً من نعمه الخاصة على بني إسرائيل، وكيف اختلفوا بينهم، وسوف يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق (أيْ: حدث ذلك وتم).

﴿ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: الإيتاء هو العطاء من دون تملك، ويمكن استرداد ما أعطي، والإيتاء أعم من العطاء يشمل الأشياء الحسية والمعنوية، بني إسرائيل: أي :بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾: التّوراة، والحكم: الفقه في الدّين والفصل في الخصومات بين النّاس والفتوى.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: لموسى وهارون وكثير من الأنبياء أمثال يوسف وداود وسليمان.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من: البعضية، الطّيبات: الطّيب هو الحلال والطّاهر. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٦٩) لمزيد من البيان.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم من الأمم المعاصرة لهم أمثال

الفراعنة والأمم الّتي كانت تسكن بلاد الشّام، ولا يعني التّفضيل الأبدي، وإنما كان مقصوراً على تلك الفترة من الزّمن.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾: ارجع إلى الآية السّابقة، والواو عاطفة.

﴿بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: جمع بيِّنة: أحكام وشرائع في الحلال والحرام مثلاً، وفي المعاملات والعبادات والعلم بمبعث النّبي ﷺ وشواهد نبوته، وبما في التّوراة من آيات بينات.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: الفاء عاطفة، ما النّافية، اختلفوا في الأحكام والشّرائع والتّحريم والتّحليل وأمور الدّين والعقيدة وفي عيسى عليه السلام وفي محمّد ﷺ وأنبيائهم، إلا: أداة حصر، من بعد: من تفيد القرب أي مباشرة من بعد، ما جاءهم العلم: ما بمعنى الّذي جاءهم من العلم عن طريق الإنجيل والقرآن وبعثة عيسى ومحمّد عليهما السلام، بغياً بينهم: من البغي: مجاوزة الحد في الظّلم والفساد وأخذ حق الغير بالقهر والقوة والتّعسف، بينهم: بني إسرائيل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: إنّ للتوكيد، ربك يقضي: يفصل بينهم أيْ: بين بني إسرائيل يوم القيامة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٤)، وسورة السجدة آية (٢٨) لبيان معنى القضاء والحكم والفصل.

﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الدّنيا، يختلفون: من أمور الدّين والعقيدة والأحكام والحلال والحرام وطاعة الرّسل وأمر محمّد ﷺ وعيسى.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصّفات، صفات الشّريعة الإسلامية عما سبقها من الشّرائع.

﴿جَعَلْنَٰكَ﴾: الخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ.

﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: علىٰ تفيد العلو والسّمو والمشقة، شريعة: جملة الشّرائع الّتي تشمل العقائد والعبادات والأحكام، والّتي تختلف باختلاف الأمم، شريعة محمّد ﷺ الإسلام وشريعة عيسىٰ ﷺ النّصرانية، وشريعة موسىٰ ﷺ اليهودية، شريعة إبراهيم ﷺ الحنفية السّمحة، وأما الدّين فهو واحد وهو الإسلام، أمّا الشّرائع، أي: الدّيانات فمختلفة، وكما قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، ارجع إلىٰ سورة المائدة الآية (٤٨) لمزيد من البيان.

﴿شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أيْ: من أمرنا، أيْ: مما شرعناه لكم، والأمر هو إما واحد من الأمور أو الشؤون أو واحد من الأوامر.

﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، اتّبعها كاملة، أيْ: خذ بها والتزم بها.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ﴾: لا النّاهية، أهواء: جمع هوىٰ: والهوىٰ: هو ما تميل إليه النّفس باطلاً بما لا ينبغي ولا دليل، والهوىٰ يغلب عليه الذّم ويختص بالأداء والمعتقدات.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أهواء الجهال من قريش أو أهل الكتاب الّذين لا يعلمون أمور الدّين أو الّذين لا يعلمون التّوراة والإنجيل والقرآن وما أنزل الله علىٰ رسله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: تعود على الّذين لا يعلمون.

﴿لَن﴾: لنفي المستقبل القريب أو البعيد.

﴿يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أيْ: لن ينفعوك من الله: من عذاب الله شيئاً أو يشفعوا لك أو يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً أو يعطوك حسنة من حسناتهم، والخطاب موجَّه إلى الرّسول ﷺ، وإلى أمته وشيئاً نكرة تعني: أيَّ شيء مهما كان نوعه وجنسه، والشّيء هو أقل القليل، وسواء أكان حسياً أم مادياً.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: إن للتوكيد، الظّالمين: المشركين والكافرين والظالمين أنفسهم بالمعاصي، والظّلم يعني: الخروج عن المنهج الرّباني، وإنّ أعظم الظّلم هو الشّرك بالله.

وعبادة غير الخالق والرّازق ومدبِّر الأمر هي أبشع أنواع الظّلم، وكثر في القرآن إطلاق الظّلم على الشّرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: أولياء جمع ولي، والموالاة تعني المودة والنّصرة بينهم، المودة: المحبة واتخاذ بعضهم لبعض بطانة، وتعني: يسرون إلى بعضهم بعضاً الأخبار، والنّصرة: تعني: هم أعوان لبعضهم بعضاً وينصرون بعضهم بعضاً بالعدة والعتاد.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾: أيْ: والله المحب والمعين لأوليائه المتقين يواليهم بالمعونة والنّصر والرّحمة ويحفظهم والمتولي أمورهم، ولا يَكِلُهم إلى غيره، المتقين: جمع متّقٍ: وهو الّذي يطيع أوامر الله ويتجنب نواهيه.

[٢٠] ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلىٰ القرآن العظيم.

﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: جمع بصيرة: والبصائر تشمل الآيات والبراهين والحجج والشواهد والبينات والمعجزات والحجج الّتي لا لبس فيها من الله وهي ما يتضح بها الحق وتميز بين الحق والباطل، والخطأ والصواب، والرشاد والغي، وسميت بصائر؛ لأنه لا يمكن الرؤية بدونها، والقرآن كله بصائر وليس بصيرة واحدة؛ فهذه البصائر هي التي تنير لنا الطريق في الدنيا طريق الهداية والوصول إلىٰ الغاية العظمىٰ، وهي رضوان الله تعالىٰ، والسعادة في الدارين.

﴿وَهُدًى﴾: هدىٰ: نكرة يشمل كلّ أنواع الهدىٰ، فهو مصدر للهدىٰ أو هو هدىٰ يهدي للحق ويهدي للغاية والصّراط المستقيم. والهدىٰ الكامل التّام.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: يجلب ما يسر ويدفع ما يضر (أيْ: وقاية) ونعمة من أعظم النّعم.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يوقنون: أن القرآن بصائر وهدىٰ ورحمة لقوم يوقنون لكي يستقر اليقين في قلوبهم وتنكشف لهم الحقائق الرّبانية، ويوقنون من اليقين هو العلم بالحق ولا يكون غيره والرّاسخ في القلب. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، الهمزة للاستفهام الإنكاري إنكار.

﴿حَسِبَ﴾: اعتقد أو حسب يعني: الظّن الرّاجح، أيْ: ظن الّذين اجترحوا

السّيئات ظناً راجحاً أنّ الله سيجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سواء محياهم ومماتهم.

﴿ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أي: اكتسبوا السّيئات أيْ: فعلوها عمداً، السّيئات منها الكفر والشّرك والمعاصي، أيْ: قاموا بالسّيئات بجوارحهم (كالعين واليد والرّجل والأذن) كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠].

﴿أَن﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: أيْ: نسوي بينهم في الدّنيا أو في الآخرة مع الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، نسوي بينهم في الجزاء والثّواب والابتلاء.

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ﴾: أيْ: في حياتهم الدّنيا.

﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾: أو في الآخرة، نسوي بينهم في الجنة والنّار.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ساء: من أفعال الذّم العامة؛ أيْ: بئس ما يحكمون: يقضون به ويصدر عن عقولهم من أحكام، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية أو ساء حكمهم.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

الواو: استئنافية، أيْ: وجعلناك علىٰ شريعة من الأمر وأيضاً خلق الله السّموات والأرض بالحق: بالأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، أيْ: بقوة وإحكام وبالقوانين الفائقة، الثّابتة الّتي لا تتغيَّر، والتي تحكم الأجرام والمجرات والنّجوم منذ (١٤ ألف مليون سنة).

ولتجـزىٰ كلّ نفـس: الواو حرف عطـف أيْ: معطوف علـىٰ الحق أيْ: ولتجزىٰ الجزاء من جنس العمـل كلّ نفس بالعدل، أو بالحق (من هؤلاء الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات وهؤلاء الّذين اجترحوا السّيئات).

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: فسـبحانه خلـق لكم السّـموات والأرض لتتمكنـوا من العيش فيها وسـخر لكم ما في السّـموات والأرض، وأنزل لكم شـرائعه ورسله وبيَّن لكم الحق من الباطل، ولم يخلق كلّ ذلك عبثاً، فلا بُدَّ من أن تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت.

لتجـزىٰ: اللام لام التّعليل، كلّ نفس بما: البـاء للإلصاق والمصاحبة، ما اسـم موصول بمعنىٰ الّذي كسبت أو مصدرية، كسـبت: من خير أو شر، وهم: للتوكيد، لا النّافية، يظلمون: مقدار ذرة من خير أو شر.

❖ ❖ ❖

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ
﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم
مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

سورة الجاثية [الآيات ٢٣ - ٣٢]

[٢٣] ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

المناسبة: فكيف بعد أن جعلنا لكل أمة منكم شرعة ومنهاجاً وسخرنا لكم السّموات والأرض وما فيهما منكم ما زال يريد أن يتخذ إلهه هواه.

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّعجب والإنكار، والفاء للتوكيد، أرأيت: الرّؤية هنا قلبية فكرية بمعنى: أخبروني بعلم ويقين.

﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: أيْ: من جعل هواه معبوده، أيْ: يعبد هواه ويطيعه كما يخضع العابد للمعبود والهوى، لتعريفه ارجع إلى الآية (١٨) من نفس السّورة.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أي: الّذي اتخذ إلهه هواه على علم أنّه على ضلال حين اتبع هواه وبما أنّه استمر على ضلاله ولم يتب ويرجع عن ذنبه وأصرّ على ضلاله، ولم يعد هناك أملاً في هدايته فالله سبحانه تعالى يتركه وشأنه ويزيده ضلالاً؛ لأنّه اختار لنفسه طريق الضّلال.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾: ثمّ إذا تمادى في ضلاله يختم الله على سمعه فيصبح كأنه أصم ويختم على قلبه. فلا يدخله إيمان أو يخرج منه كفر.

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾: فلا يعد يبصر طريق الحق أو الهداية.

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: للاستفهام، وتفيد

التقرير؛ أي: لا أحد يستطيع أن يهديه من بعد أن ختم الله سبحانه، على سمعه وقلبه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي والإنكار، فالفاء لزيادة الإنكار على عدم التّذكر، الا: أداة تنبيه وحضٍّ وتحمل معنى الأمر، أي: تذكرون تتعظون وتتبعوا ما أمر الله، وتتجنبوا ما نهى الله عنه، وتتجنبوا الهوى والشهوات، وهذا التّذكر لا يحتاج إلى زمن طويل، كما لو قال: أفلا تتذكرون وأنه لا الذي يحتاج إلى زمن طويل أحد يستطيع هدايته من بعد الله.

[٢٤] ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: تعود على الّذين اجترحوا السّيئات واتخذوا إلههم هواهم وختم على سمعهم وقلوبهم وزيادة على ذلك فهم ينكرون البعث والحساب وقالوا.

﴿مَا هِيَ﴾: ما النّافية تنفي الحال غالباً، هي: ضمير فصل للتوكيد تعود على الحياة الدّنيا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي: الحياة محصورة ومقصورة على الحياة الدّنيا الّتي نحياها فليس هناك حياة أخرى أو دار الآخرة، وسُمِّيت بالحياة الدّنيا السّفلى لكونها زائلة وحقيرة.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: أيْ: بعضنا يموت وبعضنا يُخلق أو يولد، ولا تعني: نموت، ثمّ نحيا نبعث من جديد؛ لأنّهم لا يؤمنون بالبعث أصلاً.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: ما النّافية، يهلكنا إلا الدّهر: إلا: أداة حصر، أيْ: ما نفنىٰ ونموت إلا بسبب مرور الدّهر: الزّمن الطّويل أو توالي الأيّام. وهذا غير صحيح؛ لأن هناك من يموت في سن مبكرة في سن الطّفولة أو الشّباب.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: من استغراقية، أيْ: ما لهم: ما النّافية، لهم بذلك: اسم إشارة يشير إلىٰ الدّهر هو سبب هلاكهم، فما لهم بذلك من دليل علمي أو كتاب إلهي أو وحي أو حتّىٰ عقل صحيح يوافق ذلك.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إن نافية وأقوىٰ نفياً من (ما)، هم إلا: هم ضمير فصل يفيد التّوكيد، إلا أداة حصر، يظنون: من الظّن هو الاحتمال الرّاجح عندهم أو هو الشّك مع رجحان كفة الإثبات علىٰ كفة النّفي، قالوا ذلك بناء علىٰ تقليد آبائهم.

لنقارن هذه الآية (٢٤) من سورة الجاثية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ والآية (٧١) من سورة الحج، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾:

ما لهم بذلك من علم: من هنا استغراقية تستغرق أدنىٰ علم.

ما ليس لهم به علم: هؤلاء عندهم بعض العلم وأفضل من المذكورين في آية الجاثية.

ولنقارن هذه الآية (٢٤) من سورة الجاثية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ والآية (٣٧) من سورة المؤمنون، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾:

(إنْ) أشد نفياً من (ما)، فالذين قالوا: إن هي إلا حياتنا الدّنيا أشد تكذيباً بالبعث، والدّار الآخرة من الّذين قالوا: ما هي إلا حياتنا الدّنيا أشد تكذيباً بالبعث

والـدّار الآخرة من الّذين قالوا: ما هي إلا حياتنـا الدّنيا، أيْ: من النّاس من ينكر البعث والحسـاب بدرجـة (اليقين) مطلقة، ومنهم من ينكر البعث والحسـاب بشكل نسبي أو شك.

[٢٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: عليهـم تعـود علـى الّذين اجترحوا السّـيئات والمكذبين بالبعث، تتلى عليهم آياتنا: آيـات القرآن، بينات: الواضحات الدّالة على قدرة الله على البعث والإحياء، ولمعرفة معنى التّلاوة. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السّورة.

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾: ما النّافية، إلا أداة حصر، أن قالوا: أن تعليلية.

﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: أيْ: أعيـدوا إلينا آباءنـا أحياء حتّى نراهـم ونكلّمهم أو نسألهم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: على أننا سـنبعث ونحاسب، إن شرطية تفيد الشّك أو الاحتمال في كونهم صادقين.

انتبـه: إلى قوله: ما كان حجتهم: بدلاً من القول: ما كان قولَهُم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا، وهذه الحُجَّة ليست بحُجَّة مقبولة، وإنما ساقوا قولهم مساق الحُجَّة على سبيل المسـتحيل؛ لأنّهم يعلمون ما من أحدٍ مات، ثمّ أعيد إلى الحياة مرة أخرى.

كذلك انتبه إلى قوله تعالى: حُجَّتَهُم بفتح التّاء تدل على أنّهم هم الوحيدون

الّذيــن جاؤوا بهذه الحُجَّة، من بين النّاس، بينما إذا قرأت حُجَّتُهُم بضم التّاء تدل على أنّه لــم يكن لهم حُجَّة غيرها فقــط حُجَّة واحدة، فهنــاك فرق واضح بين القولين.

[٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: قل يا رســول الله ﷺ لهؤلاء منكري البعث، والّذين قالوا: ائتوا بآبائنا: ألم يحييكم الله، ثمّ يميتكم.

﴿ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾: بعد أن كنتم أمواتاً فــي أصلاب آبائكم وأمّهاتكم، يحييكم حين تتشكّلون أجنّة في بطون أمّهاتكم، ثمّ تخرجون إلى هذه الحياة الدّنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي في الزّمن، يميتكم حين تنقضي آجالكم بالموت.

﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي، تبعثون أحياء مرة ثانية من جديد يوم القيامة (يوم البعث) وتحشرون وتجمعون في أرض المحشر، إلى تفيد الانتهاء.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: لا النّافية، لا شك ولا جدال فيه، وفيه تعود إلى يوم القيامة.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أن للكــون نهاية، والقلــة يعلمون ذلك مثل علماء الفلك والفضاء، أو لا يعلمون أن الله سبحانه قادر على إعادة الخلق، وهو أهون عليه، أو أنهم سيُبعثون وينبَّؤون بما عملوا، وذلك على الله يسير.

[٢٧] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾:

هذا دليل آخر على قدرته سبحانه وعظمته على البعث والإحياء.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ولله: الواو استئنافية، لله: اللام لام الاختصاص والملكية له وحده سبحانه، ملك: حكم، السّموات والأرض: أيْ: هو حاكم السّموات والأرض وحده، وملك: تعني: المالك فهو الحاكم والمالك للسموات والأرض، أيْ: له ملك السّموات والأرض خلقاً وملكاً وحكماً، فمن يملك السّموات والأرض قادر على البعث والإحياء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: السّاعة جزء من اليوم، فالسّاعة تعني: يوماً، واليوم يعني: السّاعة، أيْ: يوم تهدم النّظام الكوني الحالي، يوم: ظرف زمان، وقدَّم كلمة يوم للاهتمام بدلاً من القول: يخسر المبطلون يوم تقوم السّاعة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أصلها يوم + إذ (ظرف أضيف إلى ظرف للتوكيد) أو يوم ذاك.

﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: يخسروا أنفسهم ويخسروا أهليهم، المبطلون: جمع مبطل: وهو من مات مصراً على الباطل، والباطل هو الزّائل، وما لم يُشرع، أو ما لا وجود له.

مثال على المبطلين: المنكرون للبعث أو المفترون على الله الكذب بأنّ الله غير قادر على بعثهم، والّذين قالوا: وما يهلكنا إلا الدّهر، وتشمل الكافرين والمشركين وغيرهم.

[٢٨] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَتَرَىٰ﴾: الخطاب عام، ترىٰ يومئذ رؤية عينية، عين اليقين، أمّا الآن فهي رؤية قلبية.

﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾: أمة: جماعة من النّاس تجمعهم عقيدة واحدة بغض النّظر عن الكم أو الحيز الجغرافي.

﴿جَاثِيَةً﴾: من الجثي: يعني: البارك علىٰ ركبتيه من دون القدرة علىٰ القيام، وأمّا السّجود أو السّاجد: فيعني البارك علىٰ ركبتيه مع القدرة علىٰ القيام، وأمّا الجثم أو الجاثم: فمن لزم مكانه وتجمَّد علىٰ ما هو عليه، أمّا الجذو: فهو البارك علىٰ مقدَّم قدميه، أيْ: أصابع قدميه.

﴿كُلُّ﴾: تكرار كل: يفيد التّوكيد.

﴿أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾: الأمة: جماعة من الناس بغض النظر عن الحيز الجغرافي أو العدد؛ يا أهل القرآن يا أهل التّوراة يا أهل الإنجيل، أو كتابها: والكتاب اسم جنس كتاب أعمالها الّذي فيه حسناتها وسيئاتها، كما قال ابن عباس، أي: السّجل الحفيظ لأعمال البشر. ودليل ذلك قوله تعالىٰ في الآية القادمة (٢٩) :هذا كتابنا: أضاف الكتاب إليه سبحانه وإليهم؛ لأنّه سبحانه يملك كتاب أعمالهم فهو كتابه، وما كتب فيه هو كتابهم، فجاء بقوله :كتابنا.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾: تجزون: من الجزاء يكون بالثّواب أو العقاب، أو من جنس العمل.

﴿مَا كُنتُمْ﴾: ما بمعنىٰ الّذي أو مصدرية، وهي أوسع شمولاً من الّذي.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأقوال والأفعال، تعملون في الدّنيا.

[٢٩] ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلىٰ الكتاب، كتاب أعمالهم.

﴿كِتَٰبُنَا﴾: كتاب الأعمال الّذي تكتبه الحَفَظة أو صحائف أعمالكم، ارجع إلىٰ الآية السّابقة للبيان.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾: أيْ: يشهد عليكم بالحق: الباء للإلصاق والملازمة بلا زيادة أو نقصان.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: إنا: للتعظيم، أي: الله سبحانه وملائكته، كنا: في الحياة الدّنيا، نستنسخ: أيْ: نكتب ما كنتم تعملون (تعني: الأقوال والأفعال) أيْ: أمرنا ملائكتنا بكتابة أعمالكم وتثبيتها، والنّسخ يعني: النّقل ومنه نسخ الكتاب، أيْ: نقل الصورة إلىٰ كتاب آخر، والنّسخ في اللغة: معناه إزالة شيء بشيء آخر كنسخ الشّمس للظل أو نسخ الرّيح لآثار الأقدام، أيْ: إزالتها.

[٣٠] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: الفاء في فيدخلهم تدل علىٰ جواب الشّرط، في رحمته: في ظرفية، رحمته: وتعني جنته في الآخرة،

وأمّا في الدّنيا الرّحمة فتعني: الإنعام عليهم بسعة العيش والخير والصّحة والعافية والأمن ودفع الضّر عنهم، أيْ: وقايتهم من كلّ مكروه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: الفوز الظّاهر لا يخفىٰ علىٰ أحد ولا يخفي نفسه. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنىٰ الفوز وأنواعه أو درجاته.

[٣١] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: بلقاء الله والآخرة والحساب والجزاء.

﴿أَفَلَمْ﴾: أفلم: الهمزة للاستفهام والتّقرير والتّوبيخ، وتعني: لقد تليت عليكم آياتي والفاء للتوكيد.

﴿تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: قدّم آياتي المفعول علىٰ الفعل للاهتمام، أيْ: أفلم تكن تتلىٰ عليكم آياتي، آياتي: أيْ: آيات القرآن، التّلاوة: تكون من إحدىٰ الكتب السّماوية، والتّلاوة تكون لأكثر من كلمة ولها أجر، آياتي ولم يقل: الآيات؛ لأنّها آيات خاصة لها أهمية ودلالة أكثر من الآيات الأخرىٰ.

﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، استكبرتم: عن الإيمان بها وتصديقها. ارجع إلىٰ الآية (٨) من نفس السّورة لمزيد من البيان. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لبيان معنىٰ الاستكبار والكبر والمتكبر.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: مجرمين: بسبب استكباركم وعدم إيمانكم بها، مجرمين: كافرين مشركين، ومجرمين: مشتقة من جرم، وجرم الشّيء قطعه

فهـــم قطعوا صلتهم بالله أو بمنهج الله، فتركوا ما أمرهم به وفعلوا ما نهاهم عنه، وجرم: أذنب وجنى جناية وفعلوا القبيح من الأفعال مثل الكفر والشّـــرك والظلم فأصبحوا بذلك مجرمين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥) لمزيد من البيان.

وإضافـــة كلمة (قوماً) إلى مجرمين، أيْ: قومـــاً مجرمين بدلاً من مجرمين تعني: أشد إجراماً من المجرمين؛ لأنّ الإجرام عم الكلّ، كلّ واحد أصبح مجرماً والإجرام خُلُقهم، ويضرب بهم المثل، أمّا (مجرمين) فأقل حالاً وقبحاً من القوم المجرمين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان بمعنى حين.

﴿قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: إنّ للتوكيد، وعد الله حق بالبعث والجمع والحساب، والجزاء والجنة والنّار، وعد الله حق في كلّ ما يعدكم به.

﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: أيْ: لا شك فيها قادمة لا محالة ولا جدال ولا إنكار، لا: النّافية، ريب: الشّـــك + التّهمة. ارجع إلى سورة طه آية (١٥) لمقارنة الآيات المتشابهة.

﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾: ما ندري: ما النّافية، ندري: من الدّراية: أي :العلم بعد الجهل، والدّراية أخص من العلم، أيْ: لا نعلم السّاعة من أيِّ مصدر أو خبر أو نبأ، ما السّـــاعة: ما اســـتفهامية فيها معنى التّعجب واستبعاد حدوثها أو وجود السّاعة.

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾: إن للنفي أقوىٰ نفياً من ما، الظّن: الرّأي الرّاجح عندهم، وهو الشّك والتردد الّذي ترجح فيه كفة الإثبات علىٰ كفة النّفي، إلا: أداة حصر، ظناً: للتوكيد.

أيْ: نظن، وهذا الظّن الوحيد، ولا يوجد سواه (نفي ما سواه)، أيْ: ما جاءنا عن السّاعة أو علمنا بالسّاعة إلا من طريق الظّن فقط، وليس هناك إثبات آخر إلا الظّن.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾: ما النّافية، ما نحن بمستيقنين لها نفس معنىٰ إن نظن إلا ظناً، ولذلك فهي توكيد لهـا، فالكافرون بالبعث صنفان: الأوّل جاحد له مع الإصرار، والثّاني جاحد له مع الشّـك كما هو الحـال في هؤلاء المذكورين في هذه الآية.

❖ ❖ ❖

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ | آياتها ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ
ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

الجزء ٢٦ الحزب ٥١

سورة الجاثية [الآيات ٣٣ - ٣٧]

[٣٣] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾: ظهر لهم، وتبيَّن لهم في الآخرة، تدل على الفجأة، أيْ: يفاجَؤون بسيئات أعمالهم.

﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: ما حرف مصدري أو اسم موصول بمعنى الّذي عملوا، أيْ: ظهر لهم وتبيَّن لهم قبيح أعمالهم أو جزاء أعمالهم السّيئة.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نزل بهم وأحاط بهم. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: ما اسم موصول بمعنى الّذي كانوا به يستهزئون: أيْ: نزل وأحاط بهم العذاب الّذي كانوا في الدّنيا يستهزئون به ويستبعدون حدوثه، كالاستهزاء بالله وآياته ورسوله، والاستهزاء يعني: العيب والتّحقير والتّصغير بشأن المستهزَأ به.

[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾:

﴿وَقِيلَ﴾: مبني للمجهول، أي: القائل غير معلوم قد يكون الله سبحانه أو الملائكة، المهم هنا هي المقالة.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: هو يوم القيامة يوم الحساب.

﴿نَنسَىٰكُمْ﴾: أيْ: نترككم في النّار، أو نترككم تنتظرون حسابكم، كما قال تعالىٰ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، أو لا نبالي بكم، والله سبحانه لا ينسىٰ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]، والنّسيان يعني: نترككم ونهملكم.

﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: الكاف كاف التّشبيه، نسيتم: النّسيان (بقصد) والمتعمَّد، أيْ: أعرضتم وتركتم الاستعداد لهذا اليوم ولم تصدقوا به، ارجع إلىٰ سورة السّجدة الآية (١٤) لمزيد من البيان.

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: المأوىٰ: المكان الّذي تأوي إليه للاستقرار والإقامة.

﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: ما النّافية، لكم: اللام لام الاختصاص، أيْ: لكم خاصة، من استغراقية تشمل أيَّ ناصر، ناصرين: يدفعون عنكم العذاب أو يمنعونه عنكم، أو من يخلصكم أو ينقذكم.

[٣٥] ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكُم﴾: ذا اسم إشارة، اللام للبعد، وتشير إلىٰ عدة أمور، وللمبالغة مقارنة بذلك الّتي تشير إلىٰ أمر واحد، وأشد توكيداً من ذلك، وتشير إلىٰ النّسيان والدّخول في النّار سببه:

بأنكم: الباء السّببية.

﴿أَتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾: اتخذ من أفعال التّصيير، آيات الله هزواً: الاستخفاف والعبث بآيات الله ولم تقيموا لها وزناً. ارجع إلى الآية السّابقة (٣٣) من نفس السّورة، وسورة الزمر آية (٤٨) لمزيد من البيان في الاستهزاء.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: بجمالها وزينتها ومتاعها وشهواتها وطول الأمل وخدعتم بها والغرور يوقع المغرور فيما هو غافل عنه من الضّرر. ارجع إلى سورة فاطر الآية (٥) لمزيد من البيان، ولمعرفة الفرق بين الغُرُور والغَرُور.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء استئنافية.

﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: لا النّافية، يخرجون منها (من النّار).

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: تكرار (لا) يفيد توكيد النّفي، هم: يفيد التّوكيد، ولا يستعتبون: لا يُطلب منهم العُتبى وإذا هم طلبوا العتبى بأنفسهم لا يَستعتبون، لا يُطلب منهم وإذا طلبوا العتبى لا يؤذن لهم.

يُستعتبون: من العتاب والعتاب مأخوذ من العَتْب، وأصله الغضب على رجل آخر صدر منه إساءة، أو شيء لم يكن متوقعاً منه، وبعد أن يهدأ الغضب إما أن تعتب على من أساء إليك، وتوضح له ما أغضبك، فربما له عذر أو أساء لك من غير قصد، فإن أوضح لك الأسباب وأرضاك فقد أعتبك. ارجع إلى سورة الرّوم آية (٧٥)، وارجع إلى سورة فصلت آية (٢٤) لمزيد من البيان.

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء استئنافية وتوكيد، لله: جار ومجرور يفيد الحصر، أيْ: له، له

وحده الحمد، واللام لام الاختصاص والاستحقاق والحصر؛ لأن سياق الآية في الآخرة، وإذا قارنا هذه الآية بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] هذه الآية في سياق الدنيا.

﴿ٱلْحَمْدُ﴾: حمداً مطلقاً غير مقيد بزمن؛ لأنّه هو وحده المستحق للحمد علىٰ الدّوام بسبب فضله وإنعامه، له الحمد لذاته وصفاته، ولأنّه رب السّموات ورب الأرض رب العالمين. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان في الحمد.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: خالق السّموات ومدبرها.

﴿وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾: خالق الأرض ومدبرها، عطف الشّيء علىٰ مرادفه يفيد التّوكيد، رب كلّ منهما علىٰ حِدَةٍ وربهما معاً، وهو رب العالمين.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالق عالم الملائكة والثّقلين عالم الجن وعالم الإنس. ورب كل شيء، وحذف الواو ولم يقل: (ورب العالمين) طرح الواو لتجنب جمع صفة رب العالمين مع رب السموات ورب الأرض.

[٣٧] ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

﴿وَلَهُ﴾: الواو عاطفة، له وحده، تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والاختصاص والاستحقاق.

﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: له العظمة والجلال والكمال والسّلطان له الكبرياء؛ لأنّ له

ملك حكم السّموات والأرض وله ما فيهما، فهو الإله الحق واجب الوجود الذي ظهرت آثار عظمته وكبريائه في كلّ أقطار السّموات والأرض.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: له العزة جميعاً عزة القوة وعزة الغلبة وعزة القهر والامتناع.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الحكيم في شرعه، وتدبير خلقه وكونه فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء لا يخلق عبثاً سبحانه وتعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ آياتها ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجزء ٢٦ الحزب ٥١

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ
ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

سورة الأحقاف [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٤٦)، وترتيبها في النّزول (٦٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حمٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة الزّمر للبيان.

انظر كيف انتهت السّورة السّابقة، سورة الجاثية، بقوله: وهو العزيز الحكيم، ولتبدأ هذه السّورة بقوله: تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم؛ مما يدل علىٰ الترابط الوثيق بين نهاية السورة السابقة مع بداية السورة التالية، وكذلك الترابط بين بداية هذه السورة كقوله تعالىٰ: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ آية (٣)، مع نهاية هذه السورة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ آية (٣٣).

[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿مَا خَلَقْنَا﴾: ما النّافية، خلقنا: بصيغة الجمع والتّعظيم والخلق: هو الإيجاد من العدم والخلق هو التّقدير. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠) وسورة فصلت آية (١٠-١١) وسورة الأعراف آية (٥٤) للبيان.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: السّموات السّبع والأرض وما بينهما: قيل: هي الطبقة الغازية الّتي لا تعد من مكونات السّماء ولا الأرض. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٩).

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلا للحصر، بالحق الباء للإلصاق والمصاحبة أو الملازمة، بالحق، والحق هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، أيْ: تسير على نظام ثابت لا يتغيَّر ولا تتبدَّل في دورانها وحركتها في فلكها، رغم هذه المليارات من المجرات والنّجوم والكواكب الّتي تجري بسرعات مختلفة وتدور حول مركز مجراتها.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو يوم القيامة بعد هذا الأجل تتغيَّر وتزول، وتنتهي كما في قوله: ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾: أيْ: رغم هذه الأدلة القاطعة على قدرة الله وعظمته ووحدانيَّته، وأنّه الإله الحق الّذي يستحق أن يعبد ورغم إرسال الرّسل وإنزال الكتب السّماوية، الّذين كفروا عما: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما: اسم موصول بمعنى الّذي، أي: الّذين كفروا عن الّذي أنذروا به معرضون أو عن إنذارهم معرضون.

معرضـــون: لا يؤمنون به ولا يصدقونه والإنذار يعني: الإعلام مع التّحذير والتّخويف، والّذين كفروا عما أنـــذروا معرضون: إخبار فيه تعجُّب من إعراض الكافرين عن دعوة الحق إلىٰ الإيمان والعمل الصّالح والنّجاة من العذاب وعدم الاستجابة لها.

[٤] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

رغم هذه الأدلة القاطعة علىٰ قدرة الله تعالىٰ وعظمته ووحدانيته مثل خلق السّموات والأرض وما بينهما وأنّه الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد وحده، ها هم يشركون بالله ويجعلون له أنداداً؛ لذلك أخبر الله تعالىٰ النبي ﷺ: أن يسألهم.

﴿قُلْ﴾: لهؤلاء الّذين أشركوا بالله تعالىٰ.

﴿أَرَءَيْتُم﴾: الهمزة للاســـتفهام والتّقرير والتّعجُّب، الرّؤية رؤية قلبية، أيْ: أخبروني إخبار من له علم ودراية، أيْ: بالتّوكيد.

﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ما لغير العاقل (أو صفات العاقل) اســـم موصول بمعنـــىٰ الّذي أو مصدرية، تدعون: تعبدون، من دون الله: من غير الله من الآلهة والأصنام.

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أروني توكيد لقوله: أرأيتم، ماذا للاســـتفهام أقوىٰ في الاســـتفهام والتّوكيد من ما، ومن ابتدائية اســـتغراقية، ماذا خلقوا: أيَّ شيء خلقوا من الأرض.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أم للإضراب الانتقالي، شـــرك: نصيب ومشاركة في خلق أو ملك السّموات.

﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾: أي هَلُـــمَّ بكتاب منزل من قبل القرآن فيه آية تشهد على ما تدَّعون أن الأصنام والآلهة شركاء لله.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: أيْ: بقية من علم الســـابقين؛ السّابقين تشهد بصحة عبادة الآلهة أو شيء مأثور من كتب الأولين بصحة عبادة الأصنام.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن شـــرطية تفيـــد الشّـــك، كنتم: فـــي دعواكم، صادقين: أن هذه الآلهة تســـتحق أن تعبد، وجواب الشّـــرط محذوف، وتقديره: أنتم غير صادقين.

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾:

في الآية السّـــابقة نفى الله سبحانه عن الآلهة والأصنام القدرة على الخلق أو الشّراكة في السّموات وفي الأرض، وفي هذه الآية ينفي عنها العلم:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ من الاســـتفهامية تحمل معنى النّفـــي والإنكار والتّعجب، أيْ: لا أحد أشد ضلالاً وأعجب حالاً.

﴿مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: يعبد غير الله أو يدعو معبوداً لا يســـتجيب له لدعائه أو قضاء حاجته، ولو انتظر إلى يوم القيامة؛ لأنّ هذه الآلهة لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل لكونها حجارة أو معادن منحوتة بأيديكم.

﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾: وصفهم بضمير العاقل تهكماً وتقريعاً لهم، عن:

تفيـــد المجاوزة والمباعدة، عن دعائهم غافلون: أيْ: عبادتهم لا تجدي لهم نفعاً ولا ضراً ؛لأنّها أصناماً لا تشعر بهم ولا تعقل ولا تدرك من أفعالهم شيئاً.

غافلون: جمع غافل تدل على الثّبوت والاستمرار. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى الغفلة.

❖ ❖ ❖

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

سورة الأحقاف [الآيات ٦ - ١٤]

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾:

المناسبة: بعد نفي الخلق أو الشّـــراكة في السّموات والأرض ونفي العلم عن تلك الآلهة الّتي يعبدونها في الآيات السّابقة، يذكر في هذه الآية موقف هذه الأصنام من عُبادها يوم القيامة.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾: يـــوم القيامة حشـــر العابـــدون والمعبوديـــن أو التّابعون والمتبوعين والسّادة والرّؤساء والضّعفاء.

﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾: كانت الأصنام لهم، لمن عبدها في الدّنيا أعداء جمع عدو، أعداء في كثير من الأمور أو العبادات والطّاعات، ولم يقل: عدوٌّ الّتي تعني: عدوّاً في أمر واحد.

﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾: أي: الأصنام والآلهة تكفر وتكذب وتجحد بعبادتهم لها، أيْ: يتبرأ كلٌّ من الآخر.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

المناسبة: بعد نفي الشّـــركاء وإثبات عقيدة التّوحيد ينفي في الآيات التّالية الشّبهات حول القرآن الكريم ونبوة رسوله محمد ﷺ.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان بمعنىٰ حين وشرطية وتفيد حتمية الحدوث، وإذا سمع الّذين كفروا آيات القرآن:

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحة المعنىٰ والدّلالة علىٰ أن القرآن حق والرسول ﷺ حق.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾: اللام لام الاختصاص للحق؛ أيْ: للقرآن حين أنزل عليهم قالوا هذا سحر مبين؛ أي: افتراء وباطلاً.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنىٰ حين.

﴿جَآءَهُمْ﴾: أي: أنزل عليهم.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلىٰ القرآن.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: اتهموا القرآن بالسّحر لشدة تأثيره في القلوب والأنفس، وكونه خارقاً للعادة، وسحراً واضحاً لا يخفىٰ علىٰ أحد، أو سحراً ظاهراً لا يحتاج إلىٰ بيِّنة أو دليل، ولتعريف السّحر ارجع إلىٰ سورة طه آية (٥٨) للبيان.

[٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

لم يكتفوا بالقول أو بوصف القرآن بأنّه سحر مبين، بل ذهبوا إلىٰ أبعد من ذلك، وقالوا أنّه مفترىٰ والافتراء هو الكذب المختلق المتعمَّد:

﴿أَمْ﴾: المنقطعة أو للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام والإنكار، وقد تأتي بمعنىٰ: بل يقولون افتراه.

﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ﴾: أيْ: هو كـذب اختلقه أو اخترعه محمّد ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله تعالىٰ: قل يا رسول الله لهؤلاء الكفرة:

﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: إن شرطية تفيد الشّك. افتريته: جئت به من عندي.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط، لا النّافية.

﴿تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أيْ: لا تقدروا أن تردُّوا عني عذابه، أو سيعذبني وحدي وأنتم لا تملكون أيَّ وسـيلة أو حيلة لدفع العذاب عني، من استغراقية، شـيئاً: نكرة، أيَّ شيء لمساعدتي، ومهما كان حسياً أو معنوياً، والشيء: هو أقل القليل.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: هو للتوكيد تعود إلىٰ الله سـبحانه، أعلم علىٰ وزن أفعل للمبالغة، بمـا: الباء للإلصاق، ما: أي: الّـذي أو مصدرية، تفيضون فيه: مشـتقة من فاض الماء أيْ: سال منصباً، مندفعين بقول الباطل والخوض فيه والطّعن في القرآن وأنّه سحر وأنّه مفترىٰ.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: أيْ: كفىٰ بالله سـبحانه وتعالىٰ شـهيداً، ولم يقل: شاهداً، شـهيداً صيغة مبالغة، أيْ: عالماً بما نخفي وما نعلن وبما هو ظاهر وباطن، أيْ: يكفي أن يشهد أنّ القرآن منزل من عنده وليس من عندي.

وتقديم شـهيداً علىٰ بيني وبينكم: جاء علىٰ الأصل، وإذا جاء الشيء علىٰ الأصل لا يُسأل عنه، وقد يؤخر كما في قوله تعالىٰ في سورة العنكبوت آية (٥٢): ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾، وهذه الآية الوحيدة في القرآن أخَّر فيها شهيداً علىٰ بيني وبينكم. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت لبيان السبب في التأخير.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: هو للتوكيد، الغفـــور: صيغة مبالغة كثير الغفر، أيْ: ســـتر الذّنوب ومحوها، الغفور لمن تاب من بعد ظلمه، الرّحيم بتأخير العذاب عن عباده لعلهم يدركون الحقيقة بالتدبر والتفكر ويتوبون إليه وينيبون.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله للذين كفروا:

﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: مـــا النّافية، وانظر كيف تكررت ما النافية في هذه الآية ثلاث مرات لتوكيد النفي، والإشارة أن رسول الله ﷺ هو رسول قد خلت من قبله الرســـل، وأنـــه لا يعلم الغيب، وما هو إلا وحي يوحـــىٰ، والأمر كله لله سبحانه؛ بدعاً من الرّسل: رسولاً جديداً أو مخترعاً شيئاً جديداً، أي: النّبوة، فقد سبقني الكثير من الرّسل إليها، ورسالتي هي إحدىٰ الرسالات.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾: ومـــا النّافية لتوكيد النّفي، أدري، ما: اســـم موصول أو اســـتفهامية، أي: وما أعلم الغيب إلا ما يوحىٰ إلي، وما أدري: أعلم بأي وســـيلة ما يُفعل بي ولا بكم في الدّنيا ولا في الآخرة، وما أدري ما ســـيحل بي أو بكم هل أبقىٰ في مكة أو أخرج منها أو أقتل أو أموت، وهل ســـتعجل لكم العقوبة أو تمهلون.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: إن النّافية أقوىٰ نفياً من ما، أيْ: ما أتبع إلا ما يوحىٰ إلـــيَّ إلا تفيد الحصر، أيْ: أتبع فقط ما يوحىٰ إليّ مـــن ربي، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النّجـــم:٤-٥]، ولمعرفة معنىٰ الوحي ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣).

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: مـا النّافية، أنا إلا أداة حصر، نذير مبين: الإنذار هو الإعلام من التّحذيـر والتّخويف إعلان مقترن بتهديد، نذير مبين: منذر لكلّ فرد منكم، مبين: تام الإنذار لا أخفي منه شيئاً، نذير صيغة مبالغة، أيْ: وكثير الإنذار، نذير لأمتي وللناس كافة ونذير لمن خالف منهج الله تعالىٰ.

لنقارن هـذه الآية (٩) من سـورة الأحقاف وهي قولـه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، والآية (١١٥) من سورة الشّعراء وهي قوله: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

آية الأحقاف جاءت في سـياق الدّعوة والحوار، وآية الشّـعراء جاءت في سياق التحدي والمحاربة والتّكذيب للرسـل، ولذلك استعمل (إن) الأشد نفياً من (ما) في سورة الشّعراء.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: ارجـع إلىٰ الآيـة (٤) من نفس السّـورة للبيان والخطاب موجّه إلىٰ الّذين كفروا وكذبوا بالرّسول ﷺ وبالقرآن.

﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾: إن شـرطية، كان من عنـد الله: أي: القرآن علىٰ سبيل الحقيقة وليس الاحتمال والافتراض؛ أي: هو حق من عند الله تعالىٰ.

﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾: أيْ: واسـتمررتم وأصررتم علىٰ كفركم، جواب الشّـرط محذوف، وتعني: من سيكون أشد منكم كفراً.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: قيـل: هو عبد الله بن سـلام، شهد علىٰ مثله: مثل القرآن شـهد علىٰ مثل ما في القرآن في التّوراة،

أيْ: نفس ما في التّوراة من علامات وبينات وحقائق في القرآن أو شهد أنّ القرآن منزل من عند الله تعالىٰ، فآمن: الشّاهد عبد الله بن سلام أو غيره، واستكبرتم: أن تؤمنوا وتصدقوا به ألستم بظالمين. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٢) وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾. ارجع إلىٰ سورة فصلت للبيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا النّافية، يهدي القوم الظّالمين: الّذين اختاروا طريق الشّرك والضّلال وأصروا علىٰ ضلالهم وابتعادهم عن الدّين، ولم يعد هناك أمل في توبتهم وعودتهم إلىٰ الإيمان، فهؤلاء انتهىٰ أمرهم ولن يهديهم الله بعد ذلك. ارجع إلىٰ سورة الجمعة آية (٥) لمزيد من البيان في معنىٰ إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

[١١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: الذين كفروا؛ قيل: هم قريش، وقيل: بنو عامر وأسد وأشجع وغطفان، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب، أو يهود المدينة.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: اللام لام الاختصاص، أيْ: أسلموا مثل قبائل جهينة ومزينة وأسلم وغفار.

﴿لَوْ﴾: شرطية كان هذا القرآن أو الإيمان أو الإسلام.

﴿كَانَ خَيْرًا﴾: شيئاً مفضلاً.

﴿مَا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾: أيْ: ما سبقنا إلىٰ القرآن والإيمان والإسلام، هؤلاء أمثال بلال وعمار وصهيب وخباب وغيره من ضعفاء المسلمين.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ﴾: ظرف للزمن الماضي، لم: النّافية، يهتدوا بالقرآن العظيم.

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء عاطفة تربط السّبب بالمسبب، السّين للاستقبال القريب، أيْ: سيقولون عن قريب والنّون في يقولون للتوكيد.

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب تشير إلىٰ القرآن العظيم.

﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾: كذب متعمَّد قديم أَفِكَه أناس غير محمّد، وجاؤوا به ومحمّد ﷺ عثر علىٰ ذلك الإفك أو تعلمه من غيره.

[١٢] ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: الواو استئنافية، من ابتدائية، قبله: أيْ: قبل إنزال القرآن أنزلنا كتاب موسىٰ، أي: التّوراة.

﴿إِمَامًا﴾: قدوة يؤتم به في دين الله كما يؤتم بالإمام.

﴿وَرَحْمَةً﴾: يجلب ما يَسُرُّ ويدفع ما يَضُرُّ، والرّحمة تعني: دفع الضّر (أي: الوقاية) من المعاصي والآثام.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾: هذا: الهاء للتنبيه ذا اسم إشارة للقرب والتّعظيم ويشير إلىٰ القرآن، هذا كتاب: أي: القرآن، وجاء بالنّكرة للتعظيم.

﴿مُّصَدِّقٌ﴾: لكتاب موسىٰ أو لما بين يديه من الكتب السّماوية السّابقة. ولم يقل: مصدقاً، وإنما مصدقٌ؛ لأنها نعت الكتاب، أو خبر ثان؛ أما لساناً: تعرب حال.

﴿لِّسَانًا﴾: أيْ: بلغة.

﴿عَرَبِيًّا﴾: بلغة عربية توكيداً.

﴿لِّيُنذِرَ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد، وينذر من الإنذار وهو الإعلام مع التّحذير والتّخويف.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: الّذين أشركوا وظلموا أنفسهم بالمعاصي وخرجوا عن منهج الله تعالىٰ لينذرهم من عذاب عظيم.

﴿وَبُشْرَىٰ﴾: من البشارة وهي الخبر السّار لأوّل مرة، بشرىٰ لأهل الإحسان والتّقوىٰ والإيمان.

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، المحسنين جمع محسن، ولمعرفة الإحسان وتبيانه، ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة، المحسنين: جملة اسمية تدل علىٰ ثبوت صفة الإحسان لهم.

[١٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٠) من سورة فصلت للبيان.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٨) من سورة البقرة.

[١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى علو منزلتهم.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: من المصاحبة، أي: الملازمة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: من الخلود: هو استمرار البقاء من وقت دخولهم إياها.

﴿جَزَاءً﴾: يكون مقابل العمل الصّالح أو السّيئ، أيْ: يأتي في سياق النّفع والضّر، وهو أعم من الأجر والأجر يكون مقابل عمل، ولا يستخدم إلا في النّفع.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الباء باء السّببية أو تعليلية، ما اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية، كانوا في الدّنيا يعملون (تضم الأقوال والأفعال).

❖ ❖ ❖

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى
ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ
فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

سورة الأحقاف [الآيات ١٥ - ٢٠]

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَوَصَّيْنَا﴾: كلفنا أمرنا من وصّىٰ فيها حثٌّ واهتمام.

الفرق بين وصّىٰ وأوصىٰ: وصّىٰ تستعمل لما هو أهم مثل أمور الدِّين والأمور المعنوية، وأوصىٰ تستعمل للأمور المادية عادة، أيْ: طَالَب وأوصاه: طلب منه. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١) للبيان المفصل.

﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، الوالدان: تطلق علىٰ الأب والأم بحكم الإنجاب؛ أي: الوالدة: من الولادة التي تقوم بها الأم، والوالد من الولادة، أما الأبوان: الأب والأم بحكم التّربية.

﴿إِحْسَٰنًا﴾: أعلىٰ درجات البر والحُسن إحساناً: أمكن وأفضل من (حسناً) وتعني المعاملة الحسنة وزيادة، (حسناً): كلمة تجمع كلّ معاني الحُسن وأقل درجة من (إحساناً). ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٣٦)، وسورة البقرة آية (١١٢) لمزيد من البيان في معنىٰ الإحسان.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾: كُرهاً: بضم الكاف: ما أكرهت نفسك عليه؛ لأنّك راغب في القيام به رغم أنّه شاق ومضنٍ، فالمرأة تفرح بالحمل وبولادة الولد رغم مشاق الحمل والآلام، ولا تمانع في الحمل فهو محبوب

لديها، أمّا الكَره: بفتح الكاف فهو ما أكرهك غيرك على فعله، أيْ: تقوم به وأنت كاره له حقيقة وقسراً؛ أي: الكره الحقيقي كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف:٨]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [محمد:٩].

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾: الحمل والرّضاعة (٣٠) شهراً، والرّضاعة: حولين (٢٤) شهراً لقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] أيْ: (٢٤) شهراً، فإذا طرحنا (٢٤) شهراً من (٣٠) شهراً تبيَّن لنا أن الحمل (٦-٩) أشهر، ومن هذه الآية نعلم أنّ الوليد الخديج يمكن أن يعيش إذا ولد بعد ٦ أشهر. وهذا من الإعجاز العلمي الطبي للقرآن الكريم.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية، إذا عاش وبلغ أشده.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: كمال القوة البدنية وهي (٣٠) سنة أو (٣٣) سنة.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: كمال القوة العقلية وهو سن النّبوة عند الجمهور، ولم ينبئ نبي قبل الأربعين إلا عيسى ويحيى عليهما السلام.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: رب أوزعني تعريف الوزع: هو الكف والمنع، أيْ: كفني أو امنعني عن كل ما يؤدِّي إلى كفران نعمتك، وقيل: الوزع: الإلهام، أيْ: ألهمني أن اشكر نعمتك، وقيل: الوزع الإغراء، أي: الولوع بشكر النّعمة، أيْ: لا أنفك عن شكر نعمتك والدّوام على ذلك أو اجعلني ملازماً ذاكراً أن أشكر نعمتك.

﴿ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾: نعمة الإيمان والتّوحيد ونعمة الإسلام والهداية والرّشد والصّحة والعافية وسعة العيش، النّعمة: لا تعدُّ ولا تحصى، وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها، وعلى والدي: الوالد والوالدة المؤمنين.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾: الواو للعطف، أن للتوكيد، أعمل صالحاً: الفرائض والسّنن وكل ما يحقق رضا الله عزَّ وجلَّ.

﴿تَرْضَىٰهُ﴾: تتقبله.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾: الذرية: هم الأولاد أو النسل، وقيل: الذرية: النساء والأولاد، والذرية قد تعني أيضاً: الآباء والأجداد؛ أيْ: وفقهم للعمل الصّالح، وفي تفيد الاستمرار في العمل الصّالح، أيْ: زدهم علماً في الدِّين وصلاحاً ورشداً وهداية.

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: إنّي للتوكيد، تبت إليك: من ارتكاب السّيئات وعدم العودة إليها والنّدم عليها. ارجع إلى سورة النساء آية (١٧-١٨) لمزيد من البيان في أركان التوبة.

﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: وإنّي للتوكيد، من ابتدائية، المسلمين: المخلصين الموحدين لك والمطيعين الخاضعين لأمرك ونهيك.

[١٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى التّعظيم وعلو المنزلة.

﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾: نتقبل عنهم، ولم يقل: نتقبل منهم أعمالهم الصّالحة، فما هو الفرق بين نتقبل عنهم ونتقبل منهم؟

نتقبل عنهم: أيْ: نتقبل العمل الصّالح نفسه أو العمل الصّادر عن العبد كالصّلاة والصّدقة والصّوم.

نتقبل منهم: أيْ: نتقبل من الجهة القائمة بالعمل الصّالح، أيْ: من العبد نفسه.

مثال: الصّلاة كعبادة هي عمـــل صالح، ولكن لا يقبلها الله من المنافق أو المبدع أو المحدث هنا تقول: لا نقبل منهم.

مثال: إنسان مؤمن موحد يعمل صالحاً نتقبل عنه عمله الصّالح ونتقبل منه؛ لأنّه مؤمن.

مثال آخر: إنسان مؤمن يتصدق رياء لا نقبل صدقته الصّادرة عنه ونتقبل منه صلاته، وقد يسأل سائل أحسن ما عملوا: أحسن على وزن أفعل التّفضيل فما بال العمل الحسن ألا يتقبل منه، نقول له: الأحسن يشمل الحسن والأحسن.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أيْ: نعفو عنها ولا نعاقبهم عليها بعد التّوبة والإنابة إلى الله تعالى، حتّى لا تتلاشـــى حســـناتهم فلا نطبق فرضية إنّ السّيئات يذهبن الحسنات، ولو طبقت هذه الفرضية لكان كلّ واحد منا مفلساً يوم القيامة.

﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾: ولم يقل: مع أصحاب الجنة: أيْ: هو من المكرمين فهو أحـــد منهم وليس معهم؛ لأنّ معهم قد يكون معهـــم وليس فيهم منعزلاً لوحده، وهو موجود معهم.

﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: في الدّنيا، وقيل: الوعد: هو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة:٧٢] وعـــد الصّدق: أيْ: وعد الحق الّذي لا يتغيَّـــر ولا يتبدَّل، وعد: مصدر مؤكَّد لفعل وعد وقوله تعالى: نتقبل ونتجاوز، فهذا وعد من الله سبحانه.

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

سبب النّزول: ذكر في بعض كتب التّفســـير أنّها نزلت في عبد الرّحمن بن أبي بكر، ولكن عائشـــة رضي الله عنها نفت ذلـــك، وقالت: إنّها نزلت في رجل

آخر، ولنعلم أنّ عبد الرّحمن بن أبي بكر أسلم وحسن إسلامه، والمهم هو عموم اللفظ وليس بخصوص السّبب، فهي تمثل العاق لوالديه، والمكذب بالبعث.

﴿ وَٱلَّذِى ﴾: اسم موصول يفيد الذّم في هذه الآية.

﴿قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٥) من نفس السورة. أفٍ: فعل مضارع بمعنىٰ التّضجر، أيْ: لا أطيق ما تقولانه لي، أو يكفي ما تقولانه.

﴿أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾: أني سأبعث من جديد، وأخرج من قبري بعد أن مضت القرون (الأجيال) من قبلي، ولم يخرج من قبره أحدٌ ممن مات.

والقرن: الجماعة من النّاس الّذين يعيشون في زمن واحد (قرن)، والقرن: يقارب (١٠٠) عام، الهمزة في أتعداننني للاستفهام والاستنكار.

﴿أَنْ أُخْرَجَ ﴾: أن للتعليل والتّوكيد، أخرج من القبر.

﴿وَهُمَا ﴾: تعود علىٰ والديه.

﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾: يطلبان من الله أن يوفقه للإيمان ويرده إلىٰ سبيل الهدىٰ والرّشاد، ويقولان له ويلك: يا هلاكك إن لم تؤمن بالله وبالبعث وبما أنزل والويل دعاء بالهلاك والثّبور.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾: إنّ للتوكيد، وعد الله بالبعث والرّجوع إليه والحساب والجزاء حق، أيْ: أمر ثابت لا يتغيَّر ولا يتبدَّل.

﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: فيقول الولد مكذباً بالبعث، ما: النّافية، هذا: الهاء للتنبيه، وذا اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلىٰ الوعد والخروج من القبر، إلا: أداة حصر، أساطير الأولين: أكاذيب الأقدمين الّتي سطروها في كتبهم أو أباطيل الأولين، أساطير: جمع أسطورة: وتعني حكاية أو قصة قديمة.

[١٨] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد (دنو المنزلة).

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب وثبت لهم العذاب، ولم يقع بعد أو حق عليهم القول لأملأن جهنم من الجِنَّة والنّاس أجمعين. وقيل القول: العذاب.

﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: أيْ: منضمون إلى أمم قد مضت وسبقتهم في الكفر والإلحاد، أنّهم من أهل النّار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾: إنّهم للتوكيد، كانوا خاسرين لأنفسهم ولأهليهم.

[١٩] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿وَلِكُلٍّ﴾: الواو استئنافية، لكلّ: اللام لام الاختصاص، لكلٍّ من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس.

﴿دَرَجَاتٌ﴾: في الجنة أو في النّار، في الجنة درجات، وفي النّار دركات. وبالنسبة للذين آمنوا لهم درجات عند ربهم، ولا ننسى قوله تعالى أيضاً: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٣]؛ لهم درجات في الجنة كما قيل مئة درجة وأكبر من ذلك؛ هم درجات عند ربهم: وتعني القرب الحقيقي؛ أي: قرب المنزلة والمكانة من الله سبحانه.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾: جزاء ما عملوا من الخير والشّر في الدّنيا.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾: اللام لام التّعليل يوفيهم: من وفى: أعطاه حقه، أيْ: أعطاهم جزاء ما عملوا من خير، أو شرٍّ.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا النّافية، يظلمون: الظلم: أخذ حق الغير أو حرمانه منه؛ أي: لا يظلمون في الآخرة أو يوم الحساب مثقال ذرة أو بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: الواو استئنافية، يوم: ظرف زمان، يعني: يوم القيامة.

﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: العرض يتم بطريقتين الّذين كفروا هم يعرضون على النّار، وفي آية أخرى هي تعرض عليهم ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف:١٠٠]، ارجع إلى الآية (٤٥) من سورة الشّورى للبيان، والعرض يعني: أظهر له أو أبرز إليه، أو الكشف، يعرض الّذين كفروا على النّار، أيْ: يجيء بهم إليها فيكشف لهم عنها، أو تظهر لهم وتبين ويروها بأم أعينهم.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾: الهمزة للتوبيخ والتّقريع، أيْ: لم يبق لكم شيء من الطّيبات اليوم، فقد استوفيتم وأخذتم طيباتكم في حياتكم الدّنيا وتمتعتم بها، أيْ: لم يبق لكم اليوم شيء حتّى تتمتعوا فيه.

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: يوم القيامة.

﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: عذاب الهوان، أي: الخزي والذّل.

﴿وَبِمَا﴾: الباء للتعليل أو السّببية، ما اسم موصول أو تعليلية.

﴿كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: كنتم في الأرض، ارجع إلى الآية (٨٧) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾: وبما كنتم: تكرار بما كنتم يفيد التّوكيد، كنتم تفسقون: تخرجون عن طاعة الله ورسوله وتعصونه، الفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى ومخالفة أوامره، تفسقون: فعل مضارع يدل على التّجدُّد والتّكرار والاستمرار، ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

❖❖❖

۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ
بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ
بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

سورة الأحقاف [الآيات ٢١ - ٢٨]

[٢١] ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الّذين كفروا من قريش وكيف يستكبرون في الأرض بغير الحق ويفسقون، يذكر قصة قوم عاد الّذين كانوا أكثر أموالاً وقوة من مشركي قريش أهلكهم الله سبحانه بسبب كفرهم.

﴿وَٱذْكُرْ﴾: إذ أو اذكر حين.

﴿أَخَا عَادٍ﴾: هو هود عليه السلام أخو عاد أخوهم في النّسب، لا في الدِّين، أيْ: من قبيلتهم.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿أَنذَرَ﴾: من الإنذار وهو الإعلام مع التّحذير والتّخويف أنذرهم ألا يعبدوا إلا الله.

﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾: جمع حقف وهو الهضبة من الرّمل العظيم المستطيل المرتفع المعوج مع الانحناء، والأحقاف في شمال حضرموت في شمالها المسمى الرّبع الخالي، وفي شرقها عُمان، وهي الآن عبارة عن تلال من الرّمال الخالية.

﴿وَقَدْ﴾: الواو حالية، قد للتحقيق والتّوكيد.

﴿خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾: خلت: مضت، النّذر: جمع نذير وهم الرّسل، من بين يديه: من قبل مجيء هود ومن بعده، الكلّ فعلوا ذلك، أيْ: أنذروا أقوامهم كما أنذر هود قومه عاد بأن لا يشـركوا بالله شيئاً، هناك من قال أنّ هذه جملـة اعتراضية وأصل الآية: أنذر قومه بالأحقاف ألا تعبدوا إلا الله إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.

﴿أَلَّا﴾: أصلها أن لا: أن تعليلية، لا النّاهية

﴿تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: إلا أداة حصر، أيْ: لا تعبـدوا إلا الله وحده، والعبادة هي طاعة المعبـود فيما أمر به أو نهى عنه ولها أجـر ومنهج وثواب. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لبيان معنى العبادة.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن عبدتم غير الله أن يحل عليكم أو ينزل بكم.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: بسبب شـرككم، عذاب عظيم لا ينجو منه أحد، وهو يوم القيامة ونكرّه للتهويل والتّعظيم. وعظيم قد تكون صفة أو نعت للعذاب نفسه أو لليوم يوم عظيم يوم القيامة.

[٢٢] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ﴾: أيْ: قال قوم عاد لهود عليه السلام.

﴿أَجِئْتَنَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري.

﴿لِتَأْفِكَنَا﴾: اللام لام التّعليل لتأفكنا: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا، الإفك: الصّرف، والإفك هو الكذب المتعمَّد وقلب الحقائق، أيْ: لتكذب علينا ولتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة الله وحده.

﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، أيْ: عن عبادتها.

﴿فَأْتِنَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط المقدَّر.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما بمعنى الّذي أو مصدرية.

﴿تَعِدُنَآ﴾: من العذاب، أيْ: هم يستعجلون بالعذاب وحين يقع لا يصدقون بحدوثه، فيرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية (٢٤) من نفس السّورة.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشّك والاحتمال، أيْ: نشك أن تكون من الصّادقين، الصّادقين في إنذارك ووعيدك ودعوتك.

[٢٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: هود عليه السلام رداً عليهم حين قالوا: ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: متى سيحل عليكم العذاب أو يأتيكم لا أحد يعلم بذلك إلا الله سبحانه وحده.

﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾: أيْ: ما عليّ إلا البلاغ: أيْ: إيصال الرّسالة إليكم كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[النور: ٥٤]، ما: بمعنىٰ الّذي أو مصدرية، أبلغكم ما أوحي إليَّ هذه مُهمتي، وليس مهمتي أن آتيكم بعذاب أو أخبركم متىٰ سيحل عليكم.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: أراكم رؤية قلبية جهلاء حين لا تؤمنوا بالله وحده، وحين تستعجلون بالعذاب، وتجهلون عاقبة أمركم ومصيركم إذا حلَّ عليكم العذاب تجهلون ما ينفعكم وما يضركم. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في تجهلون.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء عاطفة، لما: ظرف بمعنىٰ حين متضمن معنىٰ الشّرط.

﴿رَأَوْهُ﴾: الهاء تعود إلىٰ العذاب.

﴿عَارِضًا﴾: العارض السّحاب الّذي يعرض في أفق السّماء، يعترض جو السّماء، أيْ: يظهر أو يبرز.

﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: متوجِّهاً، الاستقبال: التّوجُّه نحو الشّيء ليكون قبالته، مستقبل: اسم فاعل من الفعل السّداسي استقبل؛ أي: متجه نحو أوديتهم: جمع وادٍ.

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، ويشير

إلىٰ العارض، عارض ممطرنا: سحاب سيأتينا بالمطر، ممطر أرضنا المصابة بالجفاف، ممطر: اسم فاعل من الفعل الرّباعي أمطر.

﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾: القائل هو هود عليه السلام، أو الله سبحانه وتعالىٰ، بل: للإضراب الإبطالي، أيْ: ليس بالسّحاب الممطر كما تظنونه، بل هو العذاب القادم علىٰ شكل ريح لا تحمل الخير كما هو الحال في سياق الرياح.

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ريح مدمرة تظهر بشكل سحاب مظلم تهب بسرعة شديدة (ريح عقيم). وكلمة ريح في القرآن تأتي في سياق الشر والعذاب.

[٢٥] ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾: تدمر كلّ شيء تمر به أو تأتي عليه، كل شيء من بشر وحيوان وشجر وسكن، فهي لا تُبقي ولا تذر، وقد تصل سرعتها إلىٰ أكثر من (٢٠٠كم) بالسّاعة.

﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بإذنه وإرادته ومشيئته، وقد أتت علىٰ قوم عاد فأهلكتهم.

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾: أيْ: آثارها وبعض الجدران القائمة، لا يرىٰ الرّائي إذا نظر إلىٰ مساكنهم إلا مساكن خالية من أهلها هامدة، الفاء تدل علىٰ المباشرة، حتّىٰ جثثهم تطايرت وتشتت أشلاؤهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: أيْ: كما جزيناهم بهذه الرّيح المدمرة نجزي كلّ مجرم لا يؤمن بربه ويشرك به، ويهلك الحرث والنّسل، ويسبب في الأرض

الفساد، ولمعرفة معنى القوم المجرمين. ارجع إلى سورة الجاثية آية (٣١) للبيان، وسورة الأنعام آية (٥٥).

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أيْ: قد تحقق ذلك.

﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾: أيْ: مكّنا قوم عاد في الأرض بالقوة والسّلطة والغنى الّتي لم نمكنكم أنتم يا قريش من مثلها، فكانوا أشد منكم قوة في الأرض، ولقد مكناهم فيما: في + ما: في ظرفية ما بمعنى الّذي، إن مكناهم فيه: إن لها احتمالين بمعنى ما النّافية، أو ما زائدة للتوكيد، أيْ: ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه، أو نافية وتعني: ولقد مكناهم فيما لم نمكنكم فيه.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا﴾: الجعل يكون بعد الخلق؛ أي: مرحلة تالية للخلق.

﴿سَمْعًا﴾: السمع مصدر، والمصدر بحد ذاته لا يجمع إلا إذ تعدد مصدر السمع.

﴿وَأَبْصَٰرًا﴾: أي الأعين التي نبصر بها، ولمعرفة لماذا قدم السمع على

البصر، وأفرد السمع وجمع البصر؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٧)، وسورة الملك آية (٢٣).

﴿وَأَفْـِٔدَةً﴾: الأفئدة: جمع فؤاد، وقيل: الفؤاد القلب، أو خلايا القلب المميزة التي تختص بالعاطفة والذاكرة. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان؛ إذ لم يستفيدوا منها من شيء، من استغراقية، شيء نكرة تعني: لم يستفيدوا من سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم أيَّ فائدة مهما كانت قليلة أو كثيرة، ومهما كان نوعها من سماع الآيات والنذر، وما حل بالكفار من قبلهم، ومن رؤية آثار الأقوام الهالكة، أو من التفكر والتدبر بما سيحل بهم أو بعاقبة أمرهم، والشّيء هو أقل القليل، وتكرار (لا) يفيد نفي التّوكيد وفصل كلاً على حِدَةٍ، فما أغنى: ما النّافية أو ما استفهامية.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي وفيه معنى التّعليل.

﴿يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: الجحد هو إنكار الشّيء الظّاهر والآيات شيء ظاهر، وتشمل الآيات القرآنية والكونية الدّالة على قدرة الله وعظمته والمعجزات والبراهين الدّالة على أنّه الإله الحق.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاط بهم ونزل. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان.

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أيْ: أحاط بهم العذاب أو العقاب بسبب

استهزائهم وإعراضهم. والاستهزاء: هو تصغير قدر أو شأن الآخر أو الشّيء والتّحقير والعيب والاستهزاء بالله وآياته ورسوله.

لماذا أفرد السّمع وجمع الأبصار والأفئدة: ولماذا قدَّم السّمع على البصر: ارجع إلى الآية (٧) من سورة البقرة، وسورة الملك آية (٢٣).

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾: (قرى عاد وثمود ولوط ومدين)، من القرى تعني: أهل القرى، والقرية تعني البناء، أي: السَّكن والأفراد، والمخاطب هم كفار قريش.

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾: التّصريف؛ أي: بيَّناها؛ يعني: آية واحدة نأتي بها بأشكال وأساليب متعدِّدة مختلفة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦٤) للبيان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: إلى الإيمان والتّوحيد أو إلى ربهم بالتّوبة لعل: هنا تفيد التّعليل، ولا تعني الرّجاء.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء عاطفة، لولا: ليست أداة حضٍّ، وإنما للتوبيخ.

﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾: فهلا منعتهم من العذاب والهلاك آلهتهم الّتي اتخذوها قرباناً آلهة، أي: اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله.

﴿قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾: قربان مصدر واسم لما يتقرب به إلىٰ الله سبحانه وجمعه قرابين، أيْ: لولا نصرتهم هذه الأوثان الّتي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلىٰ الله تعالىٰ بأيِّ وسيلة مثل الشّفاعة أو دفع العذاب أو تخفيفه.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾: أيْ: غابوا عن نصرتهم عند نزول العذاب عليهم ولم يحضروا ليدافعوا عنهم أو يشفعوا لهم.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو للتوكيد، ذلك اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلىٰ الضّياع والإفك.

﴿إِفْكُهُمْ﴾: وذلك كذبهم، والإفك قلب الحقائق والكذب.

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: الواو استئنافية، ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، يفترون: الافتراء هو اختلاق الكذب، ويفترون بصيغة المضارع لتدل علىٰ التّكرار والتّجديد، أو حكاية الحال وما كانوا يفترون قبل إهلاكهم بأنّها آلهة حقة تشفع لهم ويستفاد منها.

❖❖❖

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

سورة الأحقاف [الآيات ٢٩ - ٣٥]

[٢٩] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن وبَّخ الله تعالىٰ كفار قريش وذكرهم بقوم عاد، يذكرهم هنا بالجن، فهم أفضل من كفار قريش؛ لأنّهم آمنوا مجرد سماع القرآن، وسبب نزول هذه الآيات، كما ورد في الصّحيحين البخاري ومسلم من حديث ابن عبّاس: أنّ النّبي ﷺ بعد رجوعه من الطّائف إلىٰ مكة بعد أن عومل شر معاملة من ثقيف، وحين كان يقرأ سورة الرّحمن في صلاة الفجر ببطن نخلة جاء نفر من الجن يستمعون القرآن من دون أن يعلم رسول الله ﷺ أنّهم يستمعون إلىٰ قراءته، فلما حضروه قالوا: أنصتوا، فلما قُضي ولو إلىٰ قومهم منذرين.

﴿وَإِذْ﴾: تعني: واذكر، أو اذكر حين صرفنا إليك نفراً من الجن، وإذ: الواو عاطفة، أيْ: واذكر أخا عادٍ، واذكر إذ صرفنا إليك نفراً من الجن.

﴿صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾: وجَّهنا نحوك أو أرسلنا إليك. المخاطب هنا رسول الله ﷺ.

﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: النّفر جماعة دون العشر قيل: (٧-٩) من الجن، جن نصيبين، وكانوا سبعة أو تسعة وقيل من جن نينوىٰ قرب الموصل، وقيل: من أشراف الجن وساداتهم.

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: وأنت تقرؤه في صلاة الفجر ببطن نخلة، يستمعون: سماع بنية وقصد، ولم يقل: يسمعون سماع عادي غير مقصود، فهم أرسلوا إليك لهذه الغاية. وفي سورة الجن قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ

مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١]؛ لنعلم أن سورة الجن نزلت قبل نزول سورة الأحقاف التي أشارت خاصة إلى القرآن بينما سورة الجن تحدثت عن أحوال الجن وعلاقتهم بالإنس وأفعالهم ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ومصيرهم في الآخرة.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: الفاء عاطفة، فلما حضروه: حضروا استماعه كان ﷺ يصلي الفجر، وقيل: كان يقرأ بسورة الرّحمن، لما: ظرف زماني يتضمن معنى الشّرط.

﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾: أمر بعضهم بعضاً بالإنصات وهو: السّكوت والاستماع في نفس الوقت.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، لما: ظرف زماني يتضمن معنى الشّرط، فلما قضي: فرغ من تلاوته.

﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: ولى: انصرف قاصداً؛ أي: انصرفوا قاصدين إلى (من ورائهم) من قومهم منذرين: من الإنذار وهو الإعلام مع التّحذير والتّخويف، وكما قلنا، لم يعلم رسول الله ﷺ بحضورهم والاستماع إليه إلا فيما بعد. ارجع إلى سورة الجن للبيان، منذرين: أيْ: أبلغوا قومهم ما سمعوه وحذروهم من مخالفة القرآن، وتبيِّن هذه الآية أنّ رسول الله ﷺ بُعث للجن والإنس (للثقلين).

[٣٠] ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ﴾: ياء النّداء فيها معنى الحنان واللطف إلى قومهم.

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾: إنا للتوكيد، وبالجمع سمعنا كتاباً: أيْ: قرآناً كتاباً.

﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾: أيْ: هم لا يعرفون إلا كتاب موسى عليه السلام أو هم على

دين اليهودية، والله أعلم. والسؤال: ماذا عن الإنجيل الذي أنزل من بعد موسىٰ؟ قيل: هؤلاء من الجن الذين لا يؤمنون أو يعترفون بالإنجيل أو بعيسىٰ عليه السلام، وربما هناك من الجن من يؤمن بالإنجيل وعيسىٰ لم يكونوا من بين هؤلاء، والله أعلم.

﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾: علىٰ محمّد ﷺ.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: أيْ: موافقاً لما تقدِّمه من الكتب السّماوية التّوراة والإنجيل.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾: أي: الإسلام أو العقائد الصّحيحة والحق هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل. وفي سورة الجن آية (٢) قال تعالىٰ: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾، ما هو الفرق بين يهدي إلىٰ الحق، ويهدي إلىٰ الرشد؟

الحق: أعم من الرشد، والرشد من الحق، والحق: يوصف به العاقل وغير العاقل مثل الجنة حق، القتل بحق، أما الرشد: فهو خاص بالعاقل فقط.

﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: ولم يقل إلىٰ صراط مستقيم؛ الطريق: هو السبيل الذي يسار عليه ليس بالواسع أو السهل؛ أما الصراط: الطريق الواسع السهل الذي يوصل إلىٰ الغاية بأقل زمن ومسافة؛ والمستقيم: الذي لا اعوجاج فيه.

[٣١] ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾:

﴿يَٰقَوۡمَنَآ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾: داعي الله وهو محمّد ﷺ، أجيبوا داعي الله (رسول الله ﷺ) إلىٰ ما يدعو إليه من طاعة الله سبحانه وتوحيده.

﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾: آمنوا بالله وبرسوله ﷺ.

﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾: من للتبعيض بعض ذنوبكم، بينما لو قال: يغفر لكم ذنوبكم: أي: جميع ذنوبكم، وهذه فقط خاصة بالمؤمنين من أمة محمّد.

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أيْ: يحميكم من عذاب أليم، الإجارة: الحماية والوقاية، من: ابتدائية بعضية، وأغلب المفسرين يقولون: إنّ للجن من الثّواب والعقاب كما هو الحال لبني آدم.

[٣٢] ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَمَن لَّا﴾: الواو عاطفة، من شرطية، لا النّافية.

﴿يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾: أي: رسوله ويصدقه؛ أيْ: ويعصي الله ولا يؤمن به، ولا يتمثَّل أوامرَه.

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: الفاء جواب الشّرط، ليس للنفي، الباء للإلصاق والتّوكيد، معجز: لا يعجز الله أيْ: لا يفوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه أحد، وإن هرب فهو سيبقى في الأرض ولا سبيل للخروج منها. ولم يقل: في السّماء؛ لأن السّماء مُلئت حرساً وشهباً.

﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾: تكرار ليس لتأكيد النّفي للذي لا يجب داعي الله، اللام للاختصاص أو الاستحقاق.

﴿مِن دُونِهِ﴾: من غير الله أو سواه.

﴿أَوْلِيَاءُ﴾: جمع ولي وهو القريب، أو المعين القائم بأمره والحليف الّذي ولاه أو وكله أمره، ولم يقل: من أولياء من الاستغراقية؛ لأنّ هناك أولياء يُستفاد منهم.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الّذين لا يستجيبون للرسل وإلى دنو منزلتهم.

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في: بعد عن الحق والهدى والصّواب وبُعد عن الصّراط

المستقيم ظاهر جلي لا يخفىٰ علىٰ أحد، وضلال مبين واضح لا يحتاج إلىٰ من يكشفه ويوضحه.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّوبيخي وإنكاري، وجواب بلىٰ إنّه علىٰ كل شيء قدير، والواو في أولم للتوكيد.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية قلبية فكرية، وبمعنىٰ العلم (هؤلاء المنكرون للبعث والقيامة والحساب) أولم يعلموا أنّ الله خلق السّموات والأرض.

﴿أَنَّ﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: ولم يعي: العي: التّعب وانقطاع الحيلة والقوة.

﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة لمعرفة كيفية إحياء الموتىٰ. ارجع إلىٰ سورة الرّوم آية (١٩).

﴿بَلَىٰ﴾: هو قادر علىٰ إحياء الموتىٰ، وبلىٰ جواب للاستفهام المنفي ولا يجوز القول بنعم؛ لأنّه لو قال: نعم، لكان المعنىٰ نعم هو غير قادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من نفس السّورة للبيان.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري.

﴿هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلىٰ العذاب، أليس هذا العذاب بالحق: جواباً لقولهم وما نحن بمعذبين، القائل غير معلوم، المهم المقولة.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾: بلىٰ لا تكون إلا جواباً لما كان فيه جحد والجحد هنا كان للعذاب، ولا يجوز القول بنعم بدلاً من بلىٰ (فهي جواب للاستفهام في النّفي).

﴿وَرَبِّنَا﴾: واو القسم، أيْ: أقسموا بربهم تأكيداً أنّه الحق.

﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: قال: فذوقوا: الفاء للمباشرة والتّعقيب، ذوقوا العذاب بما: الباء بدلية أو سببية أو تفيد التّعليل، ما كنتم: في الحياة الدّنيا، تكفرون: بالله وآياته ورسله وكتبه، تكفرون تدل علىٰ التّجدُّد والتّكرار والاستمرار.

[٣٥] ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾:

بعد تقرير البعث والتّوحيد يأمر الله سبحانه وتعالىٰ رسوله ﷺ بالصّبر فيقول له:

﴿فَٱصْبِرْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: الكاف للتشبيه، ما اسم موصول كما صبر أصحاب العزم والثّبات والحزم وهم أصحاب الشّرائع أمثال نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم الصّلاة أجمعين، وقد ذكرهم الله سبحانه في سورة الأحزاب الآية (٧) فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ وهذا هو الأرجح، من الرّسل: من للتبعيض، ولا ننسىٰ غيرهم من الرّسل، وهناك من قال: من للتبيين لا للتبعيض، تعني: كلّ الرّسل.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لا النّاهية، لهم: اللام لام الاختصاص لهم خاصة، أيْ: لكفار قريش وغيرهم؛ أي: لا تظن أن تأخير العذاب عنهم هو خير لهم.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب، ما تعني: الّذي يوعدون.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾: لـم النّافية، يلبثوا: من اللبث: الإقامة لزمن محدَّد (أيْ: كأنّهم حين يرون ما يوعدون في الآخرة من العذاب يشعرون أنّهم لم يقيموا في الدّنيا أو يلبثوا فيها إلا ساعة واحدة من نهار.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾: ساعة، تعني: أيَّ ساعة من نهار، ليست ساعة محدَّدة.

﴿بَلَٰغٌ﴾: أيْ: هذا القرآن وما فيه من الآيات والنذر والتعاليم بلاغ من الله تعالىٰ إلىٰ خلقه، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم:٥٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٦]، والبلاغ مصدر بمعنىٰ التّبليغ، والتّبليغ: هو إيصال الرّسالة وإفهام النّص إلىٰ الّذين أرسل إليهم.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: للاستفهام ويفيد النّفي.

﴿يُهْلَكُ﴾: الهلاك نقض البنية والموت. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنىٰ الهلاك.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعة الله العاصون مع الإصرار علىٰ الكفر والشّرك، القوم: اسم للجنس يشمل كلّ من فسق. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان في معنىٰ الفاسقين.

❖ ❖ ❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٥١

سورة محمد ﷺ [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٤٧) وترتيبها في النزول (٩٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾:

المناسبة: انتهت سورة الأحقاف بقوله تعالى: ﴿بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وابتدأت سورة محمد ﷺ بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يدل على تطابق نهاية السورة مع بداية السورة التالية لها.

أسباب النزول: كما رُوي عن ابن عباس نزلت في كفار مكة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ (هم الأنصار) وقيل في رواية: نزلت في كفار مكة الذين خرجوا لغزوة بدر، وسمُّوا المطعمين.

والمهم بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب؛ فالحديث عن الكفار عامة، وعن الذين آمنوا عامة.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أيْ: جحدوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أيْ: صرفوا ومنعوا غيرهم من الدّخول في الإسلامَ، أو حاربوا دين الله لكي يشوهوا صورته أو سمعته للآخرين.

وسبيل الله: دين الله (وهو الإسلام)، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: من معاني الضلال النسيان والضياع والهلاك والإبطال أيْ: أبطل أعمالهم وأحبطها فلا ثواب لها ولا جزاء، أو جعلها ضالة، أيْ: لا ثواب لها ولا جزاء أو أجر. بسبب كفرهم بالله تعالىٰ والكفر من محبطات العمل الصالح.

وقد تعني: أبطل كيد الّذين كفروا وصدوا النّاس عن الدّخول في الإسلام.

وأضل أعمالهم: أصلها الغيبة والاضمحلال، أيْ: أضاع أعمالهم.

[٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾:

مقابل الّذين كفروا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾: أيْ: آمنوا وعملوا الصّالحات. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥) للبيان. وآمنوا بالقرآن العظيم؛ أي: صدقوا وأطاعوا واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وآمنوا بالقرآن العظيم (وهو الحق من ربهم)، والحق هو الأمر الثّابت الذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: أيْ: محا أو غفر لهم ذنوبهم وكفر بمعنىٰ ستر، والسّتر يعني: العفو وعدم العقاب عليها. والسيئات قيل: هي الصغائر والكبائر، جمع سيئة وقيل: السيئات هي الصغائر فقط.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: البال يطلق علىٰ الحال والشّأن، ويعني: التّوفيق في الدّين

والدّنيا، أيْ: أرشدهم ودلهم على أعمال الخير، فلم يشركوا أو يكفروا أو يفسدوا، والبال قد يطلق على العقل والتّفكير.

[٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى إضلال أعمال الكافرين.

﴿بِأَنَّ﴾: الباء للتعليل أو باء السّببية.

أيْ: سببه أنّ الكافرين اتبعوا الباطل والباطل: وهو ما لم يشرع الله، وليس له دليل أو سلطان وضد الحق.

﴿وَأَنَّ﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾: أي: القرآن الكريم والوحي وسنة رسوله ﷺ.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: أيْ: مثل هذا البيان.

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: أيْ: يضرب الله تعالى الأمثال لإزالة أي غموض؛ لأن الأمثال دائماً تكون من باب المبين (الظاهر أو الواضح).

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: أمثالهم تعود على الفريقين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

فالأمثال هي كل من يتبع الباطل في عمله فعمله يشبه عمل الذين كفروا، وكل من يتبع الحق في عمل فعمله يشبه عمل الذين آمنوا، وعمل الذين كفروا نتيجة الضلال وعمل الذين آمنوا نتيجة الفوز المبين.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾:

بعد ذكر حال الّذين كفروا وحال الذّين آمنوا يذكر في هذه الآيات واجب المؤمنين إذا نشبت بينهم وبين الذين كفروا حرب.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء فاء السّببية، إذا: ظرف للزمن المستقبل وتفيد حتمية الحدوث متضمن معنى الشّرط.

﴿لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللقاء هنا يعني: الحرب أو القتال.

﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾: الفاء رابطة للجواب، ضرب الرّقاب: أيْ: فاضربوا رقابهم ضرباً (مجازاً عن القتل) جاء بالمصدر ضرب للتوكيد؛ لأن ضرب الرّقبة يعني: القتل بسرعة أو الإسراع في القتل، والقتل بأبشع صورة، ونصب الضربَ ولم يأت بالرفع كقوله: فضربُ الرّقاب؛ لأنّ الضرب موقوف بالمعركة بزمن المعركة وليس أمراً دائماً.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: إذا: ظرفية شرطية. أثخنتموهم: أيْ: أكثرتم فيهم القتل أثخنتموهم بالجراح، والإثخان هو الإكثار من قتل العدو حتّى يضعف ويوهن ولا يقدر على النّهوض والوقوف أمامكم.

﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾: أيْ: فأسروهم، وأحْكِمُوا القيد قيد من أسرتموهم حتى لا يفلتوا منكم، والوثاق بفتح الواو: اسم لما يوثق به كالقيد والحبل، الإسار ما

يوضع في يد الأسير، ليُقاد به، والشّـد: الرّبط، الوَثاق: بفتح الواو تعني: الأسر، ومنهم من قال: الوِثاق: بكسر الواو تعني: القيد أو الحبل أو الإسار الّذي يوضع في يد الأسير، والأسر بعد الإثخان المبالغة في القتل والإصابة بالجراح.

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إما للتخيير، منًّا: تطلقوا سراحهم بعد الأسر بغير عوض أو فدية؛ أي: العفو والصفح عنهم.

﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾: أي: المفـاداة أيْ: إطلاق الأسـير في مقابل مـال أو مبادلة الأسرىٰ.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: حتىٰ حرف نهايـة الغاية، أيْ: لا مناً ولا فداءً حتّىٰ تضع الحرب أوزارها، بعدها لكم الخيار في المن أو الفداء.

الأوزار: آلات الحرب كالسّلاح.

حتّىٰ: تنقضي الحرب وتتوقف بهزيمة العدو.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: افعلوا بهم ما ذُكر.

﴿وَلَوْ يَشَآءُ﴾: لو شرطية.

﴿لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: الـلام لام التّعليل، انتصر منهم: بغير قتال ولو شـاء انتقم منهم بالرعب أو الريح أو بالخسف والغرق والرّجفة وأهلكهم بشتىٰ الوسائل.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟﴾: لكـن للاسـتدراك والتّوكيد، اللام فـي ليبلوكم للتعليل. والبلاء: يعني: استخراج ما عند المبتلَىٰ من طاعة أو معصية بتحمُّله التكليف.

﴿بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: أيْ: ليبلوَ المؤمنيـن بالكافرين، يعلم المجاهدين في سـبيله والصّابرين علىٰ ابتلائه ويعلم نواياهم ويعلم المنافقين أو العاصين بعدم

الخروج للجهاد في سبيل الله ويعلم الصّادق من الكاذب؛ لإقامة الحُجَّة عليهم يوم القيامة، فهو سبحانه يعلم نواياهم وحالهم قبل أن يخلقهم.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: الّذين: استشهدوا في سبيل الله أثناء المعركة، فلن: الفاء للتوكيد، لن لنفي المستقبل القريب والمستقبل البعيد، يضل أعمالهم: لن يضيع أجرهم وثوابهم.

[٥] ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾:

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾: السّين للاستقبال القريب، سيهديهم بعد القتل والشهادة، أو الموت في سبيل الله في حياة البرزخ، أما غير الشهيد يهديه في الدنيا لما فيه سعادة الدارين.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: شأنهم وحالهم بالرضا والطمأنينة، ويرتاحوا من عناء الدنيا وما فيها.

[٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: بعد البعث ويوم القيامة.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾: في الآخرة.

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: لهم اللام لام الاختصاص، عرفها لهم: وصفها لهم في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ.

[٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: ياء النّداء للبعد والهاء للتنبيه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء جديد بتكليف أو حكم جديد.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾: بالقول والفعل، تنصروا دينه وبإعلاء كلمته وتنصروا رسوله، وبالدّعوة بشتىٰ الوسائل، بكل أنواع النّصر والجهاد أو القلم أو المحاججة بالقول أو المساعدة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق.

﴿يَنصُرْكُمْ﴾: بالمقابل علىٰ عدوكم بالغلبة وبالسّلطان، وبالتّمكين وبالقول والرّأي.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: في مواطن الحرب بالصّبر والثّبات. والتمكين في الأرض بالقوة والطمأنينة والحُجَّة والسّلطان، وهذا وعد من الله العزيز الحكيم.

[٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تعسا لهم: هلاكاً لهم، اللام لام الاستحقاق، أيْ: أتعسهم الله، وتعساً تعني: الشّقاء والخيبة وقبحاً لهم. فتعساً لهم: دعاء عليهم بالتعس غير مقيد بفاعل، وغير مقيد بزمن معين؛ فهو دعاء عام.

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أبطلها وأحبط ثوابها، فلا تقبل ولا جزاء لها.

[٩] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ التّعس والخيبة وإضلال أعمالهم.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء تعليلية أو سببية، أنهم للتوكيد.

﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: أيْ: كرهوا القرآن وآياته، كرهوا أحكامه وشرعه، كرهوا وعده ووعيده. ووحيه.

﴿مَا﴾: تعني: الّذي أنزل جملة واحدة.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: الفاء للمباشرة والتّوكيد، أحبط أعمالهم: أبطل ثوابها وأصبحت هباءً منبثاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١٧) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري والتّوبيخ، الفاء للتوكيد، لم النّافية.

﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا﴾: يخرجوا من منازلهم ويسافروا في الأرض.

فينظروا: الفاء للمباشرة والتّوكيد، ينظروا: رؤية عينية وقلبية، ينظروا إلى كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؛ أي: آثارهم وما خلّفوه وراءَهم.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قاعدة في القرآن: حين يُذكر العاقبة، فيقول: كان بدلاً من كانت تدل على العذاب، وحين يؤنث العاقبة فيقول: كانت عاقبة، فهي تدل على الجنة والمغفرة.

عاقبة: مصير وقال الّذين من قبلهم مثل قوم عاد وثمود ولوط وفرعون.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: التّدمير يشمل الأنفس والمساكن والحيوانات والشجر والدّواب، أي: أهلكهم الله وأهلك أموالهم وممتلكاتهم. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٦) لمزيد من البيان.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾: وللكافرين أمثال تلك العاقبة والدمار والخزي والهلاك، واللام في كلمة (وللكافرين) لام الاختصاص والاستحقاق.

[١١] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة، اللام للبعد ويشير إلى نصر المؤمنين، أو ما أصاب الكافرين من التّدمير والهلاك.

﴿بِأَنَّ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، أن: تعليلية وللتوكيد.

ما أصاب المشركين من الدّمار والهلاك سببه أن الله.

﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: ولي الّذين آمنوا متولي أمورهم وناصرهم والقائم عليهم، والمولى: المعين والمحب.

﴿وَأَنَّ﴾: تكرارها يفيد التّوكيد، وأن للتعليل، والتّوكيد.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: لا النّافية، لا مولى لهم: لا ناصر لهم ولا معين.

❖ ❖ ❖

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ
يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

سورة محمد [الآيات ١٢ - ١٩]

[١٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾:

المناسبة: بعد ذكر بعض صفات الّذين آمنوا وعملوا الصالحات ومنها:

١ - آمنوا بما نُزل علىٰ محمّد.

٢ - واتبعوا الحق من ربهم.

٣ - وأنهم ينصرون الله ويقاتلون في سبيله.

٤ - وأن الله هو مولاهم.

يذكر في هذه الآية جزاءَهم وهو جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وأما الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله واتبعوا الباطل، وكرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم.

يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وجزاؤهم النار هي مثوىٰ لهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾: منشغلون بمتاع الدّنيا الزّائل من طعام وشراب ولباس وأثاث ومساكن ومراكب همهم اللهو واللعب والفرح والمرح والأكل والشّرب لا تهمهم الآخرة.

﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾: المثوىٰ: مكان الإقامة الجبرية الدّائم والضّيق المطبق عليهم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٥١) لبيان معنىٰ مثوىٰ.

[١٣] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾:

سبب النزول: نزلت هذه الآية، كما قال ابن عباس، حين خرج رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة التفت إلى مكة، وقال: « ما أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ولَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ ».

﴿ وَكَأَيِّن ﴾: قيل: مركبة من كاف التّشبيه وأيٍّ الاستفهامية المنونة.

وقيل: هي اسم بسيط غير مركب وهي تفيد التّكثير والتّفخيم.

﴿مِّن﴾: للتوكيد.

﴿قَرْيَةٍ﴾: أي: أهل قرية والقرية تطلق على ساكني أهل القرية من النّاس، وعلى البناء (المساكن).

﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾: قريتك، أي: مكة، وتسمَّى أم القرى، أضافها إليه تشريفاً لها وتكريماً، أيْ: وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الّذين أخرجوك أهلكناهم.

أخرجوك: أي: كانوا سبباً في خروجك.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: بالخسف أو الصّيحة أو الرّيح أو الحاصب.

﴿فَلَا﴾: الفاء عاطفة، لا النّافية للجنس.

﴿نَاصِرَ لَهُمْ﴾: ينصرهم من الهلاك أو ينقذهم من عذاب الله إذا حلَّ بهم.

[١٤] ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴾:

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، الفاء للتوكيد، من اسم موصول بمعنى الّذي.

﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: البينة: أي: القرآن العظيم، أي: كان على حُجَّة وبرهان من ربه ويعبد الله على علم. ويعني: رسول الله ﷺ.

﴿كَمَن﴾: الكاف للتشبيه، من اسم موصول بمعنى الّذي، ومن: تشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: وهم مشركو مكة، زين لهم الشّيطان أعمالهم مثل الشّرك والصّد عن سبيل الله والكفر والمعاصي.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: الهوى تعريفه ارجع إلى الآية (٥٦) من سورة الأنعام. وجواب الاستفهام محذوف ؛ لأنه واضح وبيِّن.

[١٥] ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: مثل الجنة: يضرب المثل لإزالة غموض الاجمال أو أمر ما.

﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: من الوعد المطلق هو عادة يأتي في سياق الخير وعد المتقون في الآخرة.

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾: فيها أنهار من ماء فرات (ماء غدق). ماء لم يتغيَّر طعمه أو رائحته لطول مكثه.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾: وفيها أنهار من لبن خالصاً سائغاً للشاربين. أي: لم يتغيَّر طعمُهُ كالحامض، أو الفاسد.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: للشاربين اللام لام الاختصاص لا يسبب شربها ذهاب عقل أو صداع أو نزف.

﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾: منقّىٰ خالٍ من الشّـــمع والقذىٰ والفضلات. أربعة أنهار للشرب والطعام (اللبن) والمتعة واللذة.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: من استغراقية، كل الثمرات: من سائر أنواع الثّمار والفاكهة.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: لســـائر ذنوبهم والمغفرة تعنـــي: العفو وعدم العقوبة والإثابة علىٰ الحسنات.

﴿كَمَنْ هُوَ﴾: الكاف للتشبيه، من: تفيد المفرد أو الجمع وما بينهما وتشمل الواحد والاثنين والجمع، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾: لا يخرج منها من زمن دخولها.

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾: ماء متناهٍ في حرارة الغليان، واليحموم: الدخان الشديد السواد كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٤٣].

﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: الفـــاء للمباشـــرة، من شـــدة حرارته والأمعـــاء الدقيقة والغليظة. وفي آية أخرىٰ ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج:١٩].

[١٦] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾:

﴿وَمِنْهُم﴾: ومن الذين كفروا أو نافقوا.

﴿مَّن﴾: بعضية، يســـتمع ولم يقل: يســـمع إليك، ومـــن: أي: بدون نية أو قصد، ومن: تأتي للمفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: في مجلس أو خطبة جمعة أو أيِّ مناسبة.

يســـتمع إليك، أي: بقصد ونيـــة واهتمام، فهم يقومـــون بذلك يتظاهرون

بالاستماع، يستمعون عبثاً من دون نفع أو فائدة، يستمعون نفاقاً بلا وعي، ولو سمعوا حقيقة لوعوا ما قاله لهم ﷺ.

﴿مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: من: تأتي للمفرد والمثنى والجمع، وبما أنّ الجميع يسمعون نفس الكلام فهم يمثلون في الاستماع مستمعاً واحداً، أما حين يخرجون أو يقولون فكل واحد يمثل نفسه.

ولذلك أفرد يستمع وجمع خرجوا وقالوا.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾: إذا ظرفية، أي: بمجرد ما يخرجون من عندك من مجلسك، قالوا للذين أوتوا العلم.

﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: سألوا الذين أوتوا العلم؛ العلم الشرعي والمعرفة بالدين؛ أي: العلماء المتقون ومخاطبتهم بأولي العلم فيها مدح وثناء أمثال: عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء أو غيرهم من أصحاب رسول الله الذين أوتوا العلم.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾: استخفافاً واستهزاءً: ماذا قال سابقاً ؛ لأنهم لم يعوا كلام الرسول ﷺ، ولم يقولوا: ماذا قال رسول الله ﷺ احتراماً وتوقيراً له. أو حتى يذكروا اسمه ﷺ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والتّحقير.

﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: طبع الله عليها بسبب كفرهم وصدهم عن سبيل الله كثيراً، فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر. والطبع أشد من الختم.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾: بدلاً من اتّباع ما أنزل الله تعالى، اتّبعوا أهواءَهم، أي: الباطل. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٦) لبيان معنى الهوى.

[١٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾: اهتدوا إلىٰ الإيمان والعمل الصّالح، اهتدوا إلىٰ الطّريق المستقيم (الإسلام)، زادهم هدىٰ: بالتّوفيق والإرشاد والطّاعة لمزيد من العمل الصّالح.

﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾: أعانهم علىٰ تقواهم، بالتّوفيق والتّقوىٰ، طاعة أوامر الله وتجنب نواهيه.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: الفاء استئنافية، هل استفهامية تفيد النفي، أي: ما ينتظرون إلا السّاعة وتعود علىٰ الكافرين والمنافقين. وينظرون تدل علىٰ قصر الزمن أو قرب وقوعها، ولم يقل: ينتظرون التي تدل علىٰ طول الزمن، زمن الانتظار.

﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: إلا أداة حصر الساعة: السّاعة: تعني: آخر ساعة من عمر الأرض. عندها يبدأ تهدم النظام الكوني الحالي.

﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾: أن تعليلية، تأتيهم: وهم غافلون.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء استئنافية، قد للتحقيق.

﴿جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾: أمارتها وعلاماتها، شرط وهو العلامة. وقيل: من أشراطها مجيء النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أنّىٰ: كيف لهم أو من أين لهم التّذكر، الاستفهام بأنّىٰ أقوىٰ من كيف، وفيها معنىٰ التّعجُّب، أشراطها: أي: ظهرت معظم علاماتها الصغرىٰ.

﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾: إذا ظرفية للمستقبل، جاءتهم، أي: لا ينفعهم حينئذ بأن يتوبوا أو تنفعهم توبتهم أو ينفعهم إيمانهم إذا لم يؤمنوا قبل مجيء العلامات الكبرىٰ.

[١٩] ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾:

فاستقم واثبت واستمر علىٰ ما أنت عليه من التّوحيد ومراقبة النّفس واستمر علىٰ تقوىٰ الله، الخطاب موجَّه إلىٰ الرّسول وأمته عليه الصلاة والسلام.

فاعلم أنه لا إلا الله: (كلمة التوحيد). ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: تب إلىٰ الله واطلب منه العفو والغفران لك وللمؤمنين والمؤمنات. فقد روىٰ مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ. قال: إنه ليغان علىٰ قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة. ليغان: أفتر عن الذكر.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: بالنّهار، أي: يعلم أشغالكم بالنّهار والتّقلب والتّصرف في أمور دنياكم. وقيل: متقلبكم في أصلاب آباءكم.

﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: مأواكم بالليل، أي: نومكم أو مثواكم في القبور أو مثواكم في الآخرة.

❖ ❖ ❖

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۚ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

سورة محمد [الآيات ٢٠ - ٢٩]

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾:

بعد أن ذكر حالة من يستمع إلى رسول الله ﷺ عبثاً أو استهزاءً، وبعد أن يخرج من عنده يسئل الّذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً فكأنهم لا يسمعون.

يَذكر نوعً آخرَ من الّذين في قلوبهم مرض حين يسمعون آيات الجهاد وكيف يكون شأنهم وحالهم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من صحابة رسول الله ﷺ.

يقولُ: بصيغة المضارع تدل على تجدُّد قولهم وتكراره.

﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: لولا: للتمني والحصر، أي: يتمنى المؤمنون حقاً أن يشرع الله الجهاد حتى يدافعوا عن أنفسهم وأهليهم وعن دين الله وإعلاء كلمة الله.

نزلت سورة تبيح لنا الجهاد أو القتال في سبيل الله، نزلت سورة: أي: سورة خاصة بنا، نزلت علينا.

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: إذا: ظرفية شرطية، أنزلت ولم يقل: نزلت فما هو الفرق بين نزلت وأنزلت، أنزل: أي: بشكل عام، أي: يفرض فيها القتال على

جميع المؤمنين بينما نزلت: بشكل خاص بهم فقط، أي: من يتمنون الجهاد فئة خاصة.

ونزلت: تدل على تكرار دعواهم وطلبهم بإنزال سورة، وأما أنزلت: فتدل على مرة واحدة أنزلت وانتهى الأمر بفرض الجهاد.

إذا ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: محكمة: واضحة لا شبهة فيها ولا احتمال، ومحكمة وتعني: غير منسوخة، وذكر فيها القتال: أي: أُمر أو فرض فيها القتال أو دعت إلى الجهاد في سبيل الله تعالى.

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أي: مرض النّفاق أو الشّك أو ضعف الإيمان.

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي: خافوا وزلزلوا ودب الرّعب في قلوبهم وأصبحت أعينهم تنظر إليك تدور كعيون المحتضر الذي لا أمل له في الشّفاء. ونظر المغشي عليه من الموت، أي: الذي يفارق الحياة تراه لا يتحكم بحركة عينيه، فإذا أدرت رأسه إلى اليمين ترى عينيه تتحرك إلى اليسار، وإذا أدرت رأسه إلى اليسار ترى عينيه تتحركان إلى اليمين، أي: إلى الجهة المعاكسة، ويقال لهذا في عالم الطب منعكس عيني الدُمية ويدل على إصابة جذع النخاع الشوكي للدماغ.

وهذه آية من آيات الإعجاز العلمي في القرآن.

﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾: أي: أجدر بهم وأحرى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض،

وأفضل لهم بدلاً من أن ينظرون نظر المغشـــي عليه من الموت، أي: من الخوف من القتل أن يقولوا: سمعنا وأطعنا.

[٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾:

أي: أجـــدر بهم وأفضـــل لهـــم أن يطيعوا أمر اللـــه والرّســـول بالجهاد وبالإخلاص له.

وأجدر بهم أن يقولوا قولاً معروفاً، قولاً حسناً يدل على الرّضا بما كتب الله وقدَّر.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: الفاء للتوكيد، إذا شـــرطية تفيـــد حتمية الحدوث، عزم الأمر: أي: عزم الأمر على الجهاد في سبيل الله.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: فلو: الفاء للتوكيد، لو شـــرطية، صدقوا الله وأخلصوا له النّية وعزموا على الوفاء بما فرض الله وكتب عليهم.

﴿لَكَانَ﴾: اللام لام التّوكيد، كان تشمل كل الأزمنة.

﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾: أفضل لهم وأزكى من مخالفة ومعصية الله سبحانه ورسوله.

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾:

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل للاستفهام والتّوبيخ.

﴿عَسَيْتُمْ﴾: عســـى من أفعال الرّجاء والمتوقع حدوثها، وعســـى ليست منســـوبة إلى الله تعالى؛ لأنّه ســـبحانه يعلم منذ الأزل ما سيكون وما كان وإنما ليتم الحُجَّة على الّذين في قلوبهم مرض.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: أعرضتم عن القتال في سبيل الله أو توليتم عن طاعة الله ورسوله بالجهاد وتنفيذ أحكامه.

﴿أَن﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: أي: إن أعرضتم عن الجهاد في سبيل الله ولم تحاربوا أهل الباطل والظلم والبغي وتدافعوا عن أهليكم وأموالكم وديياركم، فهذا سيؤدي إلى انتشار الفساد في الأرض وقتل أهليكم وتقطع أرحامكم وانتشار الظلم والبغي والسلب والنهب وأكل أموال النّاس بالباطل والخوف.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: الكلام بصيغة الغائب.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: الكلام بصيغة المخاطب.

والانتقال من صيغة الغائب إلى المخاطب يدل على المبالغة والتوكيد في التوبيخ والتقريع لعدم الجهاد في سبيل الله.

[٢٣] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾: أولئك اسم إشارة والام للبعد، للتحقير والذّم.

وتشير إلى الذين فسدوا في الأرض بإعراضهم عن الجهاد في سبيل الله وقطعوا أرحامهم.

﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: طردهم من رحمته وأبعدهم عنها.

﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾: عن سماع الحق ؛ لأنّهم هم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك أي لا يريدون الاستماع إلىٰ آيات الله والانتفاع بها، والإذعان لها والعمل بها والجهاد وغيره.

﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾: عن رؤية الحق واتباعه فالبصيرة معطلة عندهم رغم أنهم يرون ويبصرون ما يحبون وليسوا عمين بعمىٰ النظر فاستحقوا أن يُعمي الله أبصارهم (بصيرتهم).

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾:

بعد بيان إعراض المنافقين عن الاستماع للقرآن فإنّه من الأفضل لهؤلاء المعرضون عن كتاب الله أن يتدبرونه ويتأملونه ليعلموا الحق من الباطل. وما هو خير لهم وما هو شر لهم.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ ؛ لعدم تدبر القرآن والتّعجب، ألا: أداة تنبيه وحضٍّ وتحمل معنىٰ الأمر (أن تدبروا القرآن).

﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: التّدبر: يعني الفهم والتّأمل والتّفكر في آيات القرآن، والتّدبر يعني: النّظر في المعنىٰ ومدلول اللفظ ظاهره وباطنه ومعطياته. وتطبيق أوامره والعمل به والتدبر في فضيلة الجهاد في سبيل الله.

﴿أَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام؛ أم: منهم من قال: أم المنقطعة، ومنهم من قال: أم المتصلة للإضراب الانتقالي، أو الإبطالي (يعني: هم ليسوا متدبرين للقرآن)؛ لأن قلوبهم مقفلة.

﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾: الأقفال هي العوائق الّتي تحول بين الإنسان وتدبر القرآن، والأقفال مثل المعاصي والمنكرات كل واحدة هي قفل وهي مكتسبة.

وكلمة قلوب: نكرة لتشمل قلوبهم وقلوب غيرهم، وشبه القلوب بالأبواب المقفلة فهي لا تفهم ولا تتأمل ولا تتفكر بالقرآن.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾:

بعد أن نهىٰ الله عن الإعراض عن القرآن وأمر بتدبر القرآن وتفهمه، ينذر الّذين ارتدوا عن دينهم إلىٰ الكفر بإحباط أعمالهم وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الاحتضار، أو في يوم القيامة.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم﴾: قيل: هم الّذين كفروا بعد إسلامهم وإيمانهم، وقيل: هم اليهود الّذين كانوا يؤمنون بالنّبي القادم، فلما تحققوا أنّه هو الموصوف في كتبهم كفروا به، وقيل: هم المنافقون الذين ارتدوا بسبب الشّيطان سوّل الذي لهم وأملىٰ لهم.

﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾: أي: كفروا بمحمد ﷺ بعد ما تبيَّن أنه هو النبي الموصوف. والهدىٰ يعني الإسلام، أي: بعد ما تبيَّن لهم الدِّين الحق.

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: زين لهم الكفر (الباطل) وحسنه وحببه إليهم ليفعلوه.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: من الإملاء والتأخير، أي: الإبقاء، منَّاهم بطول العمر والأمل وسعة العيش، ولن يحاسبوا أو يعذبوا يوم القيامة.

[٢٦] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: الارتداد، ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى الارتداد والإضلال.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء باء السّببية، وأنّهم تعود على المنافقين.

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾: أي: قالوا لليهود أو المشركين.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: في محاربة الرسول ﷺ وعداوته ومخالفة أمره، أو ما جاء به وعدم قتالكم قالوا ذلك سراً.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾: أي: ما تآمروا به سراً على رسول الله ﷺ والمؤمنين.

تعريف السر: هو ما تسرُّه في نفسك، أيْ: تخفيه في نفسك أو يسرُّون إلى بعضهم بعضاً.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء استئنافية، كيف: للاستفهام والتعّجب والإنذار، أي: كيف يكون حالهم وشأنهم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية للمستقبل.

﴿تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: توفتهم ملائكة الموت

والوفاة أو الاحتضار: هي المرحلة السّابقة للموت وخروج الرّوح، يضربون وجوههم وأدبارهم.

وجاء هذا موضحاً في آيات أخرىٰ مثل سورة الأنفال آية (٥٠).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾.

والأنعام آية (٩٣): ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾.

[٢٨] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ويشير إلىٰ الضّرب علىٰ الوجوه والأدبار.

﴿بِأَنَّهُمُ﴾: الباء تعليلية أو السّببية تعود علىٰ المنافقين والّذين في قلوبهم مرض.

﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾: اتبعوا ما تعني الذي أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي. أسخط الله من الكفر وكتمان صفات النبي ﷺ، وعصيانه ورسوله وتآمرهم مع أعداء الرسول علىٰ محاربة النّبي وعدم تصديقه.

والإسخاط استجلاب السّخط وهو الغضب، والسّخط لا يكون إلا من الكبير علىٰ الصّغير، بينما الغضب يكون من الصّغير علىٰ الكبير، ومن الكبير علىٰ الصّغير، والسّخط خلاف الرّضا.

وكرهوا رضوانه: الرضا يتضمن التسليم لله وطاعته والقيام بما أمر به

أو نهى عنه، والرضا يتضمن قبول العطاء أو المنع. أي: هم كرهوا التسليم لله وعصوا الله وجحدوا أو أنكروا ما آتاهم الله ورسوله من فضله.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطل ثوابها لم تعد تُجدي وليس لها أجرٌ.

[٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام المصحوب بالإنكار.

﴿حَسِبَ﴾: هو الظن الرّاجح، وتعني: أعتقد وحسب مشتقة من الحساب وتشمل الحساب الحسي والقلبي القائم على التّجربة والنّظر في الحساب.

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: الشّك والنّفاق والرّيبة والحسد والعداوة أطلق عليه مرض، وهو عدة أمراض؛ لأنها كلها أمراض نفسية متشابهة.

﴿أَن﴾: تعليلية.

﴿لَّن﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾: الضّغن: الحقد الشّديد وأضغانهم جمع ضغن، أحسبوا أنّ الله لن يكشف لرسوله وللمؤمنين، من هم هؤلاء الذين في قلوبهم مرض؛ أي: يفضح الله سرهم وشأنهم وحقدهم وعداواتهم للمؤمنين عاجلاً أم آجلاً.

❖ ❖ ❖

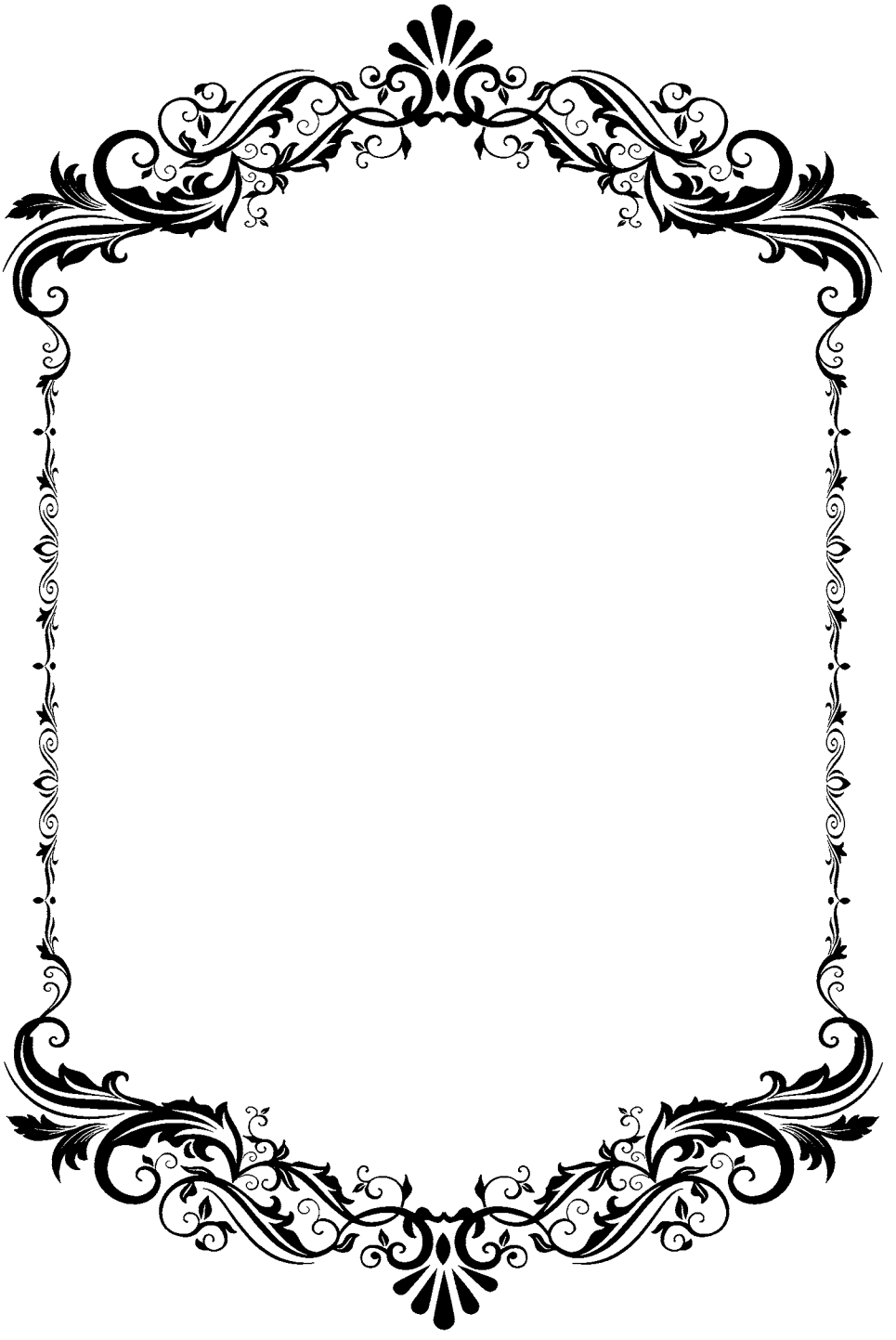

فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء العاشر

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الزّمر [الآيات ١ - ٥]	٦
سورة الزّمر [الآيات ٦ - ١٠]	١٣
سورة الزّمر [الآيات ١١ - ٢١]	٢٥
سورة الزّمر [الآيات ٢٢ - ٣١]	٣٩
سورة الزّمر [الآيات ٣٢ - ٤٠]	٤٩
سورة الزّمر [الآيات ٤١ - ٤٧]	٦١
سورة الزّمر الآيات [٤٨ - ٥٦]	٧١
سورة الزّمر [الآيات ٥٧ - ٦٧]	٨٣
سورة الزّمر [الآيات ٦٨ - ٧٤]	٩٥
سورة الزمر [الأية ٧٥]	١٠٧
سورة غافر [الآيات ١ - ٧]	١١٠
سورة غافر [الآيات ٨ - ١٦]	١٢١
سورة غافر [الآيات ١٧ - ٢٥]	١٣٣
سورة غافر [الآيات ٢٦ - ٣٣]	١٤٥
سورة غافر [الآيات ٣٤ - ٤٠]	١٥٥
سورة غافر [الآيات ٤١ - ٤٩]	١٦٥
سورة غافر [الآيات ٥٠ - ٥٨]	١٧٥
سورة غافر [الآيات ٥٩ - ٦٦]	١٨٧

السورة ورقمها	الصفحة
سورة غافر [الآيات ٦٧ - ٧٧]	١٩٧
سورة غافر [الآيات ٧٨ - ٨٥]	٢٠٧
سورة فصلت [الآيات ١ - ١١]	٢١٧
سورة فصلت [الآيات: ١٢ - ٢٠]	٢٢٩
سورة فصلت [الآيات ٢١ - ٢٩]	٢٣٩
سورة فصلت [الآيات ٣٠ - ٣٨]	٢٤٧
سورة فصلت [الآيات ٣٩ - ٤٦]	٢٥٧
سورة فصلت [الآيات ٤٧ - ٥٤]	٢٦٩
سورة الشّورىٰ [الآيات ١ - ١٠]	٢٨١
سورة الشّورىٰ [الآيات ١١ - ١٥]	٢٩١
سورة الشّورىٰ [الآيات ١٦ - ٢٢]	٢٩٩
سورة الشّورىٰ [الآيات ٢٣ - ٣١]	٣٠٧
سورة الشّورىٰ [الآيات ٣٢ - ٤٤]	٣١٧
سورة الشّورىٰ [الآيات ٤٥ - ٥١]	٣٣١
سورة الشّورىٰ [الآيات ٥٢ - ٥٣]	٣٤١
سورة الزّخرف [الآيات ١ - ١٠]	٣٤٥
سورة الزّخرف [الآيات ١١ - ٢٢]	٣٥٣
سورة الزّخرف [الآيات ٢٣ - ٣٣]	٣٦٥
سورة الزّخرف [الآيات ٣٤ - ٤٧]	٣٧٥
سورة الزّخرف [الآيات ٤٨ - ٦٠]	٣٨٥
سورة الزّخرف [الآيات ٦١ - ٧٣]	٣٩٥

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الزّخرف [الآيات ٧٤ - ٨٩]	٤٠٥
سورة الدّخان [الآيات ١ - ١٨]	٤١٧
سورة الدّخان [الآيات ١٩ - ٣٩]	٤٢٧
سورة الدّخان [الآيات ٤٠ - ٥٩]	٤٣٩
سورة الجاثية [الآيات ١ - ١٣]	٤٤٩
سورة الجاثية [الآيات ١٤ - ٢٢]	٤٥٩
سورة الجاثية [الآيات ٢٣ - ٣٢]	٤٦٩
سورة الجاثية [الآيات ٣٣ - ٣٧]	٤٨١
سورة الأحقاف [الآيات ١ - ٥]	٤٨٧
سورة الأحقاف [الآيات ٦ - ١٤]	٤٩٣
سورة الأحقاف [الآيات ١٥ - ٢٠]	٥٠٣
سورة الأحقاف [الآيات ٢١ - ٢٨]	٥١١
سورة الأحقاف [الآيات ٢٩ - ٣٥]	٥٢١
سورة محمد ﷺ [الآيات ١ - ١١]	٥٢٩
سورة محمد [الآيات ١٢ - ١٩]	٥٣٩
سورة محمد [الآيات ٢٠ - ٢٩]	٥٤٧
فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء العاشر	٥٥٧

❖ ❖ ❖